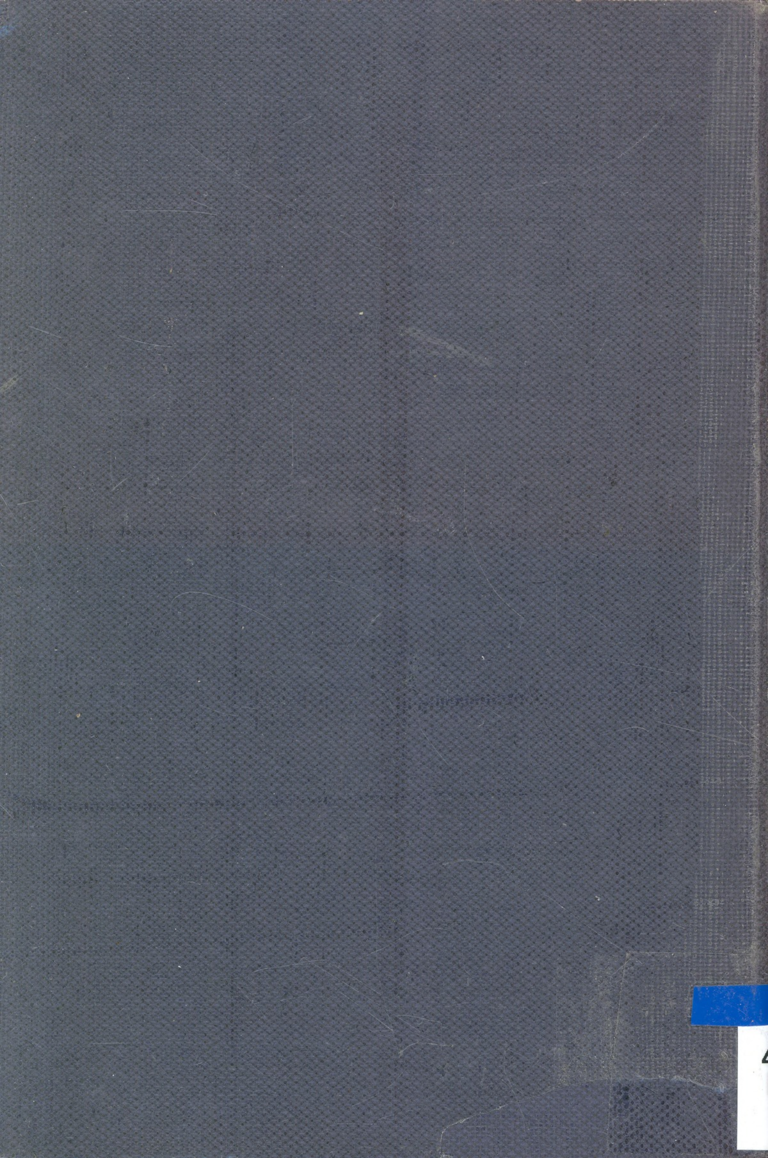


الاب أ. س. مرمرجي الدومنكي

أحد اساتذة المعهد الكِتابي والآثاريّ الفرنسيّ
في القدس الشريف

المُعْجَمية العَرَبيّة

على ضَوء

الثُنائيّة والألْسُنيّة الساميّة

مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس
سنة ١٩٣٧

ثمنه : ٢٥٠ ملاً

الاب أ. س. مرمرجي الدومنكي

أحد اساتذة المعهد الكِتابي والآثاريّ الفرنسيّ

في القدس الشريف

المُعْجَمِيَّةُ العَرَبِيَّة

على ضَوء

الثُنائِيَّةِ والأَلْسُنِيَّةِ الساميِّة

مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس

سنة ١٩٣٧

لمؤلّف الكتاب

الدياطسرون

اي الرباعي

وهو الانجيل الذي جمعه ططيانس من المبشرين الاربعة . يحوي نصَّه العربي مصحَّحاً ، مستخرجاً الى الفرنسيَّة ، معــارضاً بالترجمات السريانية القديمة ، مذيَّلاً باناجيليَّة دياطسَّريَّة سريانية ، مضافاً اليه اربعة روامز خارج النص. — ٧٥٠ ص. قطع ٨ — الثمَن : ١١٥ فرنكاً

يُطلب من المطبعة الكاثوليكية ، في بيروت .

A. – S. MARMARDJI O. P.

Professeur a l'Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

LA LEXICOGRAPHIE ARABE

A LA LUMIÈRE

DU BILITTÉRALISME ET DE LA PHILOLOGIE SÉMITIQUE



IMPRIMERIE DES PP. FRANCISCAINS
JÉRUSALEM
1937



SUPERIORUM PERMISSU

المقدّمة

العربية مبعثة للخلاف بين المنقطعين لدراستها . فمنهم من يرى فيها الكمالات ، لا بل الكمال عينه ؛ فيمدح ويطرىء ، ويعظم ويبجّل ، ويقدّس ويؤلّه . ومنهم من لا يجد فيها سوى الشوائب ، لا بل المعاب كلّه ؛ فيذمّ ويقدح ، ويحطّ ويرذل ، ويشمئز وينبذ .

على ان كلاً من الفريقين على خطأ ظاهر ؛ لا نقيادهم ، في احكامهم ، لا الى العقل ، والمنطق ، والحق ؛ بل الى العواطف ، والخيال ، والظواهر ، والاغراض الشخصيّة .

الحقّ ان العربيّة — كسائر اللغات — غير خالية لا من الغث ولا من السمين . واذ كانت بايدي اهلها ، وسيلةً للتعبير عمّا يخالج عقولهم من الخواطر ، ويلعج في افئدتهم من العواطف ، كان حظّها كحظّهم من كمال ونقصان . فإن هم ارتفعوا ، ارتفعت ؛ وإن هم انحطّوا ، انحطّت ؛ وإن هم هبّوا من سباتهم ، هبّت معهم . صفوة القول : شأن اللغة مجاراة احوال المتكلمين بها .

العربية اليوم في عصر انتعاش ، سبقته حقبة خمود وجمود طويلة . ولا تزال المساعي مبذولة لِسَدّ الخَلَل الطارىء عليها من شتّى الوجوه . ومن نواحي اللغة المفتقرة الى الاصلاح هي ، دون ريب ، ناحية المُعجَميّة . فانها كانت منذ القديم — وفي عصرنا هذا اكثر من كل عصر — مظِنّة للمذامّ والمطاعن .

مما يعزى الى المعاجم العربية انها خلو من المنطق في المعاني . فلا هناك دقّة في التحديد ، ولا وضوح في الشروح ، ولا تناسق في الالفاظ ، ولا تناسب

في المشتقات ، ولا تتابع في التطوّرات : ممّا يلقي المطالع والمتقصّي في حيرة وارتباك ؛ فتنشأ فيه السآمة والنفور ؛ فينحي باللائمة على اللغة واهلها ، وعلى المعاجم ومصنّفيها .

ان الحق يضطرّنا الى التسليم بصوابيّة هذا الاعتراض ، والاقرار بوجود ضروب من المعايب في كتب لغتنا . أمّا لسدّ هذا الخلل ، فقد شمّر أرباب اللغة ، في عصرنا — كلٌّ حسَبَ اختصاصه — للتوسّل بشيء منها .

على ان هناك ذريعة من انجع الذرائع لاصلاح المُعجَمِيَّة العربية ؛ الا وهي درسها على ضوء « الثُنائِيَّة والأَلْسُنِيَّة السامِيَّة ». وهذا ما قد تفرَّغنا له ؛ فكان لنا بمثابة المفتاح لفك مغالق كثيرة في ذا الشأن . وقد اجتمع لدينا ، من هذا القبيل ، موادٌّ غزيرة ، لا نزال نضيف اليها ما ينتج عن تقصّياتنا المتواصلة ؛ مما يخلق ان يُؤَلَّف يوماً من مجموعه معجم قائم بذاته .

مذهبنا غير مألوف بين علماء العربية ؛ الا وهو مذهب « الثُنائِيّين » (Bilittéralistes) ، المعاكس لمذهب « الثُلاثِيّين » (Trilittéralistes) . وطريقتنا طريقة « الأَلْسُنِيَّة السامِيَّة » (Philologie sémitique) اي علم مقابلة الالسن الساميَّة بعضها ببعض .

« الثُنائِيَّة » (Bilittéralisme) هي النظريّة القائلة بان « الأُصول » في العربية — وكذلك في اخواتها الساميَّة — ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين . اذنْ من شأن الثلاثيات أن تُرَدَّ الى الثنائيات .

« المُعجَمِيَّة » (lexicologie ou lexicographie) علمُ وضع المعاجم ليس من حيث التدوين ، والتنظيم فحسبُ ، بل خاصَّةً من حيث الاشتقاق ، وتنسيق المعاني ، وتبيان المناسبة بينها بطريقة منطقيّة .

ان هذا السفر لا ضيق من ان يستوعب موضوع « المُعجَمِيَّة الثُنائِيَّة — الأَلسُنِيَّة » ؛ اذ ان ما يحويه ليس سوى طائفة من الامثلة على الاسلوب

الذي نتبعه في هذا العِلم الجليل ، ودليل من الدلائل على ما يجنى منه من الفوائد الجمة للعربيّة . وقسم من ابحاثه مجموع من مقالات كنّا قد انشأناها في هذا الباب ، ونشرناها في بعض المجلات العربية [1] ؛ والقسم الآخر جديد الوضع والنشر .

فاملنا ان هذه الابحاث ، التي نضمّها في كتابنا هذا — بعد ان أجرينا في بعضها شيئاً من التغيير ، او الزيادة ، او الحذف — تكون أقرب منالاً ، وأجدى نفعاً للجمهور المثقّف من ابناء اللغة العربية .

نرى في هذه الكلمة ما به الكفاية لتبيان الغرض من نشر هذه الامثلة . أمّا « المُعجَم الثُنائيّ ـ الأَلسُنيّ » ، الضافي الذيول ، الخليق بان يُوضَع في هذا المعنى ، فيقتضي له مقدمة واسعة النطاق ، يُدرَس فيها « نَظَريّة الثُنائيَّة ، وطريقة الأَلسُنيَّة » من جميع الوجوه ؛ ويُعمَد في انشآئه الى مختلف الوسائل العلمية من حيث التوجيهات ، وذكر المصادر ، ودَعم الاقوال بالنصوص اللغوية ، الى غير ما هناك من الشروط الضروريّة لتدوين المعاجم تدويناً عصرياً .

وغير خافٍ عنّا ان النظريّات القائمة عليها ابحاثنا لا تروق في عيون « المحافظين على القديم » من معجميّين شرقيين أو مستشرقين ، لعدم مألوفيّتها في تقاليدهم اللغوية . لكن لا بأس في ذلك ، ولا محلّ للخشية من المعارضة والانتقاد . فان الحقيقة بنت البحث ، وباحتكاك الآرآء يبرق وميضها . و « الاجتهاد العِلمي » حَلبةٌ ، اذا جال فيها أرباب التقصّي ، بحكمة وجُرأة وثبات ، فلا ينجم عن هذا السعي سوى الخير كل الخير للغتنا العربيّة ، الناهضة نهضتها هذه العصرية المباركة .

---

[1] راجع « مجلة المشرق » البيروتية ، من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣١ — ثم « مجلة المجمع العلمي العربي » الدمشقية ، مجلد ١٤ ، جزء ١ و ٢ —

البارِيَة ليست بفارسيَّة

سئلت احدى المجلاَّت هذا السؤال :

« أأصاب ارباب المعاجم العربية بقولهم : « البارية او البورية الحصير المنسوج من القصب ، وهي كلمة معرّبة أصلها فارسيّ » ؟ فان كان صحيحاً ، فما هو اللفظ الفارسي الاصل ، وما هو مدلوله ؟ وإن لم يكن ، فما رأيكم في الأمر ؟ »

فاجابت المجلّة : « البارية او البورية فارسية لا تحتمل شكاً . وهي في هذه اللغة « بوريا » بضم البآء ضمًّا غير صريح؛ اذ تلفظ (boriâ) . ومعناها الاصلي نوع من القصب يكثر في الآجام ، ويشبه البلاج بعض الشبه ؛ تتخذ منه الحصر او البواري . »

تقول المجلة المذكورة : « البارية او البورية فارسية لا تحمل شكاً . » واما الظاهر لنا فهو ان « البارية او البورية ليست بفارسيّة قطعاً » فما اصلها اذن ؟ ذاك ما يجيب عليه هذا المقال .

فضل « الألسنيّة الساميَّة » هو انها تفرض معرفة جميع ألسن بني سام ، ولو بدرجات متفاوته ؛ مما يمكن صاحبها من مقابلة هذه اللغات بعضها ببعض ؛ فيتوصل الى استنتاج نتائج ، وحلّ مشاكل كثيرة . وهو ما يعجز عنه من ليس له وقوف الآ على لسان واحد او اثنين منها . فمن قال : « البارية فارسيّة لا تحتمل شكاً » قد صدّق ، دون تروٍّ ، قول المعاجم العربية ؛ او لانه وجدها في الفارسية ، فتخيَّل له ما تخَيَّل . أجل ! ان هذه اللفظة واردة في اللغة الفارسيّة . ولكن هل يا ترى مجرّد انتظام كلمة في سلك الفاظ لغة من

اللغات دليل على انهـا من أصل تلك اللغة ؟ لو سلّمنا بهذا المبدأ ، لجعلنا مئات بل الوفاً من الكلم من اصل لسان قوم ، وهي ليست الاَّ دخيلة فيه .

ان هذه اللفظة التي تخيّل للبعض انها فارسيّة ، لورودها فيها ، لها وجود في التلمود البابلي ، وفي اللغة الأرمية السريانية ، وفي الأكّديّة (الاشورية — البابلية) ؛ ولها أثر في العبريّة ، والحبشيّة ، والعربيّة عينها . فمن اي ينبوع من هذه الينابيع قد صدرت ؟

قبل الجواب على هذا جواباً ألسُنياً ، نرى من المفيد ، بل من الضروري ، ان نمهّد السبيل بكلمتين ، اولاهما في تاريخ مستندات اللغات التي لهـا دخل في هذا المقال ؛ وثانيهما في الوطن الذي تكثر فيه المادّة الدّالة عليها هذه الكلمة .

☆ ☆ ☆

الفارسيّة : لغة من طائفة اللغات الايرانيّة . أول اطوارها طور « الفارسي القديم » ؛ وليس له من الآثار سوى الشيء الزهيد ؛ اذ لا يعرف الاَّ من بعض الرقُم المِسماريّة المنقوشة على جدران القصور في پَرسيپوليس وغيرها ، على عهد سلالة كورش الفارسي ؛ اي بين القرن السادس والرابع ق. م. — طورهـا الثاني هو طور « الزَندِيَّة » بين القرن الثاني ق. م. والقرن الثالث ب. م. — طورها الثالث هو طور « البَهلَويَّة » ، على عهد الساسانيين ، بين القرن الثالث والقرن السابع وما بعده . — طورها الرابع هو طور « الفارسيَّة الحالية » المتفرعة عن اللغة البَهلَويَّة ، والراقية آثارها الى القرن التاسع ب. م.

الاكّديَّة : طورها الاقدم من ٣٨٠٠ ، حسب التوقيت الطويل ، او من ٣٠٠٠ ، طبقاً للتوقيت القصير ، الى عهد السلالة الحموربيَّة ، اي الى ٢٠٠٠ وما بعد ، الى العهد الأشوري وهو طورهـا الثاني ، اي منذ آواخر الالف

الثاني الى عهد الدولة البابلية الجديدة ، في أخريات القرن السابع ، وهو طورها الثالث . فمن منتصف الالف الثالث حتى اوائل الالف الاول ق . م. كانت لغة بابل وأشور الأكّديّة وحدها . لكن منذ القرن الثامن أخذت اللغة الارميّة تغالبها حتى محقتها من التكلّم .

العبريّة : أقدم آثارها اسفار موسى . واكثر بقية الاسفار المقدّسة كُتِب بين القرن التاسع والسابع ق. م. وانحطت اللغة العبريّة بجلاء اليهود الى بابل ، في القرن السادس . وفي اثنائه تعلّم اليهود الارميّة التي كانت سائدة في ذلك العصر ؛ فانتشرت بينهم . وعند الفتح الاسكندري لفلسطين (٣٣٢ ق. م.) ، كانت العبرية قد زالت من ميدان التكلّم ؛ وقامت عوضها الارميّة .

الارميّة : مما ورد في العهد القديم وفي الآثار المسمارية الاكّديّة ان الآراميين كانوا من القبائل الرُّحَّل ؛ مواطنُهم من شمال بلاد العرب الى تخوم سوريّة ، وفلسطين، وبابل . وقد ظهروا في التاريخ بين القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق. م. وتغلغل اكثرهم تدريجاً في الديار الحَضَريّة . وتوصّل حضريّوهم الى اشغال المناصب العاليَة في الدولة البابلية الثانية ، والدولة الفارسيَّة . ومنذ القرن الثامن كانت لغتهم آخذة في الانتشار والنفوذ في تلك الاصقاع ، حتى انها أضحت اللغة الرسمية ، في زمن الدولتين المذكورتين . ومحت الارمية ، مع توالي الازمان ، بقيَّة اللغات الساميَّة ، كالاكّديّة ، والفنيقية والعبرية . والارمية لهجات شرقيَّة وغربيّة . ومن اللهجات الشرقية ، الارمية الرَهَويَّة او السريانية ؛ ومنها ارمية التلمود البابلي . وأقدم آثار الارمية في الديار البابلية ، هي الراقية الى القرن التاسع ق. م. ، ثم آثار القرن

الخامس ، وهي عناوين اللويحات المسمارية ؛ وعهد التلمود البابلي القرن الخامس والسادس ب. م. والسريانية ترقى آثارها الى القرن الثالث ب. م.

الحبشيّة : هي لغة العرب اليمنيّين القدماء الذين نزحوا تدريجاً الى بلاد الحبشة قبل التأريخ الميلادي بعدّة أجيال . وهذا اللسان موآخٍ للعربيّة ، ولا سيّما الجنوبيّة ، اي الحميَريّة . وطوره القديم طور لغة «الـكّعز». (Gu'èz) ولا يعرف شيء من آثاره الاّ في القرون الاولى للتأريخ الميلادي بقليل من الرُقم . وأثره المهمّ — بعد تنصّر الحبشة في القرن الرابع — هو ترجمة الكتاب العزيز . ودامت « الـكّعز » الى القرن الثاني عشر ، فزالت من التكلّم . فخلفتها عدة لهجات تستعمل حتى اليوم أهمّها « الأمحَري والتِكري » [١]

☆ ☆ ☆

هذا في شأن المستندات اللغوية . أمّا في صدد الموطن الذي تكثر فيه المادّة الدالّة عليها لفظة « البارية » اعني القصب ، فاقول : لا عجب اذا جهل احوال العراق من كان غريباً عنه . لكن انت ، يا ابن الوطن العراقي ، المطلع على كلامي هذا ، انت من أهل الديار ؛ وصاحب الدار ادرى بما فيه . فانك ، ولا ريب ، قد جلت في نواحي مملكتنا الجنوبية ، اي في ألوية الكوت ، والعمارة ، والديوانية ، والمنتفق ، والبصرة . ألَم ترَ ان اغلب تلك

---

١ راجع الكتب الآتية : Renan : *Histoire des langues sémitiques* .
Brockelmann : *Précis de linguistique 1re partie : Langues sémitiques, (Trad. fse de Cohen)*
Les langues du monde (groupe sémitique, groupe iranien) par un groupe de savants, sous la direction de Meillet et de Cohen

البقاع ممتدة فيها المستنقعات، او البطائح، او الاهوار؟ أوَ لم تسمع قطّ باسم اهوار العمارة، وسوق الشيوخ، والناصرية، والكحلاء، والخميسيّة، ولا سيما «هَور الحمّار» الشهير؟ وبما في تلك السهول من غابات القصب الكثيفة الواسعة؟ وبالحقيقة ان اكثر اهالي تلك الربوع يسكنون تحت «الصرائف» (جمع صريفة، وهي البيتِ او الكوخ من قصب). ويستعملون القصب لصنع القوارب السائرة في الاهوار، والمدعوة «مشاحِيف»، مفردها مَشحُوف؛ ويعملون منه الحصر المعروفة باسم «البواري» جمع «بارية»، وهي الكلمة التي يدور بحثنا عليها. وهذه البواري تنقل الى جميع مدن العراق الجنوبي والمتوسّط، من الخليج الفارسي الى سامرآء وتكريت؛ وتستخدم — كما يستخدم ايضاً القصب غير المصنوع — لاغراض مختلفة؛ وتدخل بنوع خاصّ في تسقيف البيوت. فجنوب العراق اذن موطن ومنبت طبيعي للقصب، لتوفر الأهوار فيه؛ مما لا نجده في العراق المتوسط والشمالي؛ وبالاولى حجّة في بلاد فارس الجبليّة، المتعذّر وجود المستنقعات فيها. ومن ثم فالبواري سلعة ليست مستَجلبة الى العراق، بل مصنوعة فيه. فهي اذن محليّة، وطنيّة. ومن البديهي ان يكون اسمها وطنياً عراقياً.

لكن ربما يتصور القارىء ان وفرة القصب والبواري في العراق بنت يومها، او انها من حسنات الرقيّ العصري. كلاّ، فان جنوب العراق المسمّى قديماً «البلاد الشُمَريّة – الاكّديّة، او الديار البابلية – الكلدانية» قد بقي الى اليوم على ما كان عليه في العصور المتوغلة في القدم؛ لانه ابن الرافدين، وميدان المستنقعات. وهذا «هَور الحَمّار» الواقع بين خليج فارس ومصبّ النهرين القديم قد احتاطته في كل زمان السهول النابت فيها القصب بغزارة عجيبة. ومدينة أرَيدو (Erêdû) الثغر الشُمَري الشهير، كانت واقعة على ضفّة هذا الهور المدعو «بحراً» عند البابليين الاولين. وقبل أزمنة التأريخ كان الاقوام الحالّون هناك يسكنون في الاكواخ المبنيّة باللبن،

او تحت « الصَرائف » ، وذلك قبل الاحتلال الشُمَري . حتى ان « شُمَر » عينها — وان لم يثبت معنـاها بتدقيق — الاَّ ان بعض علمآء الاشّوريات يذهبون الى ان مؤدَّاها « ارض القصب » ، لكثرة ما هناك من البراع النامي بين الاهوار . ومنذ ٣٠٠٠ سنة ق. م. ، بعد استنباط الآجر او اللبن المشوي ، لم يستعمَل هذا الآجر ، او « الطابوق » ، في عرف العراقيين اليوم ، الاَّ لبنآء القصور والهياكل وبيوت علّية القوم . وأمَّا الفقرآء فكانوا يستخدمون القصب للصَرائف ، ولصنع المشاحيف ، او القوارب[١] .

ويُذكَر في متَخَيَّلات البابليين ان « أُتُو نَبِشْتِيمْ » المقابل لنوح التوراة في حكاية الطوفان البابليَّة ، كان يسكن في مثل هذه الصَرائف ، حين اتاه « أَنكِي » الَه الحكمة ، فباح اليه بسرّ الآلهة ، وهو قصدهم انزال الطوفان بالبشر . واذ لم يتمكن ان يكلّمه رأساً ، وجَّه الخطاب الى الصريفة ، مسمِّياً اياها « kikkiś » ، فقال :

ki-ik-kiś, ki-ik-kiś, i-gar, i-gar, يا صريفة ، يا صريفة ، يا حائط ، ياحائط

ki-ik-ki-śu, śî-mê-ma, i-ga-ru, ḫi-is-sa-as. يا صريفة اسمعي ، يا حائط افهم[٢]

وكذا كان الحال في عهد « كُودَيعا » (٢٤٩٢ ق. م.) ؛ فان اكابر القوم كانوا يستعملون الآجر للحيطان ، وجذوعَ النخل لجسور تمتد من حائط الى حائط . وأمَّا العامة فكانت تسكن في الصرائف . وسارت الاحوال على هذا المنوال ، على تعاقب الادهار ، حتى ايامنا هذه .

---

١ *Cambridge ancient history.* Vol. I, pp. 356, 496 ss

٢ *Premières civilisations,* par un groupe de savants, p. 95

☆ ☆ ☆

هذا في شأن وفرة القصب والبواري في العراق ، اي البلاد الشُمَرِيّة — الاكَّدِيّة . أما ورود اسم « البارية » قديماً ، وفي اية لغة ورد قبل غيرها ، فهذا ما بقي علينا تبيانه . فقد ظهر لك من الفذلكة السابقة ان الفارسيَّة القديمة والزنديّة قليلتا الآثار ؛ وان الفارسيَّة البهلوية هي التي كانت دارجة في البلاد ، زمن وضع المعاجم العربية ؛ وان التلمود البابلي ارميّ اللسان ؛ وان الارمية كانت منتشرة ورسميَّة عصر السلطنة الفارسية القديمة عينها ، بل في عهد الدولة البابلية الثانية ، ومنذ القرن الثامن ق. م. — أما الاكدية فترقى الى منتصف الالف الثالث ق. م. والحال ان كلمة « البارية » واردة ، فضلاً عن العربية والفارسية ، في التلمود البابلي ، وفي الارمية ، ولا سيما في الاكدية القديمة والحديثة . فاستناداً الى هذه المعلومات التأريخية الظاهر منها أقدمية الاكَّديَّة ، واحدثيَّة الفارسية نسبةً اليها ؛ وبعد الذي عرفناه من كثرة القصب والبواري في جنوب العراق ، منذ العصور القديمة ، لا بل من العصر السابق للتأريخ ، نظن ان النتيجة الطبيعية والمنطقيَّة التي يمكن استخراجها هي ان كلمة « البارية » هذه « أكَّديَّة النجار » ؛ فنقلت الى الارمية (والتلمود البابلي ضمن الارمية) ، وتناولتها الفارسيّة ، إماً رأساً من الاكَّديَّة ، وإما عن طريق الارمية ؛ وعن الفارسيّة اخذتها العربية ، على رأي اهل المعاجم ومن آمن بقولهم . لكنَّا نفضل الارتيآء بانها دخلت العربية عن لغة عراقنا عينه ؛ لان هذه اللفظة لم تندثر قط في بلادنا ، بما ان القصب وحُصُرَ القصب لم تزل فيها ؛ وحتى اليوم ندعوها « بواري » .

دونك الآن الشواهد المتعدّده على ورودها في المواطن المذكورة . جآءت في التلمود البابلي بصورة « Bûryâ » وفي الارمية السريانية Buryâ جمعها

Buruyâṯâ او Buryâṯâ ؛[1] وفي الفارسية Bôryâ ؛ وفي المعاجم العربية : البوري ، والبورية ، والبورياء ، والبارية . أما الاكدية ، لغتها الاصلية ، فقد أُستعملت فيها منذ طور البابلية القديمة المُشاهَد فيها علامات الاعراب ، وذلك بصورة Burû . مثاله ما جآء في احد الاناشيد القديمة :

« Amatsu umma martam Kima « burû » ukappar » وتعريبه :

« كلمتُه (أوأمرُه) تزيل الأم والبنت كما تُزال (او تُرفَع) « البورو » اي البارية او حصير القصب .

ومما يُثبِت ان كلمة Burû تدل على شيء معمول من قصب هو انها غالباً ما تأتي مسبوقة بعلامة التخصيص ؛ كما هو جارٍ في الكتابة المسمارية . مثلاً : دجلة والفرات ، يسبقها علامة النهر (narû) (اصلها nahru) ؛ بابل ونينوى ، تتقدمها علامة المدينة (alu) ؛ شُمَر وأكّد ، توضع قبلها علامة البلد (matu) ؛ نَبو وشَمَش ، ترسم قدامها اشارة الألوهية (ilu) ؛ وما شاكل ذلك . والحال ان المُخَصِص السابق ، عادةً ، كلمة burû هو qânû اي القصب ؛ ومقابله في العربية : القنا ؛ وفي السريانية : qanyâ ؛ وفي العبريّة : qânê ؛ وفي الحبشية : qanât . ومن الشواهد التي لا تبقي مجالاً للشك في أن burû تدل على الحصير المنسوج من القصب هي الرسالة المدرجة في مجموعة رسائل العهد البابلي الحديث ؛ وفيها يعلِم المُرسِل « نبوزيرابني » المُرسَلَ اليه « رِيْمت » كيفية صنع البواري . وها نحن نوردها لك منقولةً بالابجدية الصائتة او اللاتينية ، ومترجمة الى العربية ، ومذيلة ببعض الحواشي ، تتميماً للفائدة . وقد عثرنا عليها منشورة في كتاب المسيو فرانسوا مارتن الفرنسي :[2]

---

[1] المطران منّا الكلداني : معجم دليل الراغبين في لغة الآرميين ، ص ٥٧ .

[2] François Martin : *Lettres néo-babyloniennes* [Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes] p. 108, n° 152.

Duppu [1] ilu Nabu-zêr-ibni ana Ri-mut [2] aḫi-śu [3].	رسالة من «نبوزيرابني» الى «رِيمُت» اخيه.
ilu Bêl u ilu Nabû śu-lum aḫi-ia [4] liq-bu-ú.	الاله بَيل والاله نبو صحةَ اخي فليحمّا .
Kaspa śa ilu śamaś śa [5] a-na qâna [6] *bu-ra-ni-e* [7] iddinu	فضّة الاله شَمَشْ (المخصّصة لصنع) « البواري » قد سلّموها .
Ṣâbê mes [8] śa iś-śú-ma am-li-lik.	العملة الذين أتوا بها فاوضتُهم . —
Al-kam-ma lu-kal-lim-ka. —	هلُمَّ ، فأرِيَك (كيفية العمل) . —
A-mur ḫar-ra śa qânu *bu-ra-ni-e*.	هوذا (انظر) مستنقع صغير (لغرس القصب المُعَدّ لصنع) «البواري».
Iśtên amîlu, ima ku-tal-li-ka, is-si-ir.	رجلٌ واحدٌ، في حديقتك، يحوِّطها.
Al-kam-ma ṣâbê mas ana bêli-ia [9] lu-kal-lim.	هلمَّ، لكي العملةَ (في حال الشغل). لسيّدي أُريَ .
800 qânu *bu-ra-ni-e* ina pân bêli-nu. —	(ها هي ذي) ٨٠٠ « بارية» (من قصب) (معدّة) لأمر (اي قدّام) مولانا -

١ duppu معناها اللِبْنة او الآجرة ؛ ويقابلها ، لفظاً ومعنى ، الكلمة العربية « طُوبَة » المستعملة خاصةً في مصر . واذ كان سلفاؤنا البابليون يكتبون لغتهم ، بخطها المسماري ، على لُوَيحات من لِبن (او طُوبات) سمَّوا الرسالة باسم اللِبنة او الطُوبَة المكتوبة عليها —

٢ Nabu zêr ibni : اسم علم للمُرسِل ، مركّب من جملة معناها : « الاله نبو اقام زرعاً او ذرّية » ويقابلها بعض المقابلة ، في اصطلاحنا ، اسم « رزق الله » . واسم المُرسَل اليه Rimut اعني رحمة .

٣ ahišu من ahu الاخ كالعربية . و šu ضمير الغائب المقابل للهآء العربية .

٤ هذا الضمير ia خاصٌ بالاكَّدِيَّة ؛ وقد بقي في عربيَّة عراقنا ؛ وهو أثر من لغة بلادنا القديمة . فاننا نقول اليوم : « أَبُويَا ، أَخُويَا ، حَمُويَا » عوض : ابي ، اخي ، حمي .

٥ ša اسم موصول او اداة اضافة كما في العبرية .

٦ qânu وردت في هذه الرسالة كاداة تخصيص لكلمة burâni

٧ burâni جمع burû اي الحصير المصنوع من قصب او « البارية والبواري » وقد تكرّرت ثلاث مرات في هذه الرسالة . وفي كل مرة تسبقها كلمة التخصيص qânu لتدل على القصب ، المادة المصنوعة منها .

٨ mes علامة الجمع تكتب ولا تقرأ .

٩ bêliia ، على وزن ahiia ، حذفت منه العين لانها حرف حلق . واصله ba'liia ومعناه « بَعْلي » او سيدي .

☆ ☆ ☆

لقد ثبت الان ، على ما لاح لنا ، أن « البارية او البورية ليست بفارسيَّة قطعاً » ولا هي آرامية ، بل « أكَّدِيَّة » اي عراقية قديمة كانت مادتها مستعملة في اوطاننا عصرًا لم يكن فيها لا ارميون ولا عبريون ولا فرس ولا عرب ؛ بل كانت آهلة بسكانها الاقدمين اعني بهم الشُمَريِّين ـ الاكَّديين . اما اهل المعاجم العربية ، فلعدم علمهم كل هذا ، ولوجودهم الكلمة في الفارسية ، سقطوا في وهدة الخطأ ، بادعائهم انها فارسية ؛ فورّطوا في ورطتهم حتى أئمة عصرنا المحِّصين ، المنتقدين ، المغربلين ، القائلين القول الفصل : « البارية او البورية فارسية لا تحتمل شكاً . » لكن قد فات هولآء كما فات اولئك ما ورآء الأكمة .

دونك ، زيادةً في الجلآء ، طريقة اشتقاق كلمة burû الاكّديّة . وتعلمك ان الحروف الحلقية تسقط في هذه اللغة ، ما عدا حرف الخآء . وعليه فأصل burû يكون bur'u (بُرعُو) ؛ سقطت منـــه العين ودلت على ذلك الحركة الطويلة في آخره . وما يا ترى يكون معنى bur'u ؟ تُعيننا على معرفة ذلك اللغة الحبشية ؛ اذ نجد فيها (برْعْ ، ber') جمعه (أَبرَاعْ Abrâ') ، ومدلوله « القصب ، القلم ، اليراع »[1] واذا كان الأمر كذلك ، فأصل « ber' و bur'u » واحد . نزيد عليه ان اليراع العربية (او الوُرْع) من عين هذا الاصل . اذ معلوم أن الواو والياء ، في اللغات الساميّة عموماً ، وفي العربية خصوصاً ، يكثر تعاورهما . ودليله وجود المثال الواوي واليائي . ومن هذه المادة نجد في العربية فِعلَي « وَرُعَ وَيَرِعَ » أمَّا في شأن ابدال البآء ، الموجودة في الكلمتين الاكّديّة والحبشية ، من حرف الواو او اليآء في العربية ، فنقول : ان ابدال اليآء بالواو نرى له مثالاً في السريانية الشرقية التي يجري فيها الترخيم بلفظ البآء واواً ؛ كقولك « آوا âwâ » و « وْرَا wrâ » في ترخيم « آبا » و « نْبرَا » ؛ فضلاً عن ان فعل rabrêb تلفظ لا بل تكتب باؤه واواً ، اليوم كما في القديم ؛ فيقـال rawrêb . ومقابل « بُرعُو bur'u » في العربية « وَرُعَ ويَرِعَ ثم يَرَاع » ، ومقابله في العبريّة فعل yâra' . — نعم ان فعل « يَرِعَ » العربي مدلوله : صار جَباناً ؛ ومعنى : وَرُعَ : صَغُر وجَبُن وتحرّج ، اي كفّ عن المحارم ؛ بيدان هذه الدلالة مجازيّة ، وقد فُقِدت او لم تَرِدِ في الفعلين المذكورين الدلالةُ الاصليَّة ؛ وربّما أنها فاتت مدوّني المعاجم ؛ وبقيت في الفعل العبري المراد به : اهتزّ وارتجف . وسبب تسمية القصب « يَراعاً » تمايله واهتزازه ومن ثم يشبَّه به الانسان ، فيقال : يتمايل فلان او يهتز

---

[1] *Dillmann :* Lexicon linguae Aethiopicae, p. 506.

او يرتجف كالقصبة . والاصل في اليَراع القصب ، ثم سمّي به الجبان او الضعيف ، لاهتزازه وارتجافه كالقصب او اليَراع ساعة الخطر . هذا وفعل « وَرُع » الواوي الذي مصدره او اسمه « وُرْع » يشتق منه « الوَرِع » اي المهتزّ والمرتجف او الخائف من الله ؛ ولخوفه منه تعالى ، يتحرّج اعني يكفّ عن المحارم [1] .

وأصل « وَرُعَ ، ويَرِعَ » الثلاثيين هو الثُنائِي « رَعْ » الظاهر معناه في الثنائي المُثنَّى « رَعْرَعْ » الدال على الحركة والاهتزاز والاضطراب . من ذلك جآء « رَعْرَعَ » المآء الصافي : اضطرب على وجه الارض ؛ و « تَرَعْرَعَ » الصبيُّ : تحرّك ونشأ ؛ و — السِنّ : تحرّكت وقلقت . ومنـه ايضاً « الرَعْراعُ والرَعْرَعُ » : القَصَبُ الطويل ، وهو هذا النبات المهتزّ ؛ و — الجبانُ ، اي المرتجف من الخوف .

خلاصة البحث : « البارية ليست بفارسيّة قطعاً » ؛ ولا هي إرمية ، بل هي في الاصل كلمة burʿu او burû الاكّديّة . ومعناها « اليراع او القصب » وباسم القصب دعي الحصير المنسوج منه ، من باب تسمية المصنوع باسم المادّة المصنوع منها . فاذن « البارية او البورية » عراقية قحّة ، لا غبار عليهـا ، عمرها ما يربو على الاربعين قرناً .

هذا رأينا ، أبديناه باسم حريّة القول في العلم ، وان ناقض بل قوّض راي اصحاب المعاجم العربيَّة وأتباعهم . على كل حال ، ان ظهر بهذا المقال شيء من الحقيقة خفي عن المتقدمين وفات المتأخرين ، فما الفضل في ذلك الاّ لمبادىء وطريقة « الثنائية والألسنية الساميَّة » .

---

١ لسان العرب : جزء ١٠ ص ٢٦٨ و ٢٩٥ .

أصل كلمة «الحواريين»

مظاهر ورودها

هذه اللفظة مشتهرة بين الجمهور بانها «قرآنيّة»؛ لكن الباحث يجدها واردةً، فضلاً عن المصحف، في ما دعوه «الشِّعْر الجاهلي»، وفي الحديث، والاناجيل المعرّبة، والكتب النصرانية الكنسية. ولذا يجدر بنا، توفيةً للبحث، ان نتقصّى أثرها في جميع هذه المواطن، لنرى ماذا يراد بها.

في الشعر الجاهلي

جآءت «الحواريّون» مفردة مذكرة، في القصائد المعروفة بالاصمعيّات، على لسان الضابيء بن الحارث، قال:

«وكرَّ كما يكرّ «الحواريّ» يبتغي — الى الله زُلفى ان يكرّ فيقتلا».

ووردت بهذه الصيغة أيضاً في البيت الآتي المنسوب الى السموءل:

«وسليمان «والحواريّ» يحيى — ومتّى ويوسف كأني وليت»

الظاهر من البيت الاول ان كلمة «الحواريّ» مطلقة على تلاميذ المسيح. وقد سمّي الجميع باسم الواحد. ويؤيّد ذلك البيت الثاني الذي يدعو باسم «الحواريّ» اثنين من الرسل، وهما يحيى (يوحنا الحبيب) ومتى الانجيلي. الا ان ذلك لا يأتي بادنى دلالة على معنى «الحواريّ» واصلها.

في القرآن

ذكرت اللفظة، بصيغة الجمع المذكر، في ثلاث سور من الفرقان، كما يلي:
«فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر، قال: من أنصاري الى الله؟ قال

« الحواريّون » : نحن أنصار الله ؛ آمنّا بالله ؛ واشهد باننا مسلمون ».
(عمران ٥٢)

« واذ اوحيتُ الى « الحواريين » ان آمنوا بي وبرسولي ، قالوا : آمنّا ؛ واشهد باننا مسلمون. اذ قال « الحواريّون » : ياعيسى ابن مريم ، هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدةً من السمآء ؟ قال : اتقوا الله ، ان كنتم مؤمنين . »
(مائدة : ١١٤، ١١٥)

« أيّها الذين آمنوا ، كونوا أنصار الله ؛ كما قال عيسى ابن مريم « للحواريين » : مَن أنصاري الى الله ؟ قال « الحواريّون » : نحن أنصار الله » .
(الصف ١٤)

لا يظهر من هذه الآيات الاّ علاقة تلك الفئة من القوم بالمسيح ، الذي يدعوه المصحف « عيسى ابن مريم » أما معنى الحرف واصله فليس هناك ما يهتدى به اليها .

فان كان الشعر الجاهلي والقرآن خلواً من دلالة — صريحة ام ضمنية — على أصل اسم « الحواريين » ، فلنعمد الى المفسّرين واهل المعاجم ، لعلّنا نقتبس شعاعاً من نورهم . قال الطبري (طبعة مصر ، ج ٣ ص ٢٠١) « واشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى « الحواريين » قول من قال : سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم ، لانهم كانوا غسّالين . وذلك ان الحَوَر ، عند العرب ، شدّة البياض . ولذلك سمّي الرجل الشديد بياض مقلة العين : أحور ؛ والمرأة : حورآء . وقد يجوز ان يكون حواريّو عيسى كانوا سمّوا بالذي ذُكر ، من تبييضهم الثياب ، وانهم كانوا قصّارين . فعرفوا بصحبة عيسى واختياره اياهم لنفسه اصحاباً وأنصاراً . فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل ؛ حتى صار كل خاصةٍ للرجل من أصحابه وانصاره « حواريّه » . ولذلك قال النبي (ص) : لكل نبيّ حواريّه ، وحواريَّ الزبير . يعني خاصته . »

قال النيسابوري (في حاشية الطبري، ج ٣ ص ٢٠٣): « حواريّ الرجل صفيُّه، وخالصته... وحوّرت الثياب بيّضتها، والحواريّ واحد؛ ونظيره الحواليّ وهو كثير الحيلة؛ والجماليّ الرجل الضخم الأعضاء. عن الضحاك: الذي يغسل الثياب، بلغة النبط، « حواريّ »؛ فعُرّب. وأما الحواريّون من هم، فقيل: هم الذين كانوا يصطادون السمَك، فاتبعوا عيسى وآمنوا به... قالوا: من أفضل منّا؟ اذا شئنا، أطعمتنا؛ واذا شئنا، أسقيتنا؛ وقد آمنّا بك. فقال: أفضل منكم مَن يعمل بيده، ويأكل من كسبه. فقال: فصاروا يغسلون الثياب، فسمّوا « حواريّين ».

وقال البيضاوي (ص ٦٩): « حواريّ الرجل خالصته؛ من الحَوَر... سمّي به اصحاب عيسى، عليه السلام، لخلوص نيّتهم، ونقاء سريرتهن، وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض، استنصرهم عيسى، عليه السلام، من اليهود. وقيل: قصّارين يحوّرون الثياب. »

وفي وسعنا ان نورد اقوال غير هولآء الأئمة، وشواهد اهل المعاجم. الا أننا نعدل عن ذلك، لتشابه آرائهم جميعاً، ولنقلهم الواحد عن الآخر. وقد قال بقول الاقدمين المفسّرون العصريّون؛ منهم مولوي محمد علي الهندي، الذي نشر القرآن بنصّه العربي، وبازائه ترجمته، وبذيله تفاسير ضافية بالانكليزيّة.[1]

وانت ترى انه من العسر استخلاص نتيجة ثابتة من هذه التفاسير والاقاويل المضطربة المتضاربة، لاستنادها، لا الى مصادر تأريخية، بل الى السند العزيز على الاقدمين، الملخّص بهذه العبارة الشهيرة: « قيل ويقال » والسبب في ذلك ان هولآء الشرّاح لم يطلعوا، هم بذاتهم، على المستندات

---

1 *The Holy Qur'ân:* (p, 159) by Moulwi Muhammad Ali Lahore, Penjabe, India, 1920.

ذات الشأن ؛ بل كانوا يسائلون ، في ذلك ، النصارى الذين دانوا بالاسلام . واغلب هولآء كانوا من الطبقة الجاهلة الانجيل ، واصول الدين ؛ فنقلوا اليهم هذه الاخبار وغيرها مشوّهة ، ممسوخة . أما ما عرفناه من الانجيل والتأريخ الكنسي والمدني ، فهو ان اكثر تلاميذ المسيح كانوا صيّادين . ولم يرد في احدى هذه المظانّ انهم كانوا « قصّارين أو ملوكاً او غير ذلك »

هذا من جهة التأريخ . أما من حيث الاشتقاق اللغوي ، فالقول بان « الحواريّ » آتٍ من فعل « حَوِر » الدال على البياض ليَظْهَرُ هو ايضاً غير قوي الحجّة . ومنشأه أن اهل المعاجم وائمّة العربية لم يكونوا في الغالب يعرفون غير لغة الضادّ ؛ ولاعتقادهم ان ليس في هذا اللسان — ولاسيما في القرآن — الفاظ دخيلة ، قد اتبعوا قاعدة مطرّدة وهي ان يحاولوا رد كل لفظة الى اصل عربي . ولهذا قد خلّفوا لنا في مصنّفاتهم تآويل وتخاريج لا يقبلها الذوق والعلم العصري .

على اننا ان فرضنا ان « الحواريّ » كلمة عربية ، فنظن ان اشتقاقها من « حَوِر » من الامور غير الهيّنة . دونك اولاً معنى هذا الفعل كما ورد في المعاجم : « حَوِر » الغلام والجارية « حَوَراً » اشتدّ بياض عينه وسوادها ، واتسعت حدقتها . ورقّت جفونها ، وابيضّ حواليها ، مثل الظبآء والبقر . ولا ريب انك لاحظت ان مصدر « حَوِر » ؛ هو « الحَوَر » ؛ فاذا نُسِب اليه قيل « الحَوَرِيّ » . وأما « الحَوار » المنسوب اليه « الحواريّ » فليس مصدراً او اسماً من « حَوِر » ولا معناه البياض ، بل « المحاورة والحديث » .

أجل اننا لا نجحد ان قد ورد في اللغة وزن « فُعالِيّ » . بيد انه ، فضلاً عن ندوره ، لا تستعمل صيغته في الغالب الاّ لاعضآء البدن ، فتدلّ على ضخامة فيها . نحو : رؤاسي : كبير الرأس ؛ أُنافِيّ : كبير الانف ؛ أُذانِيّ : كبير الاذنين ؛ عُضاديّ : ضخم العضدين . وهذا الذي اضطر بعض المحققين ، كالتفتازاني ، الى التخريج ، بقولهم : ان اصل « الحواريّ » هو « الحَوَرِيّ » زيدت فيه ألف ،

عند النسبة، للمبالغة . ونحن نعلم من كتب النحو ان العرب، اذا ارادوا المبالغة في وصف شيء، ادخلوا عليه ياء النسبة في آخره؛ فيقولون في الأحمر « الاحمريّ»، وفي الابيض « الابيضيّ»، وفي الأحوَر « الأحوَريّ».
وعلى كلٍّ سوف ترى ادناه هل لهذه التوجيهات من صحة .

كلمة « الحواريين » عند النصارى .

لمادّة « حَور » بمعنى البياض، وجود ليس في العربية فقط، بل في الارمية والعبرية؛ ولفظتا هذين اللسانين هما Hwar و Hâwar .

أما كلمة « الحواريّين » — بدلالتها على رسل المسيح — فلا دخل لها في العبرية، ولا عند العبريّين . على ان الآراميين — الذين تسمّوا سرياناً بعد تنصرهم، ولذا دعيت لهجتهم الارمية سريانية - قد استعملوا « الحواريّين » في كتبهم التي ألفوها بالعربية؛ وفي الاناجيلهم المنقولة الى هذه اللغة؛ ولديهم كلمة وردت كثيراً في اسفارهم الكنسيّة وهي Hêwârê ومعناها البيض؛ وقد نسبها بعضهم الى الرسل، وقالوا انها مقابل « الحَواريّين » القرآنية؛ لا بل ان لفظة « الحواريّين » عينها معربة عنها . فما علينا — والحالة هذه — سوى مواصلة التنقيب، لنستطلع كنه الحقيقة . نظن ان أقدم كتاب، عند النصارى، وجدت فيه كلمة « الحواريّين »، بعد عصر القرآن، هو كتاب الترجمة العربية « للدياطسرون » او الانجيل الرباعي، الراقي اصله السرياني المفقود الى القرن الثاني، ومعرّبه الى القرن التاسع او العاشر[1] . ثم في كتاب « التراجم السنيه في الاعياد المارانية » لا يليا ابي حليم بطريرك النساطرة، من اهل القرن الثاني عشر . وكذلك في اغلب الترجمات الانجيلية المتوالية قرناً بعد قرن، كالاناجيل الخطيّة الموجودة في خزانة القبر المقدس، للروم الارثذكس في القدس، والمتراوح عهدها بين القرن ١٢ والقرن ١٧ للميلاد.

---

[1] هو الكتاب الذي عُنينا بنشره، ومذكور عنوانه في مفتتح هذا المؤلَّف .

فهذه الاسفار باسرها – كما تحققنا ذلك بمراجعتنا كل المظانّ فيها بذاتنا — تُطلق كلمة « الحواريّين » على الرسل الاثني عشر . الاّ انها – خلافاً للقرآن — تسميهم غالباً باسم الرسل او التلاميذ ، ونادراً باسم « الحواريّين » . وفي بعضها اي كتب الكلدان مثلاً ، نجد كلمة « السلّيحين » التي هي تعريب šlîḥê السريانيّة ، ومعناها الرسل .

هل Ḥêwârê السريانية تأتي بمعنى الرسل ؟

قلنا ان السريان استعملوا ، بعض الاحيان ، في اناجيلهم العربية ، كلمة « الحواريّين » لتسمية الرسل . بيد ان الأظهر لنا انهم أخذوها عن القرآن ، وانها ليست بمترجمة عن Ḥêwârê . أما الحرف الذي عرّبوه ، فهو ، كما رايت اعلاه ، šlîḥê . فلنَرَ الآن هل أُطلق اسم Ḥêwârê على الرسل ، خارج الانجيل .

بين يدينا سبعة معاجم من اشهر كتب اللغة السريانية . اولها وأقدمها معجم « بر بهلول » ؛ واوسعها واتقنها معجم باين – سميث الانكليزي : Thesaurus syriacus ؛ ثم معاجم بروكلمن المستشرق الالماني ، والمطرانين الكلدانيّين : أودو ومنّاً ، والاب برون اليسوعي ، والاب القرداحي الماروني .

ودونك ، زيادة في الايضاح ، مختلف معاني Ḥêwârê الآتية من فعل Ḥwar ، ومدلوله : حَوِر ، ابيضّ :

Ḥêwârê : البيض (اي الثياب) و – الدراهم ، و – البيض (الرجال ذوو اللون الابيض) و – الأمويّون ، للبسهم الابيض ، و – ثياب الشمامسة الانجيليين ، و – لبس اساقفة الفرس ، و – لبس الملائكة .

هذه اغلب المعاني المطلقة على لفظتنا . وما عدا معجمي المطران منّاً والاب القرداحي ، لم نجدها مترجمة بكلمة « الحواريّين » ، في كل المعاجم المذكورة ؛ ولا سيما في معجم باين – سميث ، ذاك الكنز الكبير الحاوي من

اللغة السريانية كل آبدة وشاردة . وكنـا قد سألنا المطران مَنّاً ان يوقفنا على المصدر الذي استمد منه ذلك، فاجابنا انه اعتمد على الاب القرداحي، فنقلها عنه . وأما صاحب « اللباب » فلا ندري اين وجدها ؛ ولا سيا انه ، خلافاً لعـادته المألوفة ، لم يأتِ بنص من الكتبة السريان، السابقين او اللاحقين الاسلام ، إدعاماً لرأيه .

Šabta d'Ḥêwârê

على انه ان كانت هذه اللفظة السريانية لا تدل على « الحواريّين » وهي منفردة ، فلربما دلت عليها وهي مركبة مع لفظة أخرى . وبالحقيقة هناك عبارة أخرى من هذا القبيل ، وهي Šabta d'ḥêwârê ؛ وقد أُختُلِف أيضاً في مدلولها وترجمتها . دونك ما جآء عنها في المعاجم : القرداحي عبّر عنها : بسبّة (اسبوع) « الحواريّين او الرسل » ؛ والمطران منّاً : « بالسبّة التابعة للقيامة والعنصرة »؛ وباين — سميث وبروكلمن وبرون أدّوها بهذا التعبير اللاتيني : Hebdomada albarum اي « اسبوع البيض ». أما بر بهلول فلا يذكر سوى العبارة الآتية : Šâbat-šâbê اي « اسبوع الاسابيع »؛ وتابعه فيه المطران أودو .

استعمالها في الطقوس

لا ذكر لكلمة « الحواريّين » في انجيل الملكيين ؛ وليس عندهم طقس او اسبوع سُمّي بها . وكذا الأمر عند الأرمن . على ان هذا الاسبوع يدعى في كلتا الكنيستين : « اسبوع الفصح ». أما السريان الكاثوليك — وكذا القول في اليعاقبة — فيطلقون على هذا الاسبوع اسمين . ففي كتاب الانجيل والحسّايات نقرأ : Trèn bśabbâ,tlâtâ bśabbâ da-qyamtâ etc اي « اثنين ، ثلاثآء القيامة » الخ . وفي الفنقيت (اي كتـاب الفرض لمدار السنة) نجد

Šabtâ d'ḥêwârê, trên bśabbâ, tlâtâ bśabbâ d'ḥêwârê . وفي كتاب النافورة (كتاب القدّاس) للموارنة نرى ، في قسم الاناجيل ، بالكرشوني: « اثنين الحواريّين ، ثلاثآء الحواريّين » الخ . على ان الكلدان — وكذا النساطرة — لا يدعى هـذا الاسبوع في طقسهم Šabtâ d'ḥêwârê بل Šâbat śâbê .

فالناجم من هـذا كلّه ان الطقوس الشرقية ليست بمتفقة في تسمية هذا الاسبوع ، او بالاحرى انها مجمعة كلها على الاطلاق عليه اسم « اسبوع القيامة او الفصح »؛ وانما تختلف في رسمه باسم Sabtâ d'ḥêwârê . فالسريان الغربيون وحدهم ، اي الكاثوليك والموارنه واليعاقبة ، قد ابقوا هذا الاسم مع الاسم الاول . وقـد ترجمه بعضهم باسبوع « الحواريّين » . أما الكنيسة الغربيّة فقد دعته ، فضلاً عن اسمه العام — وهو Hebdomada Paschæ اي اسبوع الفصح — باسم آخر ، وهو Hebdomada albarum اعني « اسبوع البيض » ؛ الا أنهـا لم تطلق عليه قط اسم Hebdomada apostolorum : اسبوع الرسل .

على ان من الشرقيين النصارى من يزعم ان الرسل دُعوا Ḥêwârê اي « البيض » ؛ ومن ثمّ فاسمهم « الحواريون » ، لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض ؛ ولذا وجب ترجمة Šabtâ d'ḥêwârê باسبوع الحواريّين ، لان تلك الايّام مختصة بهم .

أما من جهة اللبس فنقول : نعم ان اسابيوس القيصري قد ذكر ، نقلاً عن هيجيبيوس ، ان القديس يعقوب ، أخا الرب ، كان يتّشح بردآء من كتّان؛ نعم ان اساقفة الفرس كانوا يرتَدُون بالاردية البيض ؛ لكن هـذا لا يدلّ على ان الرسل ، منذ بدء تبشيرهم ، قد اتّخذوا لهم ثياباً خاصّة تميّزهم عن بقية الناس ، وانها كانت بيضاً لا غير ؛ ممّا حمـل القوم على تلقيبهم بالبيض . وإن

كان ذلك حقيقياً ، فلِمَ لا نرى أثراً لهذه التسمية في بقية الكنائس الشرقية ، فضلاً عن الغربية ؟

أما المؤكَّد فهو أن الرسل كانوا يلبسون الثياب التي كانت مستعملة في زمانهم ، وقد بقي أثرها في أردية الاكليروس الذي ، حتى القرن السادس ، كانت ملابسه كملابس العلمانيين ذوي المقامات . حتى ان البابا سلستينس قد ذمّ في منشوره استعمال ثياب خاصّة كنسيّة . واليك ما جآء في كتاب اللِيتُرجيات ، للعلامة البطريرك السرياني ، السيد رحماني ، قال : (ص١١٦) : «ان القسوس والاساقفة بطبقاتهم لم يكونوا يتميّزون عن العلمانيين في زيّهم الظاهر للعيان الاّ باللحية ؛ اذ لم يكونوا يحلقونها ، دلالةً على زهدهم في الدنيا . وكانت أردية القسوس والاساقفة ، في الغالب ، كاردية الاشخاص الوقورين من العلمانيين . فيلبسون الطيلسان غير المبهرج ، باللون الاسود ؛ وفوق الطيلسان ، يتدرعون بالجبَّة . وقد ورد في مجموعة التواريخ ، لميخائيل الكبير ، بطريرك السريان اليعاقبة ، عن سِيسِينس ، الذي كان اسقف شيعة النوباطيين في القسطنطينيَّة ، على عهد يوحنا فم الذهب ، أنه كان يلبس الطيلسان باللون الابيض ، فلاموه . فكان من جوابه لهم : « وفي اي كتاب ورد ان نلبس الاسود » ؟

فمن هنا نستَدِلّ أن الاكليرس كان في القديم يلبس كالعلمانيين الثياب البيض او ذات الالوان الزاهية — كما الأمر جارٍ حتى اليوم عند الروم الارثوذكس وغيرهم — وقد درجت العادة ، بتوالي القرون ، ان يتشحوا بالسواد ، علامةً على التجرد والزهد . فان كان الاكليروس ، بعد عدة قرون من تأسيس الكنيسة ، لم يكن لهم ما يميّزهم عن العلمانيين بزيّ ثيابهم ، فبأولى حجّة لم يكن للرسل ثيابٌ خاصّة تفرقهم عن غيرهم . زد على ذلك انه

لو كان هذا الاسم قد اطلق حقيقةً على الرسل ، فلم يكن لهم سوى لقبٍ عَرَضي، ولا اسمهم الخاص المذكور في الانجيل ، والذي دعاهم به معلمهم ، كما تشهد بذلك نصوص كثيرة ، منها الآتي: « ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر واعطاهم السلطان على الارواح النجسة ليخرجوها ، ويشفوا المرضى وكل ضعف. وهذه اسمآء الاثني عشر « رسولاً » الاول سمعـان... هولآء الاثني عشر ارسلهم يسوع وأمرهم قائلاً: الى طريق الامم لا تتجهوا ».

المعنى الحقيقي المطلوب على « Ḥêwârê و Šabtâ d'ḥêwârê »

فاذا كان الأمر كذلك ، فما مدلول هاتين العبارتين ، وعلى من اطلقتا ، ان كان اطلاقهما على الرسل غير صحيح ؟ للجواب على هذا جواباً شافياً ، يتحتم علينا ، بادىء بدء ، ان نعلمك ماهية الاشتراك في الدين المسيحي ، فنقول: كان الدخول في حظيرة المسيح يتطلب ثلاثة أمور: العماد ، والتثبيت ، والتناول. على ان الكنيسة ، لكثرة المقبلين اليها ، أخذت ، منذ الاوائل ، في وضع قوانين لتهيئة الطالبين وامتحانهم في ذا الشأن. فنشأ من هذا ما سُمِّي في العرف الكنسي « بالموعوظيَّة ». وكان هذا التعليم الاستعدادي يجري منذ بدء الصيام الكبير ، لكي يتمكن الموعوظون من قبول سر العماد « ليلة عيد الفصح ». على ان بعض الاحيان ، إِمّا لِقصر الوقت ، او لداع آخر ، كان عماد المنتخبين من الموعوظين يؤَجل الى آخر المدة الفصحية ؛ الى ان جآء وقت عُيّن لذلك ليلة عيد العنصرة. أما الكنيسة الشرقية فزادت يوم عيد الدنح او الغطاس ؛ وبتوالي الايام ، جرت العادة ان يُمنَح هذا السر في عيد الميلاد وغيره ؛ حتى جاز اخيراً ان يُعمَّد في اي عيدٍ او احدٍ او يومٍ من السنة.

هذا وكان هناك عادة قديمة ، وهي ان يلبس المعتمدون ، بعد عمادهم ، ثياباً بيضاً ، دلالة على تطهر قلوبهم بنعمة هذا السرّ. وكانوا يبقون لابسينها

منذ ليلة عيد القيامة الى الاحد التابع . وطيلة الاسبوع — فضلاً عن طقس القيامة العام للمؤمنين قاطبةً — كان يجري طقس آخر مختص بهم . فكان يقام لهم صباحاً قداس حافل ؛ ومسآءً دورة ، يتقدمهم فيها الاكليرس سائرين الى جرن العماد ، حيث يُذكِّر عمادهم . وكان هذا الاسبوع يسمّى « اسبوع البيض » من اجل ثيابهم ، كما صرّح بذلك كثيرون من الآبآء والكتبة الكنسيّين ؛ نجتزيء ، ادعاماً لقولنا ، بشهادة الربّان مُورس القائل : « اننا ندعو هذه السبعة الايّام « بيضاً » لان الذين تعمدوا في الليلة المقدسة (ليلة القيامة) يتوشحون باردية بيض في هذا الاسبوع كلّه » . وكانت هذه المدة تنتهي بحفلة ختامية ، « حفلة نزع الثياب البيض » ، تقام يوم الاحد الجديد ؛ وكانت عادةً قديمةً في جميع الكنائس الشرقية والغربية . ولتأخر العماد ، احياناً ، الى العنصرة ، واجرآئه آنئذٍ كما في ايام القيامة ، دعي اسبوع العنصرة ايضاً « اسبوع البيض » وفي السريانية Yowmâtâ ḥêwârê d'pentêquṣṭê .

لكن لمّا انتشرت عادة التعميد ، منذ الطفولة ، وفي اي يوم من السنة ، زال هذا الطقس ، « طقس البيض » ، ولم يبق منه ، فعلاً ، سوى القميص الصغير الابيض الذي يوضع على رأس المعمَّد ، بعد عماده ، دون أن يَلبَسه . واستمرّ أثره في الاسمآء ايضاً . ففي الكنيسة اللاتينية ، في هذه العبارات :

Hebdomada in albis; Sabbatum in albis; dominica in albis .

ومعرّبها : اسبوع البيض ؛ سبت البيض ؛ احد البيض . أما الكنائس الشرقية فقد بطل عندها الطقس ومسمّاه ؛ الا الكنائس السريانية الغربية ، فقد ابقت الاسمآء فقط ، مثل Šabtâ d'ḥêwârê .

على انه مهما يكن من الأمر ، فلا نرى في هذا الاسم او في هذا الطقس اشارةً الى الرسل ، صراحةً ام تلميحاً . فاذن الظاهر ان لا صحة للرأي

القائل بان Ḥêwârê تـدل على تلاميذ المسيح ؛ وبانه من الواجب ترجمة Šabtâ d'ḥêwârê «باسبوع الحواريّين» ؛ بل الاظهر هو ان تترجم Ḥêwârê «البيض» و Šabta d'ḥêwârê «اسبوع البيض» كما اثبتناه. واذا كان الأمر كذلك، نجم ان «الحواريّين» غير آتية من لفظة Ḥêwârê ؛ ومن ثم فلم يصب المرمى لا المسلمون ولا النصـارى في تعليلهم «اصل الحواريّين القرآنية». وسببه ظنهم ان الكلمة عربية او سريانية ؛ فحاولوا اشتقاقها من «حَوِر» و «Ḥwar» ؛ وأوّلوها تلك التأويلات التي لم ينزل بهـا الله من سلطـان[1].

اصل كلمة «الحواريين» الحقيقي.

أما اليوم فبفضل «الألسنية الساميّة» ، المتطلبة الوقوف على هذه اللغات الاخوات ، قد عرفنا ان «الحواريّين» لا عربية ولا سريانية ، بل «حبشيّة». وقبل ان نبيّن لك ذلك من الجهة الألسنية ، نمهّد لك السبيل باظهار طريقة دخول هذه اللفظة من الحبشية الى العربية.

غير خافٍ على من عرف تأريخ جزيرة العرب ان الحبشة — وهم في الاصل يمنيّون ، نزحوا تدريجاً الى افريقية ، جملة قرون قبل الميلاد — كانوا قـد تنصروا منذ العصور المسيحية القديمة. وقد استولوا على اليمن عدة مرات.

---

١ زيادة في الافادة ، نحيل القارئ ، في ذا الشأن ، الى الكتب الآتيه :

Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie. t. I, P. II pp. 3118 ss.

Origine du culte chrêtien, par Duchesne, chap. lx, pp. 299 ss.

Thesaurus syriacus, auctore Payne-Smith, t. I, p. 1231

وكان تملّكهم الاخير عليه في اوائل القرن السادس ، على يد أرياط وأبرهة الأشرم. فكان للحبشة النفوذ العظيم واليد الطولى في نشر النصرانية هناك، قبل الاسلام. وناهيك بشهرة صنعاء والقليس كنيستها ؛ ونجران واسقفها قس بن ساعدة ، خطيب العرب وشاعرها. ولا حاجة الى اثبات ما كان ، في زمن محمد بن عبدالله ، من الاتصال بين الحجاز وبلاد الحبشة ، وبين الحجاز واليمن ؛ فانه يُحكى ان أول المهاجرين ارسلهم زعيمهم الى ديار الاحباش، عند النجاشي. ويذكر المفسّرون ، ومنهم الطبري (ج ٣ ص ٢٠٨) انه : « لما بُعِث رسول الله (ص) وسمع به اهل نجران ، اتاه اربعة نفر من خيارهم ، منهم العاقب ، والسيّد ، وما سرجس ، ومار يحسر . وكان اهل نجران اعظم قوم في النصارى في عيسى قولاً ». فاذن عرف محمد الحبشة ، وقد خالط نصارى اليمن ، ولا سيما اهل نجران ، باساقفتهم وكهنتهم ؛ وقد جادلوه ، فدعاهم الى المباهلة . فلا ريب انه وقف على تسميتهم تلاميذ المسيح « حواريّين » ؛ اذ كانت هذه الكلمة ، مع غيرها من المصطلحات ، كالمصحف والمنبر ، قد دخلت في كتبهم ودرجت على ألسنتهم من اللغة الحبشية ؛ كما نُقِل ايضاً الى لسانهم غير الفاظ من اللغات الارمية والعبرية والاغريقية ، كالكاهن ، والاسقف ، والقسيس ، والانجيل . فلا غرابة اذن في اطلاق النبي العربي في قرآنه اسم « الحواريّين » على رسل المسيح .

فاذا عرفت هذا ، هاك تعزيزه لغوياً . اعلم ان كلمة « الحواريّين » صادرة من الفعل الحبشي Ḥâra ومدلوله : سار ، سافر ؛ واسم الفاعل منه Ḥawâreyâ وجمعه Ḥawâreyât ؛ ويأتي بمعنى السائر ، والمسافر ، والسابق ؛ ويطلق على المرسَل ، والمبعوث ، والسفير . وفي الانشآء الديني والكَنَسي يدل بنوع خاص على رسل المسيح ، كلّما أتى ذكرهم في العهد الجديد . دونك مثالاً على ذلك :

تعني: Gebera Ḥawâreyât : قصص الرسل . وجملة Maṣḥafa Ḥawâreyâ مصاحف او رسائل الرسول (بولس). واما النسبة فتكون بزيادة واو وياء ، مثلاً: Ḥawâreyâwi الرسولي؛ وManbar Ḥawâreyâwit : الكرسي الرسولي.

ومما يقابل هـذا الاصل الحبشي في العربية هو الثُنائي «حَرْ» الظاهر معناه في الاجوف «حارَ» عن الشيء واليه : رجع ، اي سار عنه واليه . و «حارَ» الشيء : تغيّر ، اي سار وانتقل من حال الى حال . و «حارَ» : هلك ، اي سار وذهب فباد . وينظر اليه في السريانية فعل Ḥôr : أَطَلَّ ، أشرَف ؛ ثم : سار ، توجّه ، قصد .

الخلاصة

الظاهر مما تقدم ، ان لفظة « الحواريّين » — قرآنية كانت أم غير قرآنية — ليست بمشتقة من فعل « حَوِر » ؛ وانها لا تطلق على قوم كانوا قصّارين او ملوكاً ، او انقياء القلوب ، او انصاراً ، او صحابة ؛ ولا هي آتية من كلمة Ḥêwârê السريانية ؛ لان هذه وصف استغني به عن الموصوف (وهو Ibûšê = ألبسة) ، فقام مقامه ، دالاً على الثياب البيض التي كان يلبسها المعمَّدون الجُدُد. ومن ثم فلامسوّغ لترجمتها بكلمة : « الحواريّين » . أما « الحواريّون » هذه فهي « حبشيّة » معناها الرسل ؛ دخلت العربية بدخول الحبشة الى اليمن ؛ وعن اهل نجران تلقاها عرب الحجاز ، ومنهم نبي الاسلام ، صاحب القرآن . فانت ترى ان الفرقان قد جآء في ذا الشأن في غاية الاتفاق مع الانجيل ، بتسميته تلاميذ المسيح ، لا باسم خياليّ او مستعار ، بل باسمهم الحقيقي ، الذي دعاهم به ربّهم ، والدال على دعوتهم وهي ارساله كلاً منهم الى الورى شاهداً ومبشراً ونذيراً . وهذا الاسم هو — كما سبق القول — لفظ «الحواريّين» المرادف كل المرادفة لاسم « الرسل » جمع « رسول ». وهذا مالم يشعر به

اهـــل المصحف إبان وضعه وانتشاره ؛ ولا اطلع عليه العلمآء الاقدمون من مسلمين ونصارى، لخلَل ملازم تقصيهم في أثر الالفاظ ؛ وهوما قد ظهر جليًا في هذا العصر ، عصر التنقيب، والتمحيص، بفضل « الألسنية الساميَّة » الكثيرة الفوائد للساميين ولغاتهم.

على اننا ان وقفنا، بنور العلم العصري، على حقائق خفيت على السَلَف، فهذا ليس مما يدفعنا — معاذَ الله — الى الحط من قدرهم، وبخسهم حقهم. كلاَّ ! لانهم ان فاتهم شيء، فقد عرفوا أشيآء. ولذا، فقبل ان نختم البحث، نريك شيئاً من الصحة في قول من الاقوال التي ابداها ارباب التفسير، في شأن كلمة « الحواريّين ». فقد جآء في النص الذي نقلنـــاه عن النيسابوري ما يأتي: « عن الضحاك: الذي يغسل الثياب يسمَّى بلغة النبط حواريّ » فلاحظ، بعد الذي علمته، كيف ان هذا الكلام، مع ما شابَهُ من النقص، لا يخلو من بعض الصواب. أجل ! لقد طـاش سهم صاحبه، بقوله ان لفظة « الحواريّين » تطلق على من يغسلون الثياب؛ لكنه قد أصاب المرمى بارتيائه انها « ليست بعربية، بل معرَّبة »؛ وإن بعد عن الحقيقة في خصوص اللغة المأخوذة عنها؛ اذ « قيلَ » له انها النبطيَّة، على حين انها الحبشيَّة.

على كلٍ، انت ترى ان هذا الرأي، وهو من آرآء القدمآء، قد جآء، من جهة صوابه، شاهداً بعض الشهادة لِما بسطناه في هذا المقال، من مختلَف الحجَج، في « أصل كلمة الحواريّين ».



أصل كلمة « الحَجّ »

المشهور بين علمآء « الألسنية السامية » ان العربية محافِظَة على القديم؛ مما جعلها أشبه اخواتها باللغة الساميَّة الأم. وهذا عين الواقع في غالب الاحوال؛ ولا سيّما من حيث الاصول الصرفيَّة — النَحْوِيّة. أما من حيث قِدَم معاني الالفاظ، فالعربية قد تقصر، بعض الاحيان، عن مغالبة، بل قل عن مجاراة شقيقاتها؛ وذلك لانها دُوِّنت آخر جميعها. فبفعل التَطوُّر الملازم طبيعة اللغات أيَة كانت، قد أُستُحدِث للكلمات فيها معانٍ، وهُجِرت فبادت معانٍ؛ فلم يكن لها وجودٌ عصرَ تدوين المَعاجِم؛ او أن المُدوِّنين لم يُدرجوها في اسفارهم، إمّا سَهواً، وإمّا لغاية في النفس. ودونك مثالاً على هـذا القول لفظة « الحَـجّ » التي قصدْنا البحث عن اصلها، طبقاً لأصول « الثُنائيَّة والألسُنيَّة الساميَّة ».

اذا كشفت عن كلمة « حَجَّ » في كُتُب اللغة العربية، فلا تقف لها سوى على معنى القصد او الإتِّجاه او الزيارة او التردّد، من باب الاطلاق؛ ومعنى الذهاب الى مكة، قصدَ النُسك، من باب التقييد[1]. والحال اننا لنجد بوناً شاسعاً بين هذه الدلالة المتأخرة ودلالتها الاوَّليَّة العريقة في القِدَم، حين درسنا ايّاها في بقيّة اللغـات الساميّة. ولكي نطلعك على السبيل الطبيعي الذي سارت فيه هذه اللفظة في تطوُّر معانيها، على مدى الاجيال، يجدر بنا ان نرقى الى اصلها فنقول:

الذي لاح لنا، شَخصِياً، بعد التقصِّي المنطقي اللُغوي، ان مادة (ح ج) الثُنائيَّة[2]. « اسمُ صوت طبيعي ». اذ معلومك ان الانسان يعيش بالهوآء

[1] لسان العرب، ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها؛ وتاج العروس، ج ٢ ص ١٦و١٧.

[2] او بالاحرى (حآء كَيم) كما هي في جميع اللغات السامية الاخرى، وفي العربية الجنوبية اي السبئية او الحميريّة، وفي المصريّة العاميّة الحاليّة.

الداخل الى رئتَيه والخارج منها. فاذا برز هـذا الهوآء بدافع الطبيعة ، سُمِّي « نَفَساً » ؛ واذا صدر بالارادة ، او بقوة عارض خارجيٍّ يُوَجِّه ، كتصادم جسمَين ، دُعي « صَوتاً » ؛ واذا تكيَّف الصوتُ بكيفيَّات خاصّة ، أُطلِق عليه اسم « حَرْف ». هذا ، وان جرى التنفُّس بمُؤَثِّر من المُؤَثِّرات ، صدر الصوت « كحرف الهآء » ؛ وان كان الجهد عنيفاً ، جآء الصوت « كحرف الحآء » ؛ وهو الذي نلاحظه عنـد تضايق النَفَس ، او لدى الركض ، او حين مزاولة مِهنة تضطرّ صاحبها الى المبالغة في صرف القوة ، كمِهنة كسَّاري الخشب ، او دقَّاقي الأَرز ، او الحدَّادين وغيرهم. فانهم عند كل ضَربة ، او دَقة ، او طَرقة ينزلونها في مادَّة صنعتهم ، تسمعهم يخرجون من فيهم صوتاً هو صوت « الحآء ». وان سألتهم عن ذلك ، اجـابوك انهم يَجِدون فيه تخفيفاً لعنآء الجهد المُجبِرين على بذله في عملهم. وممَّا يَزيد في تقليل النَصَب هو سدُّ الفم وطبق الأسنان بعد اصدار الصوت ؛ ممَّا يَلزَم له الوقوف على حرف صحيح قويّ ، مثل القاف او الكاف او الكاف. وهذا ما جعل انـ يكون اسم الصوت المذكـور ، عند تلك الفئة من العُمَّال ، مركَّباً من حرفين. هما « الحآء والكاف »[1].

---

[1] في العراق ضَرب من السُفُن الشِراعيَّة ، تدعى الواحدة منها « مُهَيْلَة » جمعها « مَهايِيل » ، تستخدم للنقل. ويُرى طائفة من مَلَّاحي هذه « المَهايِيل » ، عند عودتهم الى بغداد من سفرتهم الى الجنوب ، مُشْطِّطين نهر الدجلة صُعودًا ، ساحِبين « المُهَيلَة » بالقَلْس . وكثيرًا ما يُسمَعون مكرِّرين ، بعد زعيمهم ، بعض الكَلِم ، منها هذا الصوت الذي نحن في صدده وهو « حكْ ، حكْ ». وليس ذلك منهم ، دون ريب ، الَّا تخفيفًا لما يكابدونه من العنآء في عملهم الشاق الذي يدوم ساعات بل أيَّامًا . اجل ان الكلمة المذكورة هي « حَقّ » من الأسمآء الحُسنى ، يعيدونها طلبًا لمعونة الباري ، ويلفظون قافها « كافًا » حسَب اللهجة العراقية . الَّا ان الصَوت فيها والغاية المتوخاة منها هي عين ما قلناه في شأن « الحكْ » اي الحَحّ .

فاذا علمت هذا ، توقفك على أمر آخر ضروريّة معرفته لبحثنا ، فنقول : من الغرائز الطبيعية في ابن آدم ، في جميع اطواره البشريّة ، ولا سيّما الفطرية والبدوية ، هي غريزة الرَقص الذي يتم بحركات ، وصِياحات ، وضجيج ، وتصفيق بالايدي ، وضَرب بالأرجُل . وقد تولّد الرَقن عند الشعوب القديمة من حاجة الانسان الى التعبير ، في الخارج ، عن حاساته الداخليّة . لان العواطف ، اذا بلغت مبلغاً زائداً من الشدّة ، أثّرت في البَدَن فحرّكته ؛ واذا تمّت هذه الحركات بنظام وتنسيق ، نتج عنها الرقص[1] . وممّا يضارع الرَقص مَنشأ هو إعراب المرء عن شعائره بالألفاظ والأصوات التي ، اذا ضُبِطَت بقواعد وأوزان ، صدر عنها الشِعْر والتَلحين . ولأجل ذلك نرى هذه الفُروع الثلاثة من الفُنون الفَتّانة ، اي الشِعر ، والموسيقى ، والرَقص ، غير مُنفكّة بعضها عن بعض في جميع العصور ؛ وقد استعملها الناس في عامّة احوالهم المدنيّة والدينيّة[2] .

ففي الظروف المَدَنِيّة ، نُلفي الرقص جارياً بعد الحصاد وجني الأثمار ؛ وعقيب النَصر في الغَزَوات والحروب ؛ وفي زمن السِلم ، ايّام الأفراح ، كالولائم والأعراس ، والمواسم والأعياد . وهذا الكتاب العزيز يُخبرنا عن فُرَص عديدة حدث فيها الرقص . فقد رقصت مريم أخت موسى ورفيقاتها بالدُفوف ، بعد عبور البحر الاحمر[3] ؛ وبنتُ يَفتاح ، بعد كسر أبيها للعمونيين[4] ؛ ونسآء اسرائيل ، عقيب صرع داود لجليات[5] ؛ وجآء الفلسطينيّون بشمشون فارقصوه عنــد ختام وليمتهم[6] . وينبئنا الانجيل عن وقوع الرَقن والغِنآء في

---

١ اطلب كتاب *La religion primitive*, par Mgr le Roy, p. 301

٢ Dict. of the Bible, t. I pp. 549, 550

٣ خروج ١٥ : ٢٠ ٤ قضاة ١١ : ٣٤ ٥ ١ ملوك ١٨ : ٦ و ٧

٦ قضاة ١٦ : ٢٥

مأدبة أبي الإبن الشاطر، بعد عودته تائباً [١]؛ وعن رقص ابنة هيرودية، يومَ ولادة هيرودس [٢]. وهـذا أمر جارٍ اليوم عند كل الامم، كما كان جارياً عند القدمآء.

على ان الرَقص كان ايضاً من رُتَب الدين، إمّا لمرافقة الغِنآء والموسيقى [٣]، وإمّا كواسطة لإشتراك الجسد مع النفس [٤]، في أدآء العبادة لله. وقد كان مألوفاً في الأديان الباطلة، كما كان في الدين الصحيح. في الأديان الوثنيّة كان الزَفن من أهمّ الأمور. فالمِصريون كان عندهم لخدمة الآلهة جماعات من المُغنّيات والراقصات؛ وكان الكنعانيون يرقصون في تعبّدهم لعَشْتَروت؛ واليونانيون في تكريمهم أدونيس؛ والرومانيون كانوا يَدعون الكهنة Salii؛ وهو اسم مشتق من الفعل اللاتيني Salire ومعناه الرقص. أما العبريّون فقد فعلوا كبقية الشعوب، سوآء في خدمتهم الإلّه الحقّ، او عند حيدِهم عن سبيل عبادته. فقد رقص الشعب كلّه حول العِجل الذَهبيّ، حين

---

١ لوقا ١٥ : ٢٥   ٢ متى ١٤ : ٦   ٣ ١ ملوك ١٨ : ٧

٤ ترى اليهود، حتى في أيامنا، يكادون يرقصون وقت العبادة. فانهم يحرّكون، بخفّة وتكارير، جميع أعضآئهم: رؤوسهم، أكتافهم، أيديهم، أرجُلهم؛ حتى انهم يقفون على رؤوس أصابعها؛ كل ذلك، على رأيهم، إشراكاً للجسد مع النفس. يُشاهِدُ هذا كل مسآء – ولا سيما ليلة السبت – مَن يحضر صلاتهم، في القدس، عند «حائط المبكي»، اي حائط هيكل هيرودس، المدعو عند المسلمين «البُراق» حيث ربط جبرائيل مرافق محمد، حسب رواية الحديث، دابّة المِعراج، المسمّاة «البُراق» (وبهذا الاسم كُنّي عن الحائط) ليلة الإسرآء، كما جآء في القرآن (سورة الاسرآء: ١) «سُبحانَ من أسرى بعَبده لَيلًا من المَسجِد الحرام الى المَسجِد الأقصى، الذي باركنا حَوله، لنُرِيَه من آياتنا، انه السميع البصير». وغير خافٍ ان المَسجد الحَرام هو كعبة مكّة، والمسجد الاقصى هو الحَرَم الشريف في القدس.

استَبطَأُوا نزول موسى من الجبل[1]؛ وفي زَمن ايليآء، رقص كهنة البعل حول مذبحه[2]؛ وبنات شيلو رقصن في عيدٍ من اعياد يَهوَه[3]؛ وداود، أمامَ تابوت العهد. وكان الرقص من رُتَب الهيكلِ، وعملاً من الاعمال المُهمَّة في أعياد اليهود جمعآء.

أمّا كيفيةُ الرَفن عند القدمآء، فلا تعرف تفاصيلها بالتدقيق؛ الاّ انه من السهل تصوُّرُها. فانه؛ ولا ريب، كان الرقص عند الساميّين عامةً، وعند اليهود خاصَّةً، كما هو جارٍ اليوم في بلادنا، بين اهل البادية، والقرى، وطبقةِ العامّة، في المُدن. ولنا مثال على بعض انواعه في الرَقص المدعو «الدَبكَة». فانه يتم على نغمات المِزمار، (الشبَّابَة او المُطبِج، في عُرف البدو. وهو المزمار المركَّب من قصَبَتين ملصقتين، وفي كل منهما عِدَّة ثقوب). فيرقص واحدٌ وحده؛ او اثنان متقابَلين؛ او جملة اشخاص متكاتفين، واقفين صفَّين مُتآزِيَين. والنوع الأكثر شيوعاً هو الرقص بهيئة حلقَة، ينتصب المزَمِّر في وسطها، ويكون ذلك بنوع من الإيقاع، بحيث ان الجميع يرفعون، مُقَدِّمين او مُؤَخِّرين معاً، تارةً الرِجل اليمنى، وتارةً الرِجل اليُسرى؛ فيضربون بها الارض ضرباً عنيفاً. وهذا أمر يستدعي الجهد المتواصل، ومن ثم التنفس العنيف؛ فيُسمع اذ ذاك من افواه الراقصين قاطبة، ما يُسمع من افواه الحدّادين ودقّاقي الارز، وكسّاري الخشب؛ اي اسم الصوت الذي ذكرناه، وهو «حكْ، حكْ». وذلك لأنّ عمل الراقصين وعمل اهل تلك المِهَن متشابهان من حيث العَنآء المطلوب. وهذه الطريقة، طريقة الرقص، هي التي نشاهدها في الأعراس والولائم والأعياد المَدَنيَّة والدينيَّة عند بعض الطوائف. مثال ذلك ما نراه كلَّ سنة في القدس الشريف أيام «موسم النبيّ موسى» عند المسلمين، حيث يتقاطر جماهير مجمهَرَة من جميع نواحي فلسطين.

---

[1] خروج ٣٢ : ١٩،٩ [2] ١ ملوك ١٨ : ١٦ [3] قضاة ٢١ : ٢١

فان هذا الموسم، بما يجري فيه من الغناء والموسيقى والرقص، لصورة حيّة، بل قل مواصلة غير منقطعة، لما كان يصنعه اجدادنا الساميّون من عرب ويهود وإرميّين وكنعانيين وفنيقيّين، ولا سيما في عصر بداوتهم. ومما يشبه ذلك هو ما يأتيه حتى اليوم عَوامّ الروم الارثذكس وغيرهم من الطوائف الشرقية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية، كل عام، يوم سبت النور، حين ينتهكون — ويا للاسف — حُرمة كنيسة القيامة، بما يستبيحونه فيها من الاعمال التي لا تختلف عن الاعمال الوثنيّة.

١ فانت ترى ان الرقص، ولا سيما الرقص الساميّ الشرقيّ، يطلُب كثرة غناء، وإجهاد نَفس، يُسمَع معه، بضرورة الطبيعة، اسم صوت مثل «حكْ». وهذا اول طور لمعاني كلمة «الحجّ او الحكُ».

٢ واذا كان الأمر كذلك، فلا غرابة اذا وجدنا الزَفنَ مطلقاً عليه اسم الصوت الصادر وقت أدائه. كما ان غير أفعال، في جميع اللغات، تصاغ من أسماء الأصوات؛ مثال ذلك في العربية، «أفٍ» كلمة تكرّه وتضجّر، صدر عنها فعل «أفَّ»: قال أفٍ من كَرْب او ضجَر او ألَم. وكذلك «آهْ» صوت توجّع، جاء منه فعل «أَهَّ» توجّع الكئيب فقال «آهْ». فعلى هذا المنوال انتقل معنى اسم الصوت «حَكْ» الخارج وقت الرَقص الى مَعنى الرَقص عينه؛ فصيغ منه «حجَّ او حَكَّ». وأول لغة ساميّة نجد فيها كلمة «حَكْ» بمعنى «رقَصَ» هي العبريّة. فقد ورد في سفر سموئيل الاوّل (٣٠:١٦) ما يأتي: «فنزل به، فاذاهم منتشرون على وجه الأرض، يأكلون ويشربون، ويرقصون»، لما نالوه من الغنيمة الوافرة». ولفظة «يرقصون» العربيّة هي ترجمة: Hogegim التي في الاصل العبري. ولم يَستَعمِل المُترجِم العربي فعل «حَجَّ» لتأدية معنى الرقص، لان «حَجَّ» لا تدل على الرَقص في العربيّة المُدوَّنة في المعاجم. أمّا الإرمية، او السريانية، من باب التقييد، فقد

حفظَت هذه اللفظة الدلالة المذكورة في العبريّة ، اذ نجد في مُعجم بَربَهْلول ما هذا تعريبه : Ḥaggâ : رقص الرجال والنسآء وهم ماسكون بعضهم أيدي بعض عَلانيةً » .

٣ وبما ان الرقص غالباً ما يكون على شكل حَلْقة ، دلَّت لفظة « حلُّ » على حلقة الراقصين ؛ ثم على الدائرة والدوران ؛ وذلك بالحرف الثنائي في العبريّة والإرمية[1] ؛ واتّفقت على تعبيرها عن الإدارة والإحاطة كلُّ اللغات الساميَّة ، بصيغتها الثلاثية التي زِيَد فيهـا على الثُنائيّ (حَ جْ) حرف الرآء او اللام الشفهيّين . من ذلك في العربيَّة ، من مادة (ح ج ر) : حجَّر القمر : صار حوله دائرة في الغيم . والحَجُّورة : لعبة للصبيان ، يخطّون « خطّاً مُدوَّراً » ويقف فيه صبيٌّ ، ويحيطون به ليأخذوه . ومن مادة (ح ج ل) : الحِجْل : الخلخال ، القَيد ، بياضٌ يحيط برِجل الفَرس[2] . وفي الارمية ، من الثنائي : Ḥgâ دار ، طاف ؛ و Ḥaggi : دار في البيعة بزِياح . و Ḥugṯâ : دائرة ، هالة القمر . ومن الثلاثي : Ḥgal : أدار ، سوَّر ، قيَّد ؛ و Ḥuglâ : حِجْل ، خَلخال[3] . وفي الحبشيّة ، من الثلاثي ، Ḥagar : أحاط ، شدَّ ؛ و Ḥagal : أَحاط ، حاصَر[4] . وفي الأكّديّـه (الاشورية — البابلية) agâru (الأصل Ḥagâru) سوَّر ، أحاطَ[5] . وفي العبريّة : Ḥâgar : حوَّط ، شدَّ[6] .

---

١ Nouveau dictionnaire complet hébreu-français, par Elmaleh, Col. 439, دليل الراغبين ، ص ٢١٨

٢ اللسان ج ٥ ص ٢٤١ وما بعدها ؛ و ج ١٣ ص ١٥٣ .

٣ دليل الراغبين ص ٢١٨ و ٢١٩ .

٤ Dillmann: *Lex. ling. œtiopicae*, Col. 130

٥ Carl Besold: *Baby. assyr. glosser*, p. 16

٦ Gesenius: *Hebr. & aram. Handwörterbuch.*

٤ ولمّا كان الزَفن ، الناشيء عن الفَرح والإغتباط ، يجري أيّام المواسم والأعياد ، أُتّخِذ لفظ « حَكٌ » بمعنى الاجتماع والاحتشاد ، والموسم والعيد. وقد استُعمِل ذلك كثيراً في الاسفار المقدسة ، سوآء في الاصل العِبري أم في الترجمة السريانية البسيطة[1]. أمّا العربيّة ، فلم يأتِ فيها لفظ « الحَج » بمعنى العيد ؛ اللهم الاّ عند بعض المُصَنِفين او المترجمين ، كالمقريزي ، في « خِطَطه » ، وسَعدِيا بن يوسف الفيّومي اليهودي ، في تعريبه أسفار موسى الخمسة. بيدانّنا نتصوّر ان ذلك من تأثيرات اللغة العبريّة ؛ كما استَعمَل السريان وغيرهم في كتبهم العربية ألفاظاً أُصولهــا ساميّة ، لكنَّها ليست عربية ، بل سريانية ، كقولك : السِلِيحون (الرسل) ، والصَفر (صلاة الصباح) ، والرَمش (صلاة العصر) والسَتّـــار (صلاة العِشآء). فقد جآءت اللفظة المسفورة في كلام المقريزي ، منسوبة الى اليهود (خِطَط ج٢ص ٤٧٤) « وفيه عيد الموقِف ، وهو « حَجٌّ » الأسابيع ». وترجم سعديا نص الخروج (٣٤ : ٢٢) « وحَجّ الاسبوع تصنعُه لك بكور حصاد الحنطة ؛ و « حَجٌّ » الجَمع في نهاية السنة[2] ». وانت ترى انه عبّر عن العيد ، في العربيَّة ، بكلمة Ḫag العبرية. وأمّا الحبشيَّة ، فالمحتمل ان حرف Ḫag جآء فيها بمعنى العيد[3]. في حين أن الاَكّديَّة لم يرد فيها قط Ḫag الثنائي ؛ ولا يظهر من المُستندات المِسماريَّة ان الرقص كان كثير الشيوع في اعياد ومواسم الأشوريّين – البابليّين.

---

١ راجع الآيات الآتية في النص العِبري ، وفي الترجمة السريانية البسيطة : قضاة ٢١ : ١٩ ، و٣١ ؛ اشعيآء ٣٠ : ٢٩ ؛ خروج ٣٤ : ٢٢.

٢ Saadia Al-fayyûmî: *Version du Pentateuque*, paris 1893, Vol. I, p. 182

٣ Dillmann. o. c. ibid

٥ على ان الساميّين — وخصوصاً عصر كانوا اهل البادية — كانت الاعياد تتمّ عندهم في الاسواق، وبعض المزارات، او المقادس، او البيوت المقدسة، او الهياكل. واذ كانت الزيارة تستلزم الانتقال الى المحلّ الذي يُزار، جاءت كلمة Ḥag بمعنى القصد او التوجّه الى المكان المقدّس الذي فيه يقام الاحتفال او العيد بمناسكه؛ واهمّها الطواف، أو الرقص حول الصَنَم او مـذبحه او هيكله. والشريعة المُوسويّة كانت تأمر اليهود بالحضور أمام الرب لزيارة هيكله ثلاث مرات في السنة[١].

وبهذا المعنى الأخير قد وردت كلمة «الحَجّ» في العبريّة، والسريانية، ولا سيما في العربيّة، كما نوّهنا في صدر هذا المقال. وفضلاً عن العرب الوثنيّين، قد سُمِعَت في كلام العرب النصارى؛ فانهم أطلقوها على الحفلات الدينيّة، وزيارة الاماكن المقدسة، كبِيعة نَجرانٍ او كَعْبَتِها. قال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ : ٧٠٣) «ان بني عبد المَدان بَنَوه مُرَبّعاً... فكـانوا «يَحُجُّونه» هم وطوائف من العرب، مِمّن يحل الأشهر الحُرُم،

---

١ اعياد اليَهود المُهِمّة ثلاثة : الأول: عيد الفَطير، ويدعى بالعبرية (Ḥag hamaṣṣôt) الثاني: عيد الأسابيع، او عيد الحَصاد، وبالعبرية (Ḥag ha qaṣîr او Ḥag ha śabe‘ôt). الثالث: عيد المَظـالّ، او جني الاثمار، وبالعبرية (Ḥag ha asîf او Ḥag ha sukkôt). راجع في ذا الشأن سفر الخروج ٢٣ : ١٦ ؛ وسفر التثنية ١٦ : ٨، ٩، ١٠ ولا سيا العدد ١٦ وهو «ثلاث مرّات في السنة يحضر جميع ذكرانك امـام الربّ آلهك في الموضع الذي يختـاره، في عيد (Ḥag) الفطير، وعيد (Ḥag) الاسابيع؛ وعيد (Ḥag) المظالّ؛ ولا يحضروا امام الرب فارغين». ومّما يجدر بالذكر ان كل واحد من هذه الاعياد المختلفة تسبقه كلمة (Ḥag) في النص العبري. وما ذلك الّا للدلالة على ما كان مهاً في العيد، اي الرقص الديني، وهو المسمّى في الاصل (Ḥag)؛ فأُطلِق على الاحتفال والاجتماع ذاته.

ولا يَحُجُّ الكَعْبَة. ويَحُجُّه خَثْعَم قاطبةً ». وقد استعملها ابن القَلانِسي في كتابه « ذيل تأريخ دمشق » (ص٦٩) لزيارة بيعة القِيامة: « هذه بيعة ... تعظِّمها النصارى افضل تعظيم، و « تَحُجُّ » اليها عند فِصحِهم »[1].

فاذا عرفت هذا اعلم أن العرب لم يختلفوا في مناسِكهم عن اخوانهم الساميّين كاليهود والإرميين. فقد كان من عادتهم الرّقص الدينيّ؛ الا انهم لم يُسَمُّوه « حَجًّا »[2]. بل دَعوه « دَواراً او طوافاً ». دونك شهادة ابن الكلبي في صدد ما ذكرنا، قال: « وكان الذي سَلَخ بهم (اي العرب) الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكّة ظاعِن الاّ احتمل معه حَجراً من حجارة الحرَم، تعظيماً للحَرَم، وصَبابةً بمكّة. فحيثما حَلُّوا وضعوه، وطافوا به كطَوافِهم بالكَعبَة[3]». وقال أيضاً: « واستَهتَرت العرب في عبادة الأوثان. فمنهم من اتّخذ بيتاً، ومنهم من اتّخذ صَنَماً؛ ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نَصَب حَجَراً أمام الحَرَم، وأمام غيره ممّا استحسَن؛ ثم طاف به كطَوافه بالبَيت. وسَمَّوها الأنصاب[4]». ثم زاد في موطن آخر، مسمِّياً الطَواف

---

١ نقلًا عن « كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليَّة » لشيخو ص ١٧٩.

٢ بل قل سَمَّوه « حَجًّا »، بما ان العمل الدال عليه الحرف كان معروفاً ومتداوَلًا بينهم؛ وله اسمان آخَران وهما « الدَّوار والطَّواف ». لكن اهل المعاجم لم يدوّنوه، لتغلّب المعنى الاسلامي، ولاستنكافهم من ذكر الرقص الوثني، كما ترى من المنقول، في متن المقال، عن تاج العروس، بان الزمخشري وغيره كرهوا ان يستعملوا لفظة « الدَّوار » لِلطَّواف بالبيت. ٣ كتاب الأصنام، لابن الكلبي، طبعة مصر الاولى، بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا، ص٦ — ٤ كتاب الأصنام، ص ٣٣. وحتى اليوم، في الرقص الجاري إبَّان « موسم النبي موسى » في القدس، قد بقي أثَرٌ لهذه الأنصاب التي كان العرب القدماء يدورون او يطوفون (او قُل يَحُجُّون) حولها، اي يرقصون. وهذا الأثَر « نُصُبٌ حيّ »؛ ألا وهو المُزَمِّرُ بالشَّبَّابة او المُطَبِّج، القائم في الوسط، وحوله تحوم حَلقَة « الحاجّين »، اي الراقصين.

« دَواراً » : « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة ، يطوفون بها ويَعتِرون عندها ، يسمُّونها الأنصاب ، ويسَمُّون الطَواف بها « الدَوار ». وفي ذلك يقول عامر بن الطُفَيل : (وقد أتى غَنِيّاً بن أعصُر وهم « يطوفون بنُصُب لهم » ، فرأى في فَتَياتهم جمالًا ، وهنَّ يطُفن به ، فقال) :

« ألا يـاليتَ أخـوالي غنيّاً — عليهم ، كلّما أمسوا ، دَوارٌ[1] ».

وقد ذكر صاحب التاج من شِعر امرىء القيس هذا البيت المدعو فيه « دَواراً » نفس الصَنَم الذي كانوا يطوفون حوله :

« فعنَّ لنا سِربٌ كأنَّ نعـاجه : عذارى « دَوارِ » في ملاء مذيَّل »

اراد بالسِرب البقر ، ونعاجه اناثه ، شبَّهها في مشيهـا وطول اذنابها « بجوارٍ يَدُرْن » حول الصَنَم ، وعليهن الملاء المذيَّل ، اي الطويل المهذَّب . قال شيخنا : « قيل انهم كانوا يدورون حوله « أسابيع[2] » كما يُطاف بالكَعبَة ». ونقل الخفاجي عن ابن الأنباري : « حجـارة كانوا يدورون حولها تشبيهاً بالطائفين بالكَعبة ، ولذا كرِه الزمخشري وغيره ان يقال « دار بالبيت » ، بل « طاف بالبيت[3] » .

فالظاهر اذن ان « الطَواف او الدَوار » مرادف لكلمة « الحَجّ » في اول معـانيه واعرقها قِدَماً ، اي معنى الرقص الديني حول الحِجـارة ،

---

١ كتاب الاصنام ص ٤٢ .

٢ الاسابيع جمع اسبوع ، وهو مأخوذ من الحرف السرياني « Šâbôʻâ » الدال على السبعة من الأيام او غيرها . ومعناه هنـا ان كل مرّة كانوا يطوفون حوله — وكذا القول عن الكعبة — كانوا يدورون سبع دَورات .

٣ تاج العروس ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦ .

او النُصُب ، او الذبيحة[1] ، او الصَنم ، او البيت ، او الكَعبة . وهذا الذي كان جارياً في الجاهليّة قد ابقاه النبي العربي في الاسلام . وحتى اليوم — على ما ذكر البتنوني — من عادة البدو — ولا سيما اهل الشروق ، من عتيبة ، ومُطَير ، عند وفودهم الى مكّـة ، في الخُمس الأول من ذي الحجة — ان يدخلوا المسجد الحرام ، جماعات جماعات ، فيطوفوا طواف القدوم ، ماسكين بعضهم ايدي بعض ، لا يوقفهم زحام المَطاف بغيرهم ، بل يأخذون في طريقهم كل من صادفهم فيه . وهم يقولون . « الله ، محمد ، لَبيك ، لبيك ، حَجَّيت ؛ تقبَل أَوْلا تقبَل ؛ حجَّيت ، الا تقبــل » . واذا كان معهم نُسوة ، تراهُنّ في مُؤخرَتِهم ماسِكات بأكتافِهم . زد على ذلك أن الحُمْس (اي المُتَشَدِدين من قُرَيش ، أيَام الوثنيَّة) كانوا يُجبِرون الحُجَّاج على أن لا يطوفوا الاَّ بثيابهم (اي ثياب الحُمْس) ؛ فـان لم يجدوا ، طافوا عُراةً بالبيت . وكانت المرأة في طَوافها تَضَع عنها ثِيابها ، إلاَّ دِرعَها ، او رَهطَها[2] . وهذا كلّـه من قبيل الرَقص الدِيني عند الساميّين .

---

[1] وصَفَ نيلُس (من اهل القرن الرابع) (راجع الآبائيّة اليونانيّة Patrologie grecque اي المجموعة الآبائيّة ، لمين ج ٧٩ عامود ٦١٢) كيف كان عَرَب شبه جزيرة سيناء يُجرون الطَواف (اي الرقص) حول الضَحِيَّة . ويُستَدلّ من كلامه ان هولاء القوم لم يكونوا يعبُدون إلهاً ، ولا يكرّمون صورةً ، او صنماً ؛ بل كانوا يعترون او يُضحُّون لنجم الصبح عند طلوعه . فكانوا يأتون بجَمَل أَبيض يُنيخونه ويَشرعون في الدَوَران حوله (اي يَحُجُّون) على نغمات المُغنّين والمُزَمّرين . وعند الدَورة الثالثة ، يضرب زعيم « الحَجّ » بسيفه إحـدى عَضَلات الجَمَل ، فيرتشف من دمه ؛ ويتبعه الحاضرون ، فياخذ كلّ منهم قِطعة من الجَزور ، حتى لا يدعوا منه شيئاً باقياً ، لا لحماً ، ولا عظماً ، ولا جِلدًا ، قبل شروق الشمس .

[2] الرحلة الحجازية ، لمحمد البتنوني ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ؛ ولسان العرب . ج ٩ ص ٧٧ .

اما الحَج بمعنى القصد الى مكّة للنُسك، فكان عادةً في الجاهلية انزلها محمد منزلة احد اركان الدين الاسلامي. وهاك ما جآء في القرآن في ذا الشأن:

« واذ بوَّأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً، وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والرُكَّع السُجود. وأذِّن في الناس بالحَج، يأتوك رِجالاً، وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍّ عميق... ثم ليَقضوا تفَثَهم، وليوفوا نذورهم، وليَطَّوفوا بالبيت العتيق[1] ».

« واتمُّوا الحَجّ والعُمرَة لله؛ فان أُحصِرتم، فما استيسر من الهَدْي؛ ولا تحلقوا رؤوسكم، حتى يبلغ الهَدْي محلَّه... الحج أشهُر معلومات؛ فمَن فرَض فيهنَّ الحج، فلا رَفَثَ، ولا فُسوق، ولا جدال...[2] ».

« وأوَّل بيت وُضِع للنَّاس لَلذى ببكَّة، مباركاً وهُدى للعالمين. فيه آيات بيِّنات، مقام ابراهيم؛ ومن دخله، كان آمناً؛ ولله على الناس حَجُّ البيت، من استطاع اليه سبيلاً؛ ومن كفَرَ، فان الله غنيٌّ عن العالمين[3] ».

وادعاماً لهذا جآء في الحديث: « بُني الإسلام على خمس: شهادة لا إلَه الاّ الله، وان محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتآء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من استطاع اليه سبيلاً[4] ».

وحدُّ الحجّ شرعاً: القصد الى بيت الله الحرام، باعمال مخصوصة، واوقات مخصوصة. والحج نوعان: الحج الأكبر، وهو حج الاسلام؛ والحج الاصغر، وهو العُمرَة. وأفعال العُمرَة شرعاً أربعة: الإحرام، الطَواف، السَعي بين الصَفا والمَرْوة، الحَلْق. ويمكن للمرء اتمامها وحده، وفي ايّ وقت كان من السنة. أمَّا الحَجّ الاكبر، فلا يجري الاّ في أوائل ذي الحجة، مع

---

١ سورة الحج: ٢٧، ٢٨، ٣٠. ٢ سورة البقرة: ١٩٦، ١٩٧.

٣ سورة آل عمران: ٩٠، ٩٣. ٤ صحيح البخاري ج ١ ص ٦.

الحُجّاج ، وأفعاله هي عين افعال العُمرَة ، يزاد عليها : الوقوف في عرَفَة ، ورَميُ الجَمَرات ، ونحْرُ الهَدْي.

* * *

زبدة المقال : « الحَجّ » كلمة ثُنائيَة الأصل (وان كانت في عُرف النحاة ثلاثية ، اي ح ج ج) ؛ وهي اسم صوت يدلّ على اجهاد النَفس ؛ انتقل معناه الى معنى الرَقص ؛ ثم الدَوار (اي حلقة الراقصين او عملهم) ، فالاحتشاد ، فالمَوسم ، فالعيد ، فالقصد ، فزيارة أُحد المقادس ، فزيارة كنيسة نجران ، عند نصارى العرب ، فزيارة كنيسة القيامة ، عند عامّة المسيحيّين ، فزيارة الكَعْبة المكِيَّة ، اولاً عند عرب الجاهلية ، ثم عند المسلمين .

وعليه ، نظن ان من قال بان لفظة « الحَجّ » تدل من أصلها على « الاجتماع لغاية دينيَّة » قد استند الى المعاجم العربيَّة التي لا تحوي من معاني هذه الكلمة الا بعضها ، والحديثة منها . فقد رأينا ان هذا الحرف يراد به في اللغات الساميَّة « الرَقص » ؛ وانه مأخوذ من اسم الصوت الخارج من فم العامل المجهد نفسه ، كالحدَّاد ، ومثله الراقص . اجل ! ان بعض الرقص يتطلّب الانضمام ؛ الاّ ان هذه الكيفيَّة ليست من ضرورة قِوامِه . لانه يمكن المرء ان يرقص وحده ، كما ظهر من مثَل بنت يفتاح ، وبنت هيروديّة . فضلاً عن هذا فإن الزَفن ليس بمقصور على الحفلات الدينيَّة ، بل يقع غالباً في الاحوال المدنية[1] . زد على ذلك ان ليس هناك مِن دليل على ان الحَجّ الجاهلي او الحجّ الاسلامي يستلزم الاجتماع « من باب التقييد » . فقد عرفنا أن الحج الاصغر

[1] عند بَدو جزيرة سيناء ضُروب من الرَقص يشترك فيها الكثيرون . ويمكن أيضاً ان تَرقص فيها غادة وحدَها بحُضور الرِجال والنساء ، وهي تدعى « الحاشِيَة » . وهذه اسماء انواع الرَقص عندهم : « الدَحِيَّة ، السامِر ، الحَوجار ، الزَرغَة ، المَشرِقيَّة » . وكلها تجري في احوال اجتماعية ، لامرجع لها للدّين ، ولا للدّين دخل فيها . (راجع تأريخ سيناء ، لنعوم بك شقير ، ص ٤٣٨ وما يليها) .

او العُمْرَة يسوغ للرجل اتمامها منفرداً ، وفي أي فصل من فصول السنة . فالالتئام إذن ، بذات حده ، ليس من جَوهر معنى الحجّ ؛ انمـا هو صفة خاصّة تضاف اليه ، فتكيِّفه بكيفيَّة لم تكن فيه ، فتنوِّعه . ومثله كمثل الصلاة والدرس واللعب . فان كلاًّ منها لا يتضمَّن معنى الانضمام ، اذ يمكن اجراؤه على حدة . ولا يزاد عليه هـذا المدلول الاّ اذا أُكمل باشتراك اشخاص كثيرين فيه؛ كما لو صلّى الناس صلاة الجماعة في الكنيسة او الجامع ؛ او درس التلاميذ معاً في حَلقَة احد الاساتذة ؛ او لعبوا لعبة كرة القدم او غيرها. فكذا الحَجّ يتّصف بصفة الاجتماع فيدل على معناه ، اذا أدَّاه كثيرون معاً ؛ واذا كان أحد المعاني المتفرعة عن اصله يتطلب وجود الجمهور. مهما يكن من الأمر ، فلا تكون ، اذ ذاك ، دلالة الحجّ على الاجتماع الا دلالة ثانوية مجازية .

هذه هي نظريتنا في « أصل كلمة الحج » بسطنـاها بطريقة تحليلية ، منطقية ، أَلسُنِيَّة . وهي وان كانت غير مألوفة عند علمآء العربية ، الا انها تسترعي ، دون شكّ ، انظار اهل الدقة والاختصاص .

نختم المقال بشهادة احد المطَّلعين جاءت تأييداً لما ابديناه فيه . قـال : « لم يزَل الشعب المصري ، حتى اليوم ، يقول : « فلان يَحُجّ » ، ان هو هَزَّ جسمه يمنةً أم يَسرة ، أو من الأمام الى الورآء ، أو بالعكس . كنتُ يوماً أطالع كتاباً لذَّت لي مطالعته ؛ فكنت أترنَّح بتلاوته ، وأهزّ رأسي ، بصورة غير منقطعة . فدخلت عليّ فجأةً حماتي ، وقالت لي : « مالك تَحُجّ » . ورأيتُ امرأةً مصريّة ترقّص ولدها . بين يديها ، وهي تقول له ، لاستدراجه : « حِجّ ، حجيج ، Heg, Hgèg » . في حَلقَة « الذِكْر » . إذا تعب الدراويش ، في روحاتهم واهتزازهم ، أخذوا يرَدِّدون ، بدَلاً من الدُعآء ، او الغِنآء ، او ترديد الأسمآء الحُسنى : « الله حيّ ! الله حيّ ! » وهم ينطقون بكلمة « الله » بصَوت خافِت ، ويتنفَّسون بملء صدورهم ، تنشيطاً لانفسهم في رقصهم المُتعِب . وكل هذا جآء مصداقاً لملحوظاتكم » . اه .

أصل كلمة « الداوِيّة »

ان قارىء توارخ « الصَليبيّات » او الحروب الصليبيَّة ، باللغة العربية ، كثيراً ما يصادف هذه اللفظة « داويَّة » بجانب كلمة أخرى وهي « إسبتاليَّة ». ومن القرائن ، وبالمقارنة بالتوارخ المدوَّنة في اللغات الفرنجية ، يتوصل الى ان يعرف ان « الاسبتاليَّة او الاسبتاريّة » تُطلَق على جمعيَّة من الرهبان أُنشِئت في اوائل المملكة الفرنجيَّة ، في الربوع الفلسطينية ، لضيافة الغربآء ؛ وان لفظة « داويَّة » تطلِق على الرهبنة الأخرى العسكريّة التي كانت الغاية منها حماية الزوّار ، والدفاع عن المملكة المسيحيَّة . وقد كان تأسيسها على يد الفارس « هوغ دي باين Hugues de Paynes » ، من أشراف شمپانية ، في فرنسة ، ورفاقه الثمانية ؛ وذلك في القدس ، سنة ١١١٨ ، في عهد الملك بغدوين الثاني ، الذي وهبهم محلاًّ لسكناهم ، قرب موقع هيكل سليمان ؛ ومنه دعوا بالفرنجية : Templiers أو Chevaliers du Temple . وفي أثنآء مجمع « ترْوا Troys » ، من مدن فرنسة ، المنعقد سنة ١١٢٨ ، وُضع لهم قانون ، بعناية او نظارة القديس برنردس ؛ اثبته البـابا هنوريس الثاني ، إجابةً الى طلب اسطيفانس ، بطريرك القدس[1] .

---

[1] في خصوص منشأ الهيكليين أو الداويّة وتأريخهم ، راجع المؤلفات الآتيه :
Guillaume de Tyr, lib. XII, c. 7 (Dans: *historiens des Croisades Occidentaux* Vol. II) — Jacques de Vitry, lib. I, c. 65, Michaud: *His. des Croisades*, t. II, pp. 98, 585, ss.

فاسم الرهبنة الاولى، بالفرنجية، Hospitaliers، واسم الثانية Templiers. والمؤرّخون المسلمون دعوا الأوَّلين « إِسپتاليَّة او إِسپتاريَّة » والآخرين « داويَّة ». والواضح ان « اسپتاليَة » تعريب Hospitaliers، فهل يا ترى « داويَّة » تعريب Templiers؟ هذا ما ارتآه بعضهم، بالقول التالي: « قد شبَّه الاقدمون أدعية الرهبان وصلواتهم بدَويّ النَحل. فاذا جاز لنا ان نرى « الداويَّة » من الالفاظ العربية، قلنا انهم سمّوا كذلك، لانهم كانوا يصلّون جميعاً معاً، فيحصل من دعائهم هذا دَويّ، فسمّوا « بالداويَّة ». أما الذي عندنا فالداويَّة تصحيف « التامپلِيَة » الفرنسية لا غير. وكان عندنا نسخة تامّة من كتاب « الروضتين » يذكر « الداويَّة » تارةً باسم « التاويَّة »، وأخرى بصورة « التـابيَّة »، ومراراً عديدة « التامليَّة »، وبعض الأحيان « التاميَّة ». ومن اختلاف هذه الروايات في كل صفحة بصورة من الصور، يُرى ان النُسَّاخ لم يفهموا معناها، لغرابتها او لعجمتها. ولا جرم أن الكلمة أعجمية، وانها فرنسيَّة ».

أمـا نحن فلا يروق هذا الرأي في عيننا. وقد تتبعنا التقصي؛ وهذه نتيجته نبسطها لأرباب الاطلاع والاختصاص.

انجع وسيلة للباحث عن اصل الكلم ان يتتبَّعها في مَظـانّ ورودها، ويشارف تطوّر أحوالهـا. وما اكثر مظانّ هذه اللفظة! فقد وردت في مؤلفات جميع الذين كتبوا عن « الصليبيَّات ». ولذا عمدنا، قبل كل شيء الى « مجموعة تواريخ الصليبيَّات » باللغة العربيَّة؛ وتناولنا الفِهرَس الأبجدي لكل مجلد من مجلداتها الضخمة. وايما وجدنا كلمة « داويَّة » بحثنا عنها في محلّها. فتحققنا بعد هذا العمل ان جميع هولآء المؤرخين المسلمين استعملوها بصورة « داويَّة »، او مع شيء من التحريف. أمَّا عن اصلها، فلا ذكر عندهم

البتة . وخير ما صنعوا ؛ لانهم كفونا مؤونة التخيُّلات القديمة ، كالادعآء بان أصل عصفور من « عصا وفرّ » ؛ أو القول الحديث بان « هيكل » من « حَيْ وجَلْ » .

بيد ان ذلك لم يتبَط منا العزم ، فأكبَبنا حينئذ على « مجموعة تواريخ الصليبيّات » باللغات الفرنجية ، متَّبعين النمط السابق عينه . ثم وقفنا على تاريخ الرهبنة المذكورة ، ونصّ قانونها ، في أصله اللاتيني[1] . فاسفر إنعام النظر عن انه كان بين تأسيسها ١١١٨ ، وبين تثبيتها ، سنة ١١٢٨ ، مدة عشر سنوات ؛ وان اعضاءها لم يُدعَوا منذ البدء ، Templiers اي هيكليّين ؛ لان الملك بغدوين الثاني لم يهبهم محلاً ، قرب موقع هيكل سليمان ، الاّ عدة أعوام بعد نشأتهم ؛ وان اللقب الذي أُطلِق عليهم ، قبل سكناهم في جوار الهيكل ، كان هذا الآتي :

« الفقرآء » « الفرسان » Les Pauvres chevaliers de la Sainte Cité. للمدينة المقدسة » . وقد بقي هذا اللقب : « الفقرآء » في جملة ألقابهم ، حتى بعد نزولهم في ناحية الهيكل ، وتسميتهم به . كل ذلك ظاهر من نص دستور رهبنتهم المذكور ؛ اذ نجد في أوّله العنوان التالي باللغة اللاتينيَّة :

«[2]Regula Pauperum Commilitonum Christi, Templique Salomonis»

« قانون الفرسان « الفقرآء » للمسيح ولهيكل سليمان » . وهذا الآخر :

«[3]Incipit regula Pauperum Commilitonum Sanctæ Civitatis »

« بدء قانون الفرسان « الفقرآء » للمدينة المقدَّسة » .

---

١ الآبائيَّة اللاتينية (مجموعة الآبآء اللاتين) ج ١٦٦ عامود ٨٥٥ وما يليه .

٢ الآبائية اللاتينيّة ، عين المجلد ، ع ٨٥٧ .

٣ آ . ل . (اي الآبائية اللاتينية) المجلّد عينه ع ٨٥٩

وانت ترى في هذا العنوان الأخير ان لا ذكر لكلمة Templı او Templariorum (الهيكل او الهيكلين). زد على ذلك اننا نجد في خلال هذا القانون ان أفراد الجمعيّة يُدعَون باللاتينية « Fratres »[1] جمع « Frater » اي أخوة جمع أخ. وبهذا الاسم كان يُدعى الرهبان عموماً، في القرون الوسطى، كهنةً كانوا ام غير كهنة. وقد كان وبقي حتى اليوم لقباً رسمياً للدومنكيين والفرنسيسيين : Fréres-Précheurs; Fréres Mineurs ,

على ان هذه الفوائد، ان لم تفِ بمرامنا في ذلك الحين، فقد كان لها قيمة كبرى فيما بعد. لاننا بينما كنا على تلك الحال، اذ عنَّ لنا خاطر، فقلنا في نفسنا : ان هناك، ما عدا المؤرخين المسلمين والفرنجة، مؤرخين شرقيين نصارى، وهم السريان؛ وبين هولآء كان رجال فطاحل في العلوم الدينية والمدنيّة؛ وقد عاصروا الصليبيين ومازجوهم؛ ولا ريب انهم قد عرفوا هولآء الرهبان المدعوّين بالفرنجية Templiers، وفي العربية « داويّة ». ومن جملة هولآء المؤرخين السريان ثلاثة، وضعوا مؤلفات تأريخية في لغتهم السريانية؛ أولهم ميخائيل الكبير، بطريرك اليعاقبة (١١٦٦ — ١١٩٩) الذي حدَث له مفاوضات للصليبيين ورؤسائهم الروحيين، في انطاكية والقدس؛ وكانت مراسلة بينه وبين البابا هنوريس الثاني. ثانيهم المؤرخ الرّهاوي المجهول الاسم (+ ١٢٠٤). وثالثهم ابن العبري الذائع الصيت، (+ ١٤٨٧).

فأقبَلنا على مؤلفاتهم[2]، وأدركنا منها المواطن المنوطة بالصليبيات.

---

١ آ. ل. عين المجلد. ع ٨٧٠ وما يليه.

٢ ميخائيل الكبير : تأريخه، نَشر وترجمة شابو. المجلد الرابع يحوي النص السرياني؛ والمجلّدات الثلاثة الأخرى تتضمَّن الترجمة الفرنسية. — التاريخ المَدَني والكنسي لمؤلّفه الرهاوي المجهول الاسم. نشره السيد رحماني، البطريرك السرياني الانطاكي. — ابن العبري : تأريخه بالسريانيّة. نشره الاب بيجان اللعازري.

وما أَشدَّ ما كانت عجبنا وسرورنا معاً ، حين اشرقت لانظارنا انوارٌ ساطعة تبدِّد عن هذه القضيَّة ظلمات الأوهام ، وتظهر الحقيقة باجلى بهآء . فان هولآء الثلاثة يسمُّون الرهبان المحكي عنهم تارةً باسمهم العام ، اي « Frères » ؛ وأخرى يذكرون بجانبه ترجمته السريانية (ܐ̈ܚܐ Aḥê) اي أخوة . ودونك شواهد منهم :

الرهاوي : « ܐܬܟܒܫܘ ܐܚܐ ܦܪܝܪ » ، « ܐܚܐ ܕܡܬܩܪܝܢ ܦܪܝܪ »[1] .

ابن العبري : « ܘܡܪܫܝܢܐ ܗܘ ܕܦܪܝܪ̈ܐ » « ܐ̈ܚܐ ܦܪܝܪ̈ܐ ܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܒܗ »[2] .

ميخائيل الكبير : « ܐܬܐܚܕܘ ܕܐ̈ܚܐ ܦܪܝܪ ܦܪ̈ܢܓܝܐ »[3] . وكل ذلك مطابق لما ورد في نص القانون .

على ان ثلاثتهم يُطلقون عليهم ، في مواطن مختلفة ، فضلاً من هذا الاسم ، لقب « ܐ̈ܚܐ ܕܘ̈ܝܐ أو ܕܘ̈ܝܐ » فقط (اي الأخـوة الفقرآء ؛ الفقرآء) .

ميخائيل الكبير . « ܘܦܪ̈ܫܐ ܦܪ̈ܢܓܝܐ ܕܘ̈ܝܐ ܐܬܐܚܕܘ ܒܩܪܒܐ »[4] .

الرهاوي : « ܘܡܩܦܘ ܒܚܝܠܐ ܗܢܘܢ ܦܪ̈ܢܓܝܐ ܕܘ̈ܝܐ » « ܘܐܬܛܪܕ ܕܘ̈ܝܐ ܛܪܕ ܒܫܥܬܐ »[5] .

---

١ الرهاوي : تأريخ ص ٦٤ : « قُبِض على الاخوة الفرير » وص ٣٥٧ « الاخوة الذين يدعون « الفرير »

٢ ابن العبري : تاريخ سرياني ، ص ٣٣٠ : « رئيس (استاذ) الفريريَّة » ܡܪܫܝܢܐ من اللاتينية Magister . وص ٣٥٤ « اخوة » فريريَّة » كان فيها »

٣ ميخائيل الكبير : تأريخ ص ٥٩٥ « خبر الاخوة « الفرير » الافرنج . »

٤ ميخائيل الكبير : تاريخ : ص ٦٣٦ : « والفرسان الفرنج » الداويَّة » اخذوا في الحرب . » انظر ايضاً الصفحات التالية : ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦٤٤ .

٥ الرهـاوي — تاريخ — ص ٣٥٨ « وهجم بشدَّة هولآء الفرنج الداويَّة » وص ٣٦٠ : « وطُرد الداويَّة » شرَّ طَرد » .

ابن العبري: « ܘܟܢܘܫܝܐ ܕܐܚܐ ܕܘܝܐ ܘܐܣܦܛܪܝܐ. » « ܐܚܐ ܕܝܢ ܕܘܝܐ ܘܐܣܦܛܪܝܐ[1] ».

ومعلومك ان كلمة « ܕܘܝܐ » Dâwayyâ في السريانية جمع لكلمة « ܕܘܝܐ » Dawyâ الآتية من فعــل « ܕܘܐ » Dwâ ومعناه: كان بائساً ، فقيراً[2] .

فاذن « ܕܘܝܐ » التي تعني « الفقرآء » قد سمّى بهــا السريان هولآء الرهبان، مترجمة عن اسمهم الاوّلي ، باللاتينية او الفرنجية : « Pauperes, Pauvres » ، ذاك الاسم الذي بقي مطلقاً عليهم دائماً ، كما رأينا من نص قانونهم .

---

١ ابن العبري : تأريخ ص ٣٧٠ « وكثير من الاخوة « الداويّة و « الاسبتاريّة » وص ٣٧٤ : « أمّا الاخوة « الداويّة » و « الاسبتاريّة »

وقد وضع الاب بيجان اللعازري ، ناشر تأريخ ابن العبري السرياني ، حاشية في الصفحة ٣٧٣ أبان فيها من كان هولآء الرهبان ، ذاكرًا مختلف اسمائهم عند السريان ؛ فقال ما هذا تعريبه عن اصله السرياني الشرقي : « وهم الرهبان العسكريون المحامون عن مملكة المسيحيين الذين كانوا يدعون « فريريّة » (ܦܪܝܪܐ) اي اخوة ، او « أخوة داويّة » (ܐܚܐ ܕܘܝܐ) وهم الهيكليون (ܗܝܟܠܝܐ) .

٢ Payne-Smith: *Thes. Syr.* t. I. c· 829.

Brocklmann: *Lex. syr.* p. 143.

وقد اشار بروكلمن ، في هذه الصفحة من معجمه ، الى ان الأيل شابُو أخطأ بترجمته عبارة ميخائيل الكبير (الواقعة في الصفحة ٦٣٦ من كتابه) وهي ܦܪܫܐ ܕܘܝܐ ܕܡܢ ܦܪܢܓܝܐ بالفرنسية : « Les *misérables* chevaliers francs » اي باتخاذه « ܕܘܝܐ » بمعناها الوضعي؛ على حين انه كان يجب اعتبار دلالتها الاصطلاحية التي يقابلها بالفرنسية ، لا *misérables* لكن Templiers . والظاهر ان الحق بيد بركلمن. اللّهم الا اذا كان قصد شابو من ترجمة « ܦܪܫܐ ܕܘܝܐ » بالعبــارة : Misérables ou pauvres chevaliers اعتبارًا لها لقباً من القابهم الخاصة . وهذا ما جاء معززًا لقولنا المستند الى العنوانين الموجودين في نص قانون هولآء الرهبان .

النتيجة الواضحة ان كلمة « داويّة » التي أطلقها المؤرخون المسلمون على هولآء الرهبان العسكريين هي تعريب « ܕܘܝܐ Dâwayyâ » السريانية ، دون تعمل ولا تصحيف . وقد شاعت بين النصارى الشرقيين ، فأخذوها عنهم . ومثل هذا جارٍ حتى في أيامنا هـذه . فاننا نُسمّي الرهبان الفرنج المتخصّصين لتثقيف الشبّان ، تارةً « فْرَيرْ » تعريب الكلمة الفرنسية Frères ، وأخرى « أخوة » المدارس المسيحية ، بطريق الترجمة . وكما ان المسلمين اليوم عرفوا هذا الاسم « فْرَيْر » من المسيحيين الوطنيين ، فلا ريب ان المسلمين ، في زمن الصليبيين ، تلقّوا كلمة « الداويّة » من المسيحيين الشرقيين الذين استعملوا هذا الاسم ، دون أو مع بقية أسمآء هولآء الرهبـان ؛ لانه شاع بينهم مترجماً من الفرنجية الى السريانية ، فعُرِّب . وفي ايامنا هذه ايضاً يحدث مثل هذا في شأن أسمآء بعض الرهبان من ابنآء الفرنج . فان النصارى الوطنيين يدعونهم باسمآء دون أو مع اسمائهم الرسمية . دونك مثلاً :

Les Réparatrices. — Les Sœurs Franciscaines Missionnaires de Marie.— Les Pères Missionnaires d'Afrique etc. فانهم لا يدعونهم ، بترجمة هذه الاسمآء الى العربية ، بل عوضاً عنها ، او زيادةً عليها ، بهذه الآتية : راهبات القربان أو السُجود ؛ الراهبات البيض (لثوبهنَّ الابيض) ؛ الآبآء البيض (لبياض ثيابهم) .

هذا وللقارىء علينا حق اظهار الحقيقة العلمية ، كما وقفنا عليها ، بعد التقصي المتواصل . ولذا نقول : ان البطريرك ميخائيل الكبير كان له معرفة تامّة بمنشأ هولآء الرهبان ، وبقوانينهم التي لخّصها في تأريخه ، بنوع كثير المطابقة للاصل اللاتيني ، ان لم يكن ترجمةً بحتَةً ، فمن باب التصرف [١] ، وقد

---

١ ميخائيل الكبير — عين الكتاب . ص ٥٩٥ و ٥٩٦ — الخوري ارملة السرياني : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ٥٧ وما يلي .

عَنوَن الفصل المخصَّص لهم كما يلي : « ܠܡܫܟܚܬܐ ܕܐܚ̈ܐ ܦܪܝܪ ܦܪ̈ܢܓܝܐ » (خبر الاخوة الفرير الافرنج). ويدعوهم في غير محل « ܕܘܝ̈ܐ ، Dâwayyâ » كما رأينا . الا انه ذكرهم مرةً كما ياتي: ܗܠܝܢ «ܦܪܝܪ» ܐܘܟܝܬ ܐܚ̈ܐ ܕܗܢܘܢ ܡܬܩܪܝܢ ܕܘܝ̈ܐ ܐܘܟܝܬ ܐܠܗ̈ܝܐ » . وقد ترجم العبارة ناشر الكتاب الأبيل شابو بما يلي . Or ces «Phrer» c-à-dire «Frères» qui s'appellent « Dawiyah » c-à-dire « divins ».

ويقول في الحاشية : ܘܐܘܟܝܬ ܐܝܟ ܦܪܢܓܝܐ (بالخط الكرشوني)
Version arabe « داويّـة » parait la transcription d'un mot Franc[1].

فالناجم عن هذا ان ميخائيل الكبير — وهو على ظننا اول من تصدّى لشرح او تبيان اصل هــذه اللفظة — يرى ان « داويَّة » تعني « إلهيّين » . والمترجم يقول انها نقلت عن كلمة فرنجية ، دون ان يذكر اية كلمة هي . والحال اننا اطلعنا على ان هناك لفظة فرنسية قديمة وهي Dive الآتية من اللاتينية Divus جمعها Divi ، ودلالتها : « إلهي ، إلهيّون[٢] » . أجل ! في ذلك شيء من الاحتمال ؛ بيد انه — على خلاف كلمة « ܕܘܝ̈ܐ Dâwayyâ » ، لم يأتِ له مقابل ؛ ولم نجد له أثراً البتّة ، لا في تاريخ الرهبنة أو قانونها ، ولا في تواريخ الصليبيات ؛ اذ ليس هناك من نص ، او مجرّد تلميح يستــدل منه ان

---

١ ميخائيل الكبير : عين الكتاب (نصه السرياني) ص ٥٩٨ — شابو : ترجمته الفرنسية ، مجلد ٣ ص ٢٠٧ .

٢ Littré: *Dic. de la langue française*. p. 1198 : *Dive,* adj. f. *Divine.* Vieux mot qui ne se dit plus guère que dans cette phrase de Rabelais: *La dive bouteille.* Etym. Lat : *Divus,* grec *dios,* sanscrit, *deva,* Dieu, de *div,* ciel.

« الهيكليين » سُمّوا « Divi إلهيين » ؛ كما انه لم يُدعَ به غيرهم من أرباب الطرائق النُسكيّة[1] .

الخلاصة

الذي نتج من التقصّي الدقيق هو أن كلمة « الداويّة » — خلافاً لما توهمه بعضُهم — ليست قطعاً بتعريب اللفظة الفرنجية Templiers ؛ بل قــد تكون تعريب لفظة Divi ، اللاتينية — الفرنجية . وهو رأي عليه صبغة الاحتمال ، لما هناك من التقارب بين الوصفين ؛ لكننا نلقيه على علاّته ، غير متخذين اياه قولاً شافياً — مع احترامنا لسلطة صاحبه ، ميخائيل الكبير — وبالعكس ، نؤثر القول — استناداً الى ما اطلعنا عليه من الحقائق ، وأتينا به من الأدلّة والشواهــد التأريخية واللغوية — ان « داويّة » تعريب « ܕܘܝܐ Dâwayyâ » السريانية .

فلاهل الاختصاص ، من لغويين وألسنيّين ، ان ينظروا في القضية . فان راقت في عيونهم ، فحبذا ؛ والاّ فليأتوا بما لديهم من الحُجَج الراهنة الجديرة بتقويض اركانها ؛ لان الحقيقة ضالة كل باحث نزيه .

---

[1] اني ارحب بكل نص أو مستَنَد تأريخي او لُغَوي يصدر من قبل العلماء اهل الاختصاص ، من شأنه ان يؤيد هذا القول ، قول ميخائيل الكبير .

أصل كلمة « الفِصح »

١

اشتقاقها وتطور معانيها في اللغات السامية .

ان مادة (ف ص ح) وان كانت ثلاثية المبنى ، فهي ترجع بالحقيقة الى حرفين في اكثر اللغات الساميَّة ، اي الى حرف شفهي ، وهو إِما الفآء او اليآء ؛ وحرف صفير ، يلفظ تارةً رخيماً ، وتارةً مفخَّماً ، وهو السين ، او الشين ، او الصاد. ومهما يكن من لفظ هذين الحرفين ، فدلالتها الأصليَّة صادرة عن حكاية صوت الخروج ، فالامتداد ، فالانتشار ؛ ومن ثم فالانفصال والانقطاع . وللمبالغة في هذا المعنى ، يزاد على هذين الحرفين حرف ثالث ، طبقاً للمبدأ القائل : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى » .

ايضاحاً لهذا ، نسرد لك جدولاً في اللغات الساميَّة الثلاث : العربية ، والارمية ، والعِبرية ، مهملين الأَكَّديَّة ، والحبشيَّة ، لان امثلة هذا الاصل قليلة ، لا بل نادرة ، فيهما .

ا في العربية

الاصل الاول (فَ سْ)

هذه المادّة الدالة على الخروج فالانتشار جرت فيها الزيادة أولاً باشباع حركة الحرف الثاني ، فصدر عنها الفعل الناقص ، المعروف المعنى . وأما ما يعقبه من الافعال الثلاثية المبنى ، فقد أُلحِق به حرف صحيح ، للمبالغة في مدلول الثُنائي .

الاصل الثنائي المزيد فيه حرف	الحرف الزائد	معنى الفعل الثلاثي
فَسَأَ	همزة	الثوبَ : مدّه حتى تفزّر (الامتداد)
فسَّج	جيم	(من فسج غير المدوّن): فرج بين رجليه .
فَسَحَ	حآء	وسّع وفرج له وباعد خَطوه ،
فَسَخَ	خآء	فرّق الشيء ، فكَّ مَفصَل اليد .
فَسَدَ	دال	تغيَّر ، اي امتدَّت اجزاؤه وتفاصلت .
فَسَرَ	رآء	بيَّن وأوضح ، اي نشَر وبسط .
فَسَقَ	قاف	جارَ عن قصد السبيل، اي انفصل وابتعد .
فَسَلَ	لام	فطم ، اي فصل وقطع .

﴿ الاصل الثاني (فَ شْ) ﴾

(اي المادة بعينها بابدال السين بالشين)

فَشَّ	مضاعفة الحرف الثاني	افرغ ما في الوَطْب (الخروج والانتشار)
فَشا	مدُّ الحركة بالالف	نشر .
فَشَجَ	جيم	فرج ما بين رجليه .
فَشَخ	خآء	أرخى الرُجل مفاصله .
فشَغ	غين	فشَغَه النوم، غلبه وكسله، اي أرخاه ومدّه .
فَشَق	قاف	انتشرت نفسه من الحرص .
فَشَل	لام	ضعُف وتراخى .

﴿ الاصل الثالث (ف ص) ﴾

(اي المادة بعينها بقلب السين صاداً)

فصّ	مضاعفة الصاد	رشح المآء اي امتد وانتشر .
فصى	مدّ الحركة بالالف	فصل ، مدّ وقطع .

فَصَح	حآء	بانت فصاحته اي امتدت[1] .
فَصخ	خآء	تغابى اي انفصل .
فَصد	دال	شق ، اي فصل فأبعد ،
فَصل	لام	أبعد الشيء عن غيره .
فصم	ميم	كسر ، قطع اي فصل[2] .

ب في الارمية

وكذا الأمر في اللغة الارمية ؛ فان المادة فيها ثُنائية ، بلفظ الحرف الاول پآء او فآء حسب اللهجة . ويخرج الحرف الثاني تارةً سيناً ، وأُخرى شيناً ، وغيرها صاداً .

﴿ الاصل الاول (P S) ﴾

الاصل الثُنائي	الحرف الزائد	معنى الفعل الثلاثي المزيد فيه حرف
Pas[3]		فصى ، عرق ، اي بمعنى الانتشار ،

---

١ احفظ بان هذا الفعل الثلاثي العربي ، سوآء أكانت عينه سيناً أم صاداً ، لا يدل ، من حيث الاصل والاشتقاق ، لا على الاجتياز والعُبُور ، ولا على الاحتفال بعيدٍ مطلقاً ، أو عيد الفصح خاصةً .

٢ راجع الشرتوني : أقرب الموارد ، في المواد : فَس ، فَش ، فَص ، وتوابعها الثلاثية .

٣ معلومك ان اللغات الساميَّة ولهجاتها — ما عدا الاكدية والعربية الفصحى — خالية من حركات الاخر ، في الافعال كما في الاسماء والصفات . ولذا ترى مذهب « ثنائية المبنى » اظهر في الارمية والعبرية منه في العربية القرآنية . اذ ان المادة باقية على حرفين اولهما متحرك والآخر ساكن ؛ وهو أحد شرطي الاصوات ذات اللفظ ، او الكلمات . ولك مثال على ذلك هذا الفعل Pas . فلا يقال ، كما في العربية ، Passa أصله Pas . وأمّا Pasas السريانية أو fasasa العربيَّة ، فهي من مخترعات النحاة .

Psal	لام	فسل .
Psaʿ	عين	جاز ، عبر .
Psaq	قاف	فصل .
Psar	رآء	فسخ الشهادة .

❋ الاصل الثاني (P Š) ❋

Paś	..	فش ، أرخى .
Pśa	مد الحركة	فسا .
Pśag	كَيم	فسج ، فرج بين رجليه .
Pśaḥ	حآء	فسخ ، فصل .
Pśaṭ	طآء	فشر .
Pśak	كاف	فسج .
Pśal	لام	فتل ، أطال .
Pśam	ميم	اتّخم ، اي امتد .
Pśaʿ	عين	فتر ، امتد .
Pśaq	قاف	انبسط ، سهل .
Pśar	رآء	فشر ، شرح .

❋ الاصل الثالث (P Ṣ) ❋

Pṣa	مدّ الحركة	فصل ، خلص ، فصى .
Psad	دال	فصَد .
Pṣaḥ	حآء	فصُح ، أَضآء ، فرح ، انشرح .
Apṣaḥ	»	جاز ، عبر ، عيَّد الفصح .

Pṣal	لام	فصل ، عزل .
Pṣan[1]	نون	اقترع ، قطع .

ت في العبرية

والعبرية كاختيها — العربية والارمية — جارية على هذا النحو ، وحاوية الاصول الثلاثة ، اي الپآء مع كل من السين والشين والصاد .

❋ الاصل الاول (P S) ❋

الاصل الثنائي المزيد فيه حرف	الحرف الزائد	معنى الفعل الثلاثي
Pas[2]		بطل ، زال ، اي انفصل .
Pasas	تكرار السين	نشر .
Pâsay	كيم	قسم ، وزّع .
Pâsaḫ[3]	خآء	جاز ، عبر على شيء ، اشفق على ، عيَّد الفصح .
Pasal	لام	فصل ، شقّ .

❋ الاصل الثاني (P Š) ❋

Paś	..	جَمّ ، وفُر .
Pâśâh	هآء	انتشر ، فاض .
Pâśaḫ	خآء	فلق ، شق .

---

١ راجع Payne-smith *Thes. syr.* ، في المواد : pas و Paś و Pṣa وما يليها من الافعال الثلاثية .

٢ انظر ما سبق من القول في شأن Pas الارمية في الحاشية ٣ .

٣ احفظ هذه اللفظة ومعناها الخاص ، فان مدار البحث عليها .

Pâśaṭ	طآء	بسط ، امتدّ .
Pâśal	لام	أَلقى الى الورآء .
Pâśa‘	عين	مشى ، سار ، مدّ .
Pâśaq	قاف	فصل ، فتح .
Pâśar	رآء	فسّر ، حلّ .

﴿ الاصل الثالث (PṢ) ﴾

Pâṣaṣ	تكرار الصاد	فضّ .
Pâṣâ	مدّ الحركة	فتح ، شق ، خلّص .
Pâṣaḫ	خآء	ابتهج ، انشرح .
Pâṣal	لام	انشق .
Pâṣam	ميم	شق ، كسر ، فتح .
Pâṣa‘	عين	شقّ ، جرَح .
Pâṣar[1]	رآء	شق ، حزّ .

فانت ترى ، من هذه الامثلة ، كيف تنتقل الالفاظ من ابسط حال يمكنها الوجود فيه ، احتذآء لمثال الطبيعة واصواتها — اي الحال الثنائي — الى الحال الثلاثي والرباعي وما فوق ، بزيادة حرف فاكثر من حروف الابجدية كلها ؛ ولا سيما الخفيفة منها ، اي حروف العلّة والحروف الشفهيّة او اللسانية ؛ وبهذه الزيادة يزيد المعنى او يتطوّر .

---

١ انظر Brown : Heb. & Eng. lexicon ؛ في المواد Pas ، و Paś ، و Pâṣaṣ . وما يعقبها من الافعال الثلاثية .

٢

معنى الفصح ، من باب التقييد .

فكلمة « فَصَحَ » اذن ، بمادّتها الثُنائيَّة ، تدل على الخروج ، فالانتشار ، فالانفصال ، فالابتعاد ؛ وبمادّتها الثلاثية — اي بزيادة الحآء على الفآء والصاد ، او بالاحرى على البآء والسين ، كما سترى — تدل خاصةً على الاجتياز والعبور .

فالمعـاني الأولى توجد في اغلب اللغات السامية . وأمّا المعنى الاخير المقيَّد ، فلا وجود له الاّ في العِبريَّة ؛ ثم في الارمية ، بيد انه دخيل في الثانية من الاولى ، لنفوذ اصل التوراة العِبري في الترجمة السريانية . فان Pṣaḥ الثلاثي لا يدل على هذا المعنى ؛ ولكن المزيد Apṣaḥ قد استعمل فيها عوض ʿbar (اي عبر وجاز) ، كما نوّه بذلك بعض المعاجم الارمية[1] .

« الفصح » ، بمعناه المتعارف ، يطلق على عيد من اكبر الاعياد عند اليهود ؛ ثم عند النصارى . ففي نظر الاسرائيليين ، يدل على حادث تأريخي ، اي نجاتهم من الضَربَة العاشرة التي وقعت على اهل مصر ، وهي قتل ابكارهم ، من ابن فرعون حتى ابن الأمة . ثم بعد ذلك اضيف اليه ذكرى خروج بني اسرائيل من ديار الفراعنة ، وعبورهم البحر الاحمر .

أما النصارى ، فيقام عندهم ذكراً لقيامة السيد المسيح الذي اضحى بالآمه الخروف الفِصحِيّ ، وبدمه نجّى البشر من الهلاك الابدي .

أول مرة وردت كلمة « الفصح » في العبرية ، بمعنى العبور والاجتياز ، كانت في الآية الآتية من سفر الخروج وهي :

---

١ راجع الترجمة السريانية البسيطة : خُر . ١٢ : ١١ — ١٣ . ومعجم المطران أودُو الكلداني ج ٢ : ص ٣١٣ و *Thes. syr* في مادّة Pṣaḥ .

« لانه فصح لِيَهْوَه » Pésaḫ-hu la-Yahvé

ثم في الفصل عينه استعمل منها الفعل بهذا المعنى :

U Pasaḫti ʻalêkèm u lâ yehyê bêkèm nêgêf[1] « واعبر عنكم، ولا تحل بكم ضَربَة هلاك ».

فاللفظة في العبرية هي اذن Pèsaḫ مشتقة من فعل Pâsaḫ الذي معناه : عبر وجاز . وقد اطلقت عند اليهود على العيد المذكور آنفاً . ولما عاد اليهود من الجلاء البابلي الى فلسطين — وقدنسي اكثرهم العبرية ، وتعلموا الارمية — اخذوا يلفظون كلمة Pésaḫ على طريقة هـذا اللسان ، اي بالف الاطلاق ، فقالوا Pasḫâ .

ومن لفظة Pèsaḫ نشأ عند العبريين مثل العبارات التالية المختصة بعيد الفصح ، ʻâsâ Pèsaḫ = عيَّدَ الفِصح ؛ Šâḫaṭ Pèsaḫ = ذَبَحَ خروف الفصح؛ Zâbaḫ Pèsaḫ = قدَّمَ او قرَّبَ ذبيحة الفصح[2] .

٣

انتقال Pèsaḫ من العبرية الى غيرها من اللغات

هذا ولا يعزب عن ذهن خبير ان أول ترجمة للعهد القديم كانت الترجمة السبعينية التي بها نقل الاصل العبري الى اليونانية، بامر بطلميوس فلادلفوس، حاكم مصر ، على يد سبعين من علمآء اليهود ، في القرن الثالث ق. م. فاهل هذه الترجمة لم ينقلوا كلمة Pèsaḫ بمعناها ، بل أدخلوها في اليونانية على لفظها

---

١ التوراة العبرية ، خُر . ١٢ : ١١—١٣ . و Vigouroux : *Dic. de la Bible* و Hastings. *Dic. of the Bible*, t. III p. 688 و t. IV. c. 2094

٢ التوراة العبرية ، خُر . ١٢ : ٤٨ ؛ ١٢ : ٢١ ؛ تثنية ١٦ : ٢ .

العبري ، فقالوا Paskha ، ولم يعبروا عنها بكلمة Diabasis[1] .

والترجمة الثانية للكتاب العزيز هي الترجمة اللاتينية المدعوّة القلغاتة (الدارجة) القديمة ، او الايطالية ، الراقية الى اواخر القرن الثاني ب. م. ثم عقبتها الترجمة القلغاتة الشهيرة التي قام بعملها القديس هيرونمس ، في القرن الرابع . فهاتان الترجمتان اللاتينيتان تابعتا اهل السبعينية في نقل كلمة الفصح . فذكرتها القلغاتة الهيرونمية كما يلي : Est enim Phase (id est transitus) Domini وتعريبه : « فانه فصح (اي عبور) الرب[2] » .

وهذه القلغاتة تستعمل تارةً Phase ، كما هو الأمر في كتب موسى الخمسة ؛ وأخرى Pascha ، كما في حزقيال والعهد الجديد[3] .

والى Paskha نَسَبَ اليونانيون ؛ فقالوا Paskhalios ؛ وصاغوا منه فعلاً وهو Paskhazô[4] .

أما الكنيسة اللاتينية ، فقد استعملت كلمة Pascha في طقوسها ، كما تلقتها من الترجمة القديمة والقلغاتة الهيرونمية ؛ فصاغت من Pascha النسبة ، فقالت Paschalis . ولذا نجد في كتاب القداس ، مثل هذه العبارات :

حين تضحية المسيح فصحنا . Cum Pascha nostrum immolatus est Christus

الاعياد الفصحية . Festa Paschalia

في هذه الافراح الفصحية . In his gaudiis paschalibus

المدة الفصحية . Tempus paschale

---

١ الترجمة اليونانية السبعينية : خ ١٢ : ١١

٢ الترجمة اللاتينية القلغاتة : خر . ١٢ : ١١ .

٣ الترجمة المذكورة متى ١٦ : ٢ .

٤ Pillon : *Dic. grec-français* p. 984

الخروف الفصحي. Agnus paschalis

التناول الفصحي. Communio paschalis[1]

وبتمادي الزمان ، أضحت هذه الصيغة النسبيَّة اسم علم للاشخاص . وأقدم أثر تأريخي لذلك ، تمكّنا الوقوف عليه ، يرقى إلى اواسط القرن السابع. فان التأريخ الكنسي يفيدنا ان رجلاً اسمه Paschalis قاوم سرجيس البابا الشرعي ، مدعياً لنفسه الحبرية العظمى ؛ وقد تُوفي هذا الرجل سنة ٦٩٤ م. ثم ، فضلاً عن هذا ، فان كثيرين من كبار الرجال قد دعوا بهذا الاسم ، في كل القرون ، في الديار الغربيَّة . منهم البابا پسكاليس الاول ، المُتوَفى سنة ٨٢٤ ؛ وپسكال الفرنسي الفيلسوف والرياضي الشهير ، في القرن السابع عشر[2].

وقد لفظت كلمة Paschalis في اللغات الرومانية المتولِّدة من اللاتينية ، اي الايطالية ، والاسپانية ، والفرنسية ، وغيرها ، بطرق مختلفة . ودونك ما جاء في مُعجَم لِترَه الفرنسي ، في شأن أصل Pascal الفرنسية قال :

« Pascal, *Etymologie :* Provençal : Paschal; Catalan : Pasqual; Espagnol : Pascual; Italien : Pascuale; du Latin : Paschalis; de Pascha, Pâque[3] »

فكلمة Pascha ادخلها القديس هيرونمس وأهل الثلغاتة القديمة من العبرية الى اللاتينية عن طريق الترجمة السبعينية اليونانية ؛ وبسبيل اللاتينية ، دخلت اللغات الفرنجية الحالية . وهذا ما يشهد به معجم المعاجم

---

١ اطلب كتاب القدّاس اللاتيني : رتبة تبريك الشمعة الفصحية ، والمقدمة الفصحية

٢ Guérin : *Dict. des dictionnaires,* t. V. p. 666 et 667

٣ Littré : *o. c.* t. III, p. 984

الفرنسي لصاحبه Guérin المذكور في الحاشية ، في أصل Pâque بقوله :

« Pâque: du latin ecclesiastique: Pascha, grec Πασχα qui vient de l'hébreu: Pésach, Passage.[1] »

أمـا لفظة « فِصْح » العربية فهي ، ولا شك ، آتية من لفظة Pésaḥ العبرية ؛ لكن يكثر الاحتمال انها لم ترد اليها رأساً ، بل بواسطة السريانية ، كما نرجح ذلك مع العلامة الاب شيخو اليسوعي. والسبب هو انهـا تكتب بالصاد كما في السريانية ، ولا بالسين كما في العبرية . وهذه الصورة هي الاكثر شيوعاً في الترجمات الكتابيّة ، وفي الاسفار القديمة والحديثة . وقد وردت بهذا اللفظ ، ولا بغيره ، في الشعر الجاهلي ، ودائماً في شأن فصح النصارى ، ولا فصح اليهود. قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني ، الذي اطلق اسرى بني تميم ، يوم عيد الفصح ، تقرّباً لله :

يفكّ عن مائـة منهم إسارَهم وأصبحوا كلّهم من غِلِّهِ خُلِعا
بهم تقرّب يومَ الفِصح ضاحيةً يرجو الالـه بما اسدى وما صَنعا[2]

على انها قد وردت في طائفة من كتب اللغة وبعض الترجمـات العربية للعهد القديم والجديد على لفظها العبري « الفِسْح او الفاسِخ » . الاّ ان هذه الصورة نادرة الاستعمال[3] . أمّا سعديا الفيومي فقد نقلها بالسين ؛ ولا غرابة في ذلك ، فانه كان يهودياً[4] .

---

١ Guérin : *o. c.* t. V. p. 618

٢ شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٢١٦ .

٣ *Biblia sacra polyglotta, Exodus,* XII, 11. Lane: *Arabic-English Lexicon,* t. II, p. 2404

٤ Saadia Fayyûmî: *Version arabe du Pentateuque* pp. 97 et 98

فالناجم اذن ان نقلها بالصاد كان من الترجمة السريانية « البسيطة ».
اذ غير خافٍ ان النصرانية تغلغت في بلاد العرب، ولا سيما الشمالية منها، على يد السريان من سكان فلسطين وسورية والعراق. وهؤلاء كلهم كانوا يستعملون الترجمة البسيطة، وفيها Peṣḥâ بالصاد، لا بالسين.

أما الحبشية، وان كان لمادة الكلمة وجود فيها، فهي قد نقلت اليها بالسين او الشين، ولا بالصاد، اي كما هي في اليونانية. لان الكتاب المقدس تُرجم الى الحبشية من اليونانية. ولذا نقرأ اسم الفِصْح فيه Pâska و Pâsika او Peśeḥ[1].

اذن كلمة « فصح » ليست عربيَّة النجار، بل عبريّته؛ نقلت بالترجمة السبعينية الى اللاتينية، وبها الى اللغات الغربية؛ وباليونانية كذلك نقلت الى الحبشية؛ وعن طريق السريانية، دخلت من العبرية الى العربية.

[1] Dillmann: Lex. ling. aetiopicae. c.c. 1252, 1351, 1357, 1392.

كلمة (توراة)

أصل معناها

مما لا ريب فيه ان كلمة « توراة » ، بلفظها ومدلولها الحاليّين ، ليست بعربية بل عبرية . وقد اختلف المُعجميّون القدمآء في ذلك . فمنهم من قال بعبريتها ومنهم من حاول ردها الى نجار عربي . جآء في اللسان[1] : « التوراة عند ابي العباس تَفعِلَة ، وعند الفارسي فَوعَلَة ... التوراة من الفعل تَفعِلَة ، كانها أُخذِت من أورَيت الزِناد ووَرَّيتُها » . وورد في « صبح الاعشى[2] » : « قال ابو جعفر النحاس في « صناعة الكُتّاب » : وهي (اي التوراة) مشتقة من قولهم : ورَت ناري ، ووَرِيَت ، وأورَيتُها ، اذا استخرجت ضوءها . لانه قد استخرج بها أحكام شرعة موسى (ع) . وكان النحاس يجنح الى ان لفظ التوراة عربي . والذي يظهر انه عبراني معرَّب . لانـه لغة موسى (ع) كانت العبرانيَّة ؛ فناسب ان تكون من لغته التي يفهمها قومه » .

فبكونها عبرية ، تلفظ في هذا اللسان Tôrâh ، وهي اسم مشتق من وزن أفعل المزيد وهو Hôrâh وثلاثيُّهُ Yôrâh . لكن اذا رددنا الثلاثي الناقص الى ثنائي ، امكننا القول ان اصلها من « أَرَّ » العربي ، الدال على ايقاد النار . ويقابله في العبرية ôr ، اي النار ، والنور . وفي العربيَّة تقلب الهمزة واواً ، فيأتي من « أرَّ » اللفيف المفروق « وَرى » فيقال : وَرَت النار : اتقدت . فن النار يتولد النور . والنور عينه يدل ، مجازاً ، على العلم ، والتعليم ، والشريعة . وفي هذا لم يطش سهم اهل المعاجم العربيَّة . اما Yôrâh الثلاثي ، فقد جآء بمعنى « القى القُرعَة » في سفر يشوع بن نون (١٨ : ٦) ؛ وبمدلول

---

١ لسان العرب : ج ٢ ص ٢٦٨ .

٢ القَلقَشَندي : « صبح الاعشى » . ج ١٣ ، ص ٢٥٤ .

« رَمى السِهــام » في سفر سموئيل الاول (٢٠ : ٣٦) ؛ ويُراد به « دل » (قضاة ١٣ : ٨) ؛ و « أوصى ، علّم » (خروج ١٥ : ٢٥). من ذلك جاءت Tôrâh دالــة على « التعليم ، والوصية ، والشريعة » وأول استعمال Yôrâh كان يقصد منه القآء القُرعة والسِهام او الأزلام في الهياكل ، لاستنبآء ارادة الالهَة . وعليه فمدلول Tôrâh القديم كان طلب معرفة مشيئة الله وتدابيره ؛ مما كان على الكهنة ان يعلّموه الشعب .

ونجاه هذا الاصل العبري ، أُصول في غير العبرية من اللغات السامية . ففي الارمية الكتابية نجد Awri : علّم ؛ وفي الحبشية الجَعْزية Warawa ألقى ؛ وفي الاكّديّة Arû : قاد ، و Tarû شريعة ؛ وفي العربية القرآنية : روى ، ورأى . لكن هذه كلها صادرة من الاصل القديم وهو الثنائي « أُرْ او ôr » الحاوي معنى النار والنور .

ذكر « توراة » في عهدي الكتاب المقدس

Tôrâh تطلق عند اليهود على كتب موسى الخمسة . وقد سمّيت هكذا ، لان اغلب مضمونها تشريعي . ومن أسمائها ايضاً Tôrât Elôhîm (توراة الله) ، و Tôrât Yahvé (توراة يَهوَه) ، و Sêfer Môśê (سفر موسى) ، و Tôrât Môśé (توراة موسى) . والربّانيّون يدعونها Miqrâ (قراءة) ، و Ḩamiśah ḩumśê hattôrâh (خمسة أخماس الشريعة) .

والاسكندريّون ، أرباب الترجمة السبعينية ، اطلقوا عليها لفظة Penta-teukos اليونانية ، المركبة من Penta (خمسة) و teukos اي الغلاف او الكيس الذي كانت تحفظ فيه الكُتب . وذلك ان « التوراة » لم تكن قديماً مقسّمة ، بل مكتوبة في مجلّة او لفافة من رقّ او غيره ، في غاية الطول ؛ ولطولها هذا ، قسّموها الى خمس قطع متعادلة ، او تكاد ، وضعوا كلاً منها في غلاف . ولهذا سُمّيت Pentateukos ، الخمسة غلف او اغماد .

هذا واعلم أنه لا اليهود الفلسطينيّون، ولا الاسكندريون، ولا غيرهم، اطلقوا اسم Tôrâh او Pentateukos على جميع الاسفار المقدسة او العهد القديم كله .

فعند اليهود كانت الكتب الالهية مقسومة الى ثلاثة اقسام كبرى هذه اسماؤها : Tôrâh (الشريعة) ؛ Nabiyîm (الانبيآء) ؛ Ketûbîm (الصحف) وتجد هذا التقسيم منذ ١٣٠ سنة ق. م. في مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال جدّه . وقد ورد ذكر هذه الأقسام في انجيل لوقا (٢٤ : ٤٤). لكن عوض « الصحف » هناك اسم المزامير .

وكل كتاب من الكتب المنزلة يسميه اليهود Sêfer (سفر)، كما ورد في أشعيا (١٨:٢٩). ودعوا المجموعة كلها باسم شامل بصيغة الجمع Hassefârîm (الاسفار)، كما يرى ذلك في دانيال (٩ : ٢). وأمّا العنوان الرسمي المحلّى به المجموع كله فهو هذه أسمآء الاقسام الثلاثة المذكورة . وقد أخذوا الحُروف الاولى من تلك الكلمات الثلاث وصاغوا منها لفظاً واحداً وهو « תנך » Tanaẖ (بلفظ الكاف مثل الخآء). وهذا هو الاسم المتداول في كلامهم حتى اليوم ؛ ولا تسمع واحداً منهم يسمّي الاسفار كلها Tôrâh (احفظ هذا).

أمّا ما اطلقه المسيحيون، من يونان ولاتين، على كل كتاب منزل، فهو « Biblos » او « biblius » (كتاب او سفر)، المأخوذ من Bublos (Papyrus بَردِي). لان الكتب كانت تخطّ غالباً على البردِي. وهذا ما يقابل séfer العبرية . وعليه سُمِّيَت الاسفار الالهية Biblia . تجد لها ذكراً في سفري المقابيّن. في السفر الاول (١٢ : ٩) Ta biblia ta agia (الكتب المقدسة) ؛ وفي السفر الثاني (١٢ : ٢٣) Eiera biblos (الكتاب المقدس) .

من اليونانية انتقلت الكلمة الى اللاتينية . لكنها، مع الزمان، بعد ان كانت جمعاً مجرداً ، اضحت مفرداً مؤنثاً . وعلى هذه الصورة دخلت جميع اللغات الفرنجية الحاليّة « bible, biblia » .

في الكنيسة الكاثوليكية تقسم الاسفار المقدسة ، Biblia ، الى قسمين كبيرين : يدعى اولهما « العهد القديم » الشامل كتب اليهود كلها ، والاسفار القانونية الثانية ؛ وثانيهما « العهد الجديد » الحاوي الاناجيل وما يتبعها من الاسفار . فكُتُب العهد القديم تسمّى في العهد الجديد : ai graphai (الكتب) ، وفي اللاتينيّة scriptura[1] . أما المفرد e graphé (الكتاب) ، فيدل على نص خاصّ (لوقا ٤ : ٢١) . ووردت أحياناً باسم graphai agiai (الكتب المقدسة) (رومية ١ : ٢) .

وقد ذكر فيه ايضاً الاقسام المهمّة للعهد القديم ، مثل الشريعة Nomos ، والانبياء والمزامير (لوقا ٢٤ : ٤٤) ، أو الشريعة والانبياء (اعمال ٢٨ : ٢٣) ، او الشريعة (اعمال ٢١ : ٢٤[2]) .

« توراة » في القرآن وكتب التفسير

هذه اللفظة كثيرة الورود في المُصحَف . ودونك بعض الآيات القرآنية مشفوعة بنصوص أشهر المفسرين .

سورة آل عمران ٢ « وانزل التوراة والانجيل من قبل هدًى للناس » .

---

١ راجع الآيات الآتية : متى ٢١ : ٤٢ ، و٢٢ : ٢٩ ؛ لوقا ٢٤ : ٣٢ ؛ يوحنا ٥ : ٣٩ ؛ اعمال ١٨ : ٢٤ .

٢ في شأن كل ما بسطناه في هذا القسم من المقال ، اطلب المصادر التالية :

Brown: *Heb. & Eng. lex.* p. 434 et 435.

Hastings: *Dic. of the Bible,* t. I, p. 285; t. III, p. 64.

Vigouroux: *Dic.de la Bible,* t. I, c. c. 1775-76; t. V. c. 50.

Vigouroux: *Manuel biblique,* t. I. pp. 1-3; 298.

H. Hœpfel, O. S. B. *Introductionis in sacros utriusque Testamenti libros compendium,* Vol. II. p. 1.

الطبري[1] (جزء ٣ : ص ١١١) « يعني بذلك جل ثناؤه : وانزل التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، من قَبل الكتاب الذي انزله عليك ... كما انزل الكُتُب على من كان قبلهما » .

عمران ٤٨ : « يعلِّمه (لعيسى) الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » .

الطبري ٣ : ١٨٩ : « يعلِّمه « الكتاب » وهو الخط الذي يخطه بيده ؛ « والحكمة » وهي السُّنَّة التي نوحيها اليه بغير كتاب ؛ « والتوراة » وهي التوراة التي انزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ؛ « والانجيل » انجيل عيسى ، ولم يكن قبله » .

في القرآن كلمة أعم من لفظة « التوراة » ، وهي « الكتاب » . فهي تارةً تدل على الوحي من باب الاطلاق ، وأخرى على التوراة وحدها ، ومرة على الانجيل بمفرده ، وطوراً على كليهما معاً ، وطوراً آخر على القرآن . وهاك بعض الآيات والتفاسير المُبيِّنة لذلك :

سورة البقرة ٢٧ : « ولقد آتينا موسى الكتاب » .

البيضاوي[2] ٢٧ « اى التوراة » .

عمران ٦٥ : « يا أهل « الكتاب » ، لما تحاجّون في ابراهيم ، وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده » .

الطبري ٣ : ٢١٥ ، وما يليها : « يا اهل الكتاب » يا اهل التوراة والانجيل . « وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده » ... فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الانجيل .

مائدة ٤٨ : « وانزلنا اليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب » .

---

١ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : كتاب البيان في تفسير القرآن .
٢ القاضي ناصر الدين البيضاوي : انوار التنزيل في اسرار التأويل .

الكشاف[١] ١:٢٥٨: « فان قلت: اي فرق بين التعريفين في قوله: « وانزلنا اليك الكتاب »، وقوله « لما بين يديه من الكتاب »؛ قلت: الأوَّل « تعريف العَهد »، لانه عنى به القرآن؛ والثاني « تعريف الجنس »، لانه عنى به « جنس الكتب المنزلة ».

بقرة ١١٣: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء. وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، وهم يتلون « الكتاب ».

الكشاف ١:٧٠: « وهم يتلون « الكتاب » للجنس.

عمران ٧٨: « وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب، لتحسبوه من الكتاب، وما هو من الكتاب ».

الطبري ٣: ٢٣١: « يلوون « يحرّفون » ألسنتهم بالكتاب « الوحي »، لتحسبوه من الكتاب « الوحي ».

على ان القرآن قد ذكر من الكتب المنزلة، ماعدا التوراة، « الزبور والانجيل ».

النساء ١٦٣: « وآتينا داود زبوراً ».

الطبري ٦: ٢٠: « انه اسم الكتاب الذي أوتيه داود؛ كما سمّى الكتاب الذي أوتِيه موسى « التوراة »؛ والذي أوتِيه عيسى « الانجيل »؛ والذي أوتيه محمد « الفرقان ».

مائدة ٤٩: « وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم، مصدقاً لما بين يديه من التوراة؛ وآتيناه الانجيل، فيه هدًى ونور ».

---

١ جارالله محمود بن عمر الزَمَخشَري: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الاقاويل في وجوه التأويل.

الطبري ٦ : ١٧١ : « واتزلنا اليه كتابنا الذي اسمه الانجيل ».

« توراة » في كتب المؤلفين المسلمين

لا يفهم من المعاجم القديمة ماذا يُعنى بالتوراة وما تتضمنه؛ ففي اللسان والتاج وغيرهما لا شرح لها. على ان بعض المصنِّفين المطَّلعين على الأديان الاخرى، وبعض المفسرين العصريين قد أتوا بشيء من الايضاح عنها. من ذلك ما جآء في كتاب « صبح الاعشى »، للقلقشندي (جزء ١٣: ص ٣٥٣): « وكتابهم (اي اليهود) الذي يتمسكون به « التوراة »؛ وهي الكتاب الذي أُنزِل على موسى (ع)؛ وهو اول مُنَزَّل على بني اسرائيل سُمِّي كتاباً؛ اذ ما قبلها من المُنَزَّل انما كان مواعظ ونحوها ». ثم ورد في الصفحة التابعة من السفر المسفور: واعلم ان التوراة على خمسة اسفار:

اولها : يشمل على بدء الخليقة والتأريخ من آدم الى يوسف (سفر التكوين)
ثانيها : فيه استخدام المصريين بني اسرائيل وظهور موسى الخ (الخروج)
ثالثها : كيفية تقريب القرابين على سبيل الاجمال (الاحبار)
رابعها : فيه عدد القوم وتقسيم الاراضي (العدد)
خامسها : فيه احكام التوراة بتفصيل المجمل[1] (تثنية الاشتراع)

---

١ راجع ايضاً: تأريخ ابي الفداء، (ج ١ ص ٨٧ .)، وكتاب « المِلَل والنِحَل » للشهرستاني (ص ١٦٣) وتقع في « صبح الاعشى » ايضاً (جزء ١٣ ص ٢٧٢ وما يليها) على كلمة عن الانجيل، يعرف منها ما هو في نظر هولآء المصنفين المسلمين، وفي خلالها ذكر « التوراة » بما يلي » : . . . وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها، وهي عدّة كُتُب، فيها الاناجيل الاربعة المقدمة الذكر؛ و« التوراة » التي بايديهم (اي المسيحيين) وجملة كتب الانبياء الذين قبل المسيح (ع)، كيوشع بن نون، وايوب، وداود، وسليمان (ع)، وغيرهم » . اذن « التوراة »، في نظر هذا المسلم ونظر المسيحيين الناقل عنهم، كتاب متميّز عن كُتُب الانبياء الذين قبل المسيح، وبأولى حجّة عن الانجيل . فاحفظه .

دونك الآن قولاً لاحد المفسّرين العصريّين وهو محمد علي الهندي ، في كتابة (Holy Qur'ân) ص ١٤٠ .

« *Taurât* » is the name given to the books of Moses, or the Pentateuch, and hense, its correct rendering is hebrew word *Tôrâh. The Taurât does not signify the Old Testament,* because the letter is the name of the whol collection of the books of Israelite .prophets et include the *Taurât,* the *Zabûr* et the other books. The word *Kitâb* conveys, however, a more general significance, and signifies sometimes the *Old Testament* et sometines the *Bible.*[1] »

آراء بعض المستشرقين في الموضوع

Père Lammens S. J. :[٢]

« Parmi les Livres Saints, on accorde (dans le Qôran) une mention spéciale à la *Taurât* ou *Pentateuque* des Juifs. »

« Parmi les Livres Révélés, et présentés comme tels, seul le *Pentateuque* (Taurât), le *Psautier* et *l'Evangile* sont spécifiés par leur nom dans le Qôran. »

---

١ هو مولوي محمد علي ، الزعيم المسلم الهندي ، المتوفى في لندن . وقد نقل رفاته الى القدس فدفن في جوَار الحرم الشريف . وهذا عنوان مؤلفه بالانكليزية :
Holy Qur'ân, *Containing the arabic text with english translation and commentary.* Lahore, India.
انظر ما يتبع ، في عين الصفحة من السفر المذكور ترَ ماذا يعني بالانجيل.

٢ Lammens : S. J. *L'Arabie occidentale avant l'Hégire : Les chrètiens á la Mecque,* p. 56 — *L'Islam* p. 12.

Goldziher:[1]

« Mahomet a acceuilli, quelqu'en fût la nature, les apports, que lui fournissaient les contacts superficiels auxquels l'amenait son commerce, et il les a, le plus souvent, mis en œuvre sans aucun ordre. »

Montet:[2]

« Il est absolument certain qu'il (Mahomet) n'a jamais eu entre les mains les Livres Sacrés des Juifs et des Chrétiens. »

Kasimirski:[3]

« Il (Mahomet) ne possédait des Ecritures qu'une connaissance fragmentaire, telle qu'on la puise dans les entretiens et par ouï-dire. »

ان هذين المستشرقين Kasimirski و Montet قد ترجما القرآن الى الفرنسية؛ وقد أدى الاول كلمة « توراة » دائماً بلفظة Pentateuque؛ والثاني بلفظة « La Loi »؛ ولم يعبرا عنها قط بعبارة Ancien Testament او بكلمة La Bible. أما « الكتاب » فترجمته إما Ecriture، وإما « Bible ». فاحفظه.

ورود « توراة » في الكتب والمعاجم العصرية

قال الاب شيخو اليسوعي[4]: « وأخص ما عرفه العرب في الجاهلية من الكتب المنزلة « التوراة والزبور والانجيل ». فقالوا في التوراة التورية

١ Goldziher: *Le dogme et la loi de l'Islam* (trad. franc. de F. Arin) p. 12.

٢ Montet, *Mahomet, le Coran.* p. 29

٣ Kasimirski, *Le Coran. Introduction,* p. XXX

٤ شيخو: النصرانيه وآدابها. ص ١٨٣ وما يليها.

ايضا ؛ وهي كتب موسى الخمسة ، اي التكوين ، والخروج ، والعدد ؛ والأحبار ، وتثنية الاشتراع . « ثم اطلقوها على اسفار العهد القديم إجمالاً ».
وقد وردت في الشعر القديم . قال السموءل :

وبقايا الاسباط يعقوب : دارس « التوراة » والتابوت »

ا المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى « لا غير »

1 Freytag, lex. ar. lat.

« التورية ، التوراة = Lex Mosaica »

2 Lane, VII—VIII. 3052

« التوراة » = The books of the law revealed to Moses »[1]

ب المعاجم المطلقة « توراة » على اسفار موسى ، ثم على العهد القديم كله

١ عبدالله البستاني : « البستان » :

« التوراة ، ويقال التورية : اسفار موسى الخمسة . . . وقد اطلق على العهد القديم كله ».

٢ الشرتوني : « اقرب الموارد » :

« التوراة » : اسفار موسى الخمسة . . . وتطلق على العهد القديم كله ».

٣ الاب لويس معلوف اليسوعي : « المنجد » :

« التوراة او التورية » : اسفار موسى الخمسة — العهد القديم كله ».

---

١ غير خاف على أديب ان هذا المعجم مجموعة أشهر واوسع المعاجم العربية . فلو كانت « توراة » تطلق على شيء آخر ، في هذه الاسفار ، لكان ، لا محالة ، ذكره .

ت المعاجم المطلقة «توراة» على اسفار موسى، والعهد القديم كله، والعهدين معاً

١ بطرس البستاني: « محيط المحيط »:

« التوراة او التورية »: اسفار موسى الخمسة. تطلق على العهد القديم كله؛ « وربما » (اذن الأمر فيه شك) اطلقت على مجموع العهدين[١]».

٢ الاب بلو اليسوعي: « الفرائد الدرّية »:

« التوراة او التورية » = Loi mosaique, Bible

ث المعاجم الفرنسية – العربية، المؤدية كلمة Bible «بالكتاب المقدس» ولا «بالتوراة»

١ E. Bocther, Dict. franc-arabe

« الكتاب، العهد العتيق والجديد = « Bible »

٢ محمد النجاري: « معجم فرنسي — عربي »:

« الكتاب المقدس = Bible »

---

٢ دونك ما جاء في « دائرة المعارف » للمؤلف عينه: « توراة »(Pentateuque) لفظة عبرانية معناها شريعة او ناموس، والمراد بها في تقسيم اسفار الكتاب المقدس «اسفار موسى الخمسة » . ويسميها اليهود بالناموس، او ناموس موسى، وهو سفر التكوين، وسفر التثنية، وقد مر ذكرها؛ وسفر الخروج، وسفر اللاويين او الاحبار، وسفر العدد؛ وسُيذكر كل منها في بابه . واسم هذه الاسفار عند الفرنج مأخوذ عن لفظة يونانية مركبة، معناها « الاسفار الخمسة ». وربما استعمل النصارى « التوراة » للدلالة على مجموع العهد القديم، وعلى العهدين ايضا، من باب تسمية الكل باسم البعض ». ثم يتابع الكاتب كلامه على ان التوراة اسفار موسى الخمسة وحدها، لا الكتاب المقدس بكامله كما هو واضح في شرحه وفي خاتمة إذ يقول: « واما « الكتاب المقدس » عموماً، فسيأتي الكلام عنه في باب الكاف بالاستيفاء » (دائرة المعارف المجلد ٦: ص ٢٦٤)

ج المعاجم الفرنسية – العربية ، المؤدية كلمة Bible « بالكتاب المقدس ، والتوراة »

١ الاب بلو اليسوعي : .Dict. fr. arab
« التوراة ، الكتاب المقدس = Bible »

٢ يوسف حبيش : .Dict. fr-arab
« التوراة ، الكتاب المقدس = Bible »

٣ .Gosselin, dict. fr-arab
« التوراة ، الكتاب المقدس = Bible »

* * *

فبعد سرد هذه الشواهد والأمثلة العديدة المختلفة المصادر ، يسوغ لنا ان نستخرج النتائج التالية :

١ لم يُطلِق اليهود اسم « التوراة » الاّ على كتب موسى الخمسة . وقد وردت بهذا المعنى المقيّد ، لا بغيره ، في العهدين : القديم والجديد . والاسم الشامل كل الكتب المقدسة عندهم هو Hassefârîm اي الاسفار ؛ والعنوان الرسمي للمجموعة كلها هو ، ليس اسم واحد ، بل اسمآء الاقسام الثلاثة المذكورة : « Ketûbîm, Nabiyîm, Tôrâh » ؛ كما يرى ذلك في اية نسخة من العهد القديم ، في اللغة العبرية . وفي الاستعمال ينوب عنها الكلمة المركبة من الحروف الاولى من هذه الاقسام الثلاثة وهي « תנך Tanaḫ » . واما في العهد الجديد فاسمها العام ليس « التوراة » ، بل « الكتب ، أو الكتب المقدسة » .

٢ عند اللاتين واليونان ، لم يأتِ لفظ Pentateukos او — Penta

teuchus الا مقابلاً لكلمة Tôrâh، اي بمعنى اسفار موسى الخمسة لا غير. واما الاسم الشامل العهدين عند الغربيين، قديماً وحديثاً، فهو « Biblia ».

٣ الظاهر من كلام الاب شيخو وغيره ان كلمة « توراة » اطلقت عند العرب قبل الاسلام على « العهد القديم كله »؛ بيد ان شعر السموءل الذي استشهد به — ان كان حقيقة من قبل الاسلام — لا يثبت من ذلك شيئاً البتة؛ لانه لا يُعرَف منه معنى التوراة ولا ما تحويه.

٤ الناجم عن نصوص مفسّري القرآن ان كلمة « الكتاب » الواردة كثيراً في المصحف هي ذات معانٍ مختلفة، اولها: الوحي، او التنزيل، او كل سفر سماوي. ثانيها: التوراة وحدها، اي كتب موسى. ثالثها الانجيل بمفرده، اي كتاب عيسى ليس الاّ. رابعها: التوراة والانجيل، اي الكتابان المذكوران وحدهما، دون افتراض ان كلاً منهما يحوي عدة اسفار من العهدين. خامسها: الزبور، اي كتاب داود لا غير. سادسها: القرآن، اي كتاب محمد دون سواه.

٥ من قرائن آيات القرآن يستدل على ان « التوراة » مطلقة على كتاب واحد قائم بذاته قد أُنزِل على موسى، كما أُنزِل الانجيل على عيسى، والزبور على داود. ولا يظهر منه انها تشمل اسفار العهد القديم، او العهدين معاً. « والكتاب » يشمل « التوراة » كما يشمل الكل جميع الاجزآء. اما « التوراة » فلا تشمل « الكتاب »، لانها ليست الا جزءاً من اجزائه.

٦ في عرف علمآء المسلمين لا تأتي « التوراة » الا بمعنى اسفار موسى الخمسة؛ كما استبان ذلك من المنقولات عن الشهرستاني، وابي الفدآء، والقلقشندي؛ ولا سيما من كلام مولوي محمد علي الهندي.

٧ الناجم عن تحقيقات المستشرقين المتفرّغين للاسلاميات ان محمد لم يقف قط على الكتب المُنزَّلة، لا اليهودية ولا المسيحية. والذي عرفه من

اسمآء بعضهـا ومضموناتها لم يتوصل اليه الا بالسماع عن طريق الحكاية او الرواية المأثورة عند العامة . ومن رأي هولآء المحققين ان « التوراة » في القرآن لا تعني الا ما يقابل Tôrâh او Pentateuque ، اي كتب موسى الخمسة ؛ ولا العهد القديم كله ، وباولى حجة ، لا العهدين معاً ، او الكتاب المقدس . ومن هنا تنكشف لك قيمة الارآء الباقية المدّعية ان التوراة تعمّ العهد القديم ، او العهدين معاً .

٨ أما المعاجم الحديثة التي اوردنا نصوصها — دون خشية ولا مواربة — فنقول فيها : ان التي لا تطلق « التوراة » الا على كتب موسى الخمسة ، ولا تؤدي Bible الاّ « بالكتاب المقدس » قد اصابت كَبِد الصَواب ، وتابعت كبار المحققين من غربيين وشرقيين . أمّا التي سمّت بها العهد القديم كله ، فقد توسّعت في القضيّة توسّعاً لا يظهر انه مُدعَم ببرهان دامـغ . وأمّا التي شملت بها العهدين معاً ، فنكبر الظن انها استندت الى ما جرى على ألسن العامّة في سورية وغيرها من البلاد الشرقية .

٩ لكن ما يقضي بالعجب ، ويدلّك على ان هذا التوسّع مفرط فيه هو أنه عند كل المسيحيين — سوآء أكانوا من الكاثوليك ، أم من البروتستنت ، أم من الارثذكس وغيرهم — لا تظن انك تجد مجموعة من اسفـار العهدين محلاة بعنوان « التوراة » عوض « الكتاب المقدس » . هذه المخازن البرتستنتية التي يباع فيها الكتاب العزيز ، المطبوع بلغات العالم ؛ فانك لا ترى فيها على واحدة من نسخه ، عنوان « التوراة » ؛ بل على كل منها « الكتاب المقدس » ؛ مع انه كان الاوفق والاسهل ان تُعنَون « بالتوراة » ، لكونها كلمة واحدة ، مفضّلة على الكلمتين ؛ أو فلا أقل من اننا كنّا نرى العنوانين مستعملين دون فرق . لكن هذا لا وجود له . ولماذا ؟ أليس لان « الكتاب المقدس »

هو العنوان الرسمي المقبول ، و « التوراة » كلمة عاميّة جرت على بعض الألسن ، ونقلتها طائفة من المعاجم دون تثبّت ؟ وهل من معجم خالٍ من الكلام العامّي ، غير المدقّق فيه ؟

بعد ان علمت كل هذه الحقائق ، ألقِ نظرة على هذا الوارد في بعض المجلات وهو : « جآءت « التوراة » عند اليهود بمعنى أسفار موسى . ثم اطلقت بعد ذلك على اسفار الانبيآء وجميع الكتب المنزلة عندهم . ولمّا جآء النصارى ، اطلقوها على اسفارهم ؛ لأنهم يعتبرون اسفارهم واسفار اليهود كتاباً واحداً ، مقسوماً الى عهدين : قديم وجديد . وهذا رأي علمآء المسلمين ، وعلمآء النصارى . اذ عرّفوا « التوراة » بالكتاب ، و « الكتاب » بالتوراة » .

فللقارىء ، بعد المقابلة بين التحقيقات والتدقيقات العلميّة وبين هذا الكلام الواهي ، ان يبرز حكمه النزيه ، نابذاً الغث ، ضانّاً بالسمين .



كلمة « إِيل El »

محاولة اشتقاق لها جديد

Essai d'une nouvelle étymologie

اذا كشفت عن هذا الحرف في المعاجم العربية، تجد ما يلي او ما يقاربه مبنىً ومعنىً: « إِيل اسم الله تعالى في العبرانية، معناه القوي والقدير[1] ». واهل المعاجم العبرية وعلمآء الكتاب المقدس قد اختلفوا في اشتقاق هذا الاسم. فمنهم من قال بانه صادر من « ʼûl » العبري العديم الاستعمال والذي مدلوله « قوي، قدر ». وغيرهم يرون أنه آتٍ من ʼâlah، ومعناه في العبرية : القدرة. وآخرون يظنّون انه من êl الاداة العِبرية الدالّة على الاتجاه، مثل « إلى » العربية ؛ ومن ثم يكون معناه : الهَدَف. ويزعم غيرهم انه مشتق من فعل « آلَ » العربي الدالّ على الزعامة والسيادة. الأ ان الكثيرين لا يرون في كل هذا الاقوال ما به يشفى الغليل[2].

على ان باب « الاجتهـــاد » باقٍ مفتوحاً على مِصراعَيه ؛ ولكل مجتهد الحق في ولوجه، قصد تمحيص الحقيقةِ من وجه خاص من الوجوه. ولذا

---

١ محيط المحيط، ١ ص ٥٤

٢ راجع في هذا الصدد، الاسفار التالية :

Lagrange: *Etudes sur les religions sémitiques.* 2e éd p. 70—83.

Vigouroux: *Dictionnaire de la Bible.* V. II. c. 1627—29

Hastings: *Dict. of the Bible,* V, II. p. 198—199

Gesenius: *Thesaurus linguae Hebrææ et Chaldææ.* V. I. p. 48.

نستبيح لذاتنـا القآء دلونا في الدلآء ، محاولين ارتيآء رأي جديد في أصل هذا اللفظ . وعسانا أن نصيب المرمى .

مما لا مُشاحّة فيه بين جمهور الكتابيّين والمستشرقين ان هذا الاسم اقدم اسم للألوهيّة عند الساميّين . فاننا نجده في اعرق الكتب قدماً من العهد العتيق. فقد ورد في التوراة — وهي كتب موسى الخمسة — منـذ عهد ابراهيم[1] . وغير خافٍ ان ابراهيم كان قد خرج من « أُور الكلدانيّين » ، اي من بلاد البابليّين — الاكّديين[2] . ولا ريب انه كان يسمّي الآله باسم « El او Il » ، كما كان يتلفظ به أبنآء وطنه . والشاهد على ذلك ان هذا الاسم قد ورد على هذه الصورة في أقدم الآثار المسماريّة ، اي قبل ابراهيم بقرون[3] .

أما البابليّون — الاكّديّون ، فكانوا ، ولا شك ، قد تلقوه ، بسبيل النقل ، عن آبائهم الساميّين القدمآء . فعلى أية صورة وصل اليهم هذا الاسم ؟ الواقع ان هذا الحرف وارد في الرُّقم المسماريّة بهذه الصُور الثلاث «El و Il و Ilu » . اما الحرف او الحركة «u» المذيّلة بها الصورة الثالثة ، فهي علامة الاعراب للرفع ، المستعملة في الاكّدية ، كما في العربية الفصحى . و Il صادرة عن اشباع الامالة وتحويلها الى كسرة ، كما الأمر جارٍ حتى اليوم في العربية العاميّة ، في بعض البلاد . من ذلك « كنيسةٌ » الفصحى تتحوّل الى « كْنِيسَي Knîsê » ثم الى « كْنِيسِي Knîsi » .

---

١ طالع التوراة العبرية : تكوين ١٤ : ٢٠ ؛ ١٧ : ١ ؛ ٣٧ ؛ ١١ ؛ ٤٨ : ٣ — خروج ٢٠ : ٥ ؛ ٣٤ : ١٤ — تثنية ٤ : ٣١ ؛ ٧ : ٢١ — يشوع ٣ : ١٠ —

٢ تكوين ٢١ : ٣١ ؛ ٢٢ : ١ — ٨ .

٣ راجع شريعة حمورابي المعاصر لابراهيم ، اي ٢٠٠٠ سنة ق م ؛ واقدم منها بكثير قصة الخلق ، والاناشيد البابلية وغيرها ؛ تجد ذلك في مجاميع مختلفة لعلماء الاشوريات ؛ من جملتها الكتاب الاتي :

Robert William Rogers : *Cuneiform parellels to the Old Testament.* Oxford.

وأما « El او Il » فهل يا ترى الإمالة او الكسرة فيهما اصليتان أم ناشئتان عن حركة أخرى ؟ الذي يلوح لنا انّهما ليستا باصليتين ، بل ان « El او Il » آتيتان من « 'al » . وأمّا « 'al » فاصلها من « عَلْ » الثُنائي . ودونك الدليل على رأينا .

معلومك ان الاكّدية — كطائفة أخرى من الألسن الساميّة — قد فُقدت منها اكثر الحلقيات ؛ فقام مقامها الهمزة . وذلك لاتصال اهلها وامتزاجهم بالشُمَريّين ، واتخاذهم كتابتهم المسمارية الخالية من الحروف الحلقية . على ان سقوط الحلقيات في الاكّديّة لا يخلو من التأثير في الحركات الخاصة بها ، والتي تجاورها . وهذا جارٍ خاصّة ، لمّا تقوم الهمزة مقام « الحاء ، او العين ، او الغين » . فاننا نرى حركة الهمزة تضحي امالة ، بعد ان كانت فتحة ، مثلاً edêšu (حدث ، كان جديداً) عوض 'adašu الآتي من Ḥadašu . وكذلك Šêmû من Šama'u (سمع) ؛ bêl من ba'al (بَعل) ؛ épru من 'apru (عَفر ، غبار) ؛ êrêšu من 'arašu (غرس) . وأما اذا كانت الهمزة اصلية او قائمة مقام الهآء ، فان حركة الفتحة لا تنتقل الى حركة الإمالة ، الا نادراً جداً . نحو 'aḫu أخ ؛ 'aḫuz أخذتُ . زد على ذلك ان الفتحة تتحول الى كسرة في مثل هذه الاحوال . نحو ilqitu اصلها 'alqitu (عَلَقَة) ، iqbu اصلها 'aqbu (عَقِب) ، inu اصلها 'aynu (عَين) ؛ Šalîbu أصلها Ša'labu (ثعلب) ، Pîtu أصلها Pataḫu (فَتَح) . اذن يمكن القول ، من باب الاطلاق ، ان كل همزة محركة بالامالة او الكسرة اصلها ، في الغالب ، احدى الحلقيات المذكورة آنفاً [1] .

---

1 Ungnad: *Babylonisch - assyrisch Grammatik.* Münichen 1926. § 4ᶜ ; § 5ʸ . — V. Scheil & C. Fossey. *Grammaire assyrien-.ne.* Paris 1901. ch. I. § 5 ; ch. II. § 38, 39, 40.

وعليه نقول ان اسم « El او Il » اصله « عَلْ » سقطت منه العين وقامت مقامها الهمزة ، فاصبح « ʾal » . لكن ذلك اقتضى تحويل حركة الهمزة من الفتحة الى حركة الامالة وهي « é » ، فاستحالت « ʾal » الى « el » ، لا بل تحولت الحركة « é » الى « i » . ولهذا ترى هذا الاسم ، بعد هذا التحويل ، قد استقر لفظه بصورة « Il » وعند الاعراب ، بصورة Ilu » .

نزيد على ذلك شهادة تأتينا من الكتابة المسمارية التي أخذها الاكديون من الشمريين . فان هولاء كانوا يعتقدون بوجود آلهة متعدده ، منها سماوية اي عُلوِيَّة . ولذا فالصورة الفكرية (Idéogramme) التي كانوا يدلّون بها على اوّل الآلهة ، او الألوهية على وجه الاطلاق ، كانت صورة « نجم » ؛ ومعناها الخاص « السماء » ، اي العلاء . أما النجوم الحقيقية فكانت علامتها صورة النجم ايضاً ، لكنهم كانوا يكرّرونها للفرق بينها وبين اله السماء .

أما الاكديون ، فكانت الألوهيَّة موسومة عندهم — منذ القرون السابقة التأريخ — باسم يدلُّ كذلك على العلاء . وهو اسم « عَلُ » . وعصرَ امتزاجهم بالشمريين ، اخذوا عنهم — في جملة ما أخذوه — اسم الاله « An » مضيفين إليه علامة اعراب الرفع وهي « u » فاصبح « Anu » . الاّ انهم لم يعدلوا عن اسم « اله السماء » عندهم ، وهو « عَلُ » ؛ بل شرعوا يدلون عليه بعلامة « النجم » ، كما كان الشمريون يرمزون عن الاله « Anu »[1] . على انهم بتأثير الكتابة المسمارية ، طفقوا يلفظون « عَلُ » « Elu » ؛ واخيراً استقروا على لفظة « Ilu » اي باسقاط العين الحلقية ، والتعويض عنها بالهمزة ؛ ثم بتحريك هذه الهمزة اولاً بالامالة ثم بالكسرة ، طبقاً للسنّة المعروفة ، سنّة اسقاط الحلقيات ، في كتابتهم ، ومن ثم في كلامهم .

---

1 A. Deimel S. J. *Pantheon Babylonicum.* N^os 88, 827, 846, 1467.

ولنا برهان آخر ، برهان المقارنة . فاننا نجد في جداول الكتابة المسمارية ان علامة النجم – الدالّة في الشُمَرِيّة على اسم الالـه «Anu» ، وفي الاكَّدِيَّة على اسم الالـه « Ilu » — تأتي ايضاً كَمقطَع يُلفظ an ؛ وأنّ هذا المقطَع ، اذا رُكِّب مع علامة أخرى لَفظُها ta ، يصدر عنهما أولاً كلمة êlu ، وهي صفةٌ بمعنى « عالٍ » ؛ ثم êliś ، وهي ظرفٌ معناه « عُلواً او ارتفاعاً » . ومن المؤكد — حسب القواعد التي بسطناها اعـلاه في خصوص سقوط الحلقيات في اللغة الاكَّدِيَّة — ان أصل الهمزة في كلمتي êlu و êliś هي العين ، وان أصل الامالة فيهما هي فتحة ، اي انهما في الاصل « ʻalu و ʻaliś » (عَلُو وعَلِشْ) (والمُذيِّلَة iś هي في الاكَّدِيَّة علامة الظرفيَّة ، كما أن « إيث » مُستعملة لهذه الغاية في السريانيَّة) . وعليه يمكن من بـاب المقابلة ان يقال بان أَصل « El او Il » بالعين ، كهذين المشتقين ؛ وان معناه ، كمعناهما ، من العُلو أو الارتفاع[1] .

فان كان الأمر كذلك ، من جهة الاشتقاق ، لاق بنا أن نقول بانّ اسم « El » العبري ماخوذ من الأكَّدي ؛ بيد ان الاكَّدي آتٍ من السامي القديم « عَلْ » . وهذه الصورة قد حُفظت في العبريّة ذاتها في لفظة « ʻal »[2] ؛ وبالاخص في العربيَّة في كلمة « عَلُ » المُعربة بالرفع ، كما في الاكَّدية ، ومعناها العُلو أو الارتفاع[3] .

ومما يزيد في مبلغ قوة هذه المقارنة أن لهذا الاصل مشتقـات في جميع اللغات الساميَّة ، تتناسق مبنىً ومعنىً ، وتبتدىء كلها « بالعين ولا بالهمزة » . من ذلك في العربية : « العَلِيّ ، العالي ، المُتَعالي » ؛ وفي الأرميَّة « ʻellâyâ » ؛

---

١ F. Delitzsch — Assyrische Lesestüke, p. 5

٢ F. Brown : *Hebrew & cnglish Lexicon of the Old Testament,* p. 752.

٣ عبدالله البستاني ، البستان (معجم) ج ٢ ص ١٦٤٩ .

وفي العبريّة : « ʿelyôn » ؛ وفي الحبشية (مقلوبة) « Leʿûl » . ومن الحري بالاعتبار انها كلها من الاسمآء الحسنى ، كما هي الحالة في اسم « El او Il ». ونُكبِر الظنّ انّ التسمية الواردة في التوراة العبريّة اي « Elʿelyôn »[1] كانت في الاصل القديم «ʿalʿalyôn» (عَلْ عَليون) ؛ وما هي إِن تكرار الاسم بصيغة أخرى ؛ مما يقابله في العربيّة : « العَلِيّ المُتَعالي[2] ». وهذه التسمية — بصيغتين من أصل واحد، مع مبـالغة في الدلالة — لها مثالان آخران في العربيَّة ، وهما « الغَفور الغَفَّار[3] » ، و « الرَحمان الرَحيم ». ومن هذا الاخير جآءت البَسمَلَة الاسلاميَّة .

ومما يؤيّد نظريتنا هذه المستندة الى الاشتقاق أن الفِكرة الاولى البسيطة ، العارضة للانسان الفطري، المتجلّي لعقله وجود الأُلوهِيَّة ، هي فِكرةٌ متحقِّقَة بالحوادث الجارية في السمآء اكثر مما على الارض . فان دلائل وجوده وقدرته تعـالى ظاهرة ، لأول وهلة ، في العَلآء : بالشمس الساطِعَة ، والقمر المُنير ، والنجوم المتلألئة ، وبتعاقب الليل والنهار ، وبالهوآء والغيوم والأمطار ، وبالعواصف والبروق والرعود ؛ مما يَشعُر الانسان بمنافعه لحياته ؛ فتتمثَّل له فكرة الأُلوهيَّة بفكرة « العُلويَّة ». ولهذا فأول تسمية أَطلقها الساميّون على الالـه — وهم في حالتهم الفطريّة ، قبل الأَزمنة التأريخية — كانت حاويَةً فكرة العَلآء ؛ فعبَّروا عنها بكلمة « عَلُ » الثُنائِيَّة .

وهذا ما نراه عند كل البشر . فان مسكن الآلهة هو السمآء ، اي العلاء . والسمآء مأخوذ من « سما » اي علا وارتفع . واسم السمآء مرادِف لإسم الالـه ،

---

١ تكوين ١١ : ٢٠ .

٢ تاج العروس ج ١٠ ص ٢٥٣

٣ تاج العروس ج ٣ ، ص ٤٥١

في غالب لغات العالم. واذا اراد الناس — بُسَطآء كانوا أم علمآء — الاشارة الى اسم الله — سوآء كان ذلك مع الكلام ام بدونه — رفعوا أيديهم الى السمآء. والفقير الأخرَس او غير الفاهم لغة غيره، اذا قصد الاستعطآء، أشار بيده الى السمآء، دليلاً على طلبه الصدقة لوجه الله.

النتيجة ان اسم «إيل El»، الدخيل، بصورته هذه، في العربية من العبريّة، بَعيدٌ أَن يكون اشتقاقه من فعل «أُوْلْ الَّا» غير الدارج على الألسنة؛ إِذَنْ الاظهر والاصوب في نظرنا — وفقاً لما أَدلينا به من الأدِلّة — انه صادر من «عَلْ» المراد به السُمو والارتفاع. وهو بصورته هذه الثُنائيّة أحرِبه ان يكون عريقاً في القِدَم؛ ومن ثم ان يُدرَج بين العناصر الأوَّليّة للغة الساميّة السابقة للتأريخ؛ وقد بقي لنا خاصةً في العربية.

هذه نظريتنا نعرضها لنقد ارباب الاختصاص، لعلّها تجد في نظرهم قبولاً.



أصل كلمة « هيكل »

هذه اللفظة من عداد الالفاظ الواردة في اللغات السامية جمعاء ، اي الاكدية ، والعبرية ، والأرمية ، والعربيَّة والحبشية . أما المعاجم العربية ، من قديمة وحديثة ، فلا تجد فيها ذكراً لاصلها . انما الواضح انها ليست من الاوضاع المشتقة من الافعال ، بل أحر بها ان تحسَب من الأصول الجامدة .

كان يُظنّ سابقاً ان أصلها عِبريّ . ثم لما ظهرت في الرُّقُم المسمارية ، قيل أنهـا أشوريَّة . وفي الحِقبة الاولى من دراسة الأشوريّات ، حين كان الباحثون يدعون اللغة الشُّمَريَّة « اكَديَّة » ، قالوا انها منقولة من هذه اللغة الى الاشوريَّة . بيد انه اذ توصّل المحققون الى ان يثبتوا بان « الشُّمَريَّة » لغة قائمة بذاتها ، ليست من طائفة الألسن الساميّة ، لكونها لغة مقطعيَّة ، مجاورة ، غير متصرفة — وقد وضعوا لها تدريجاً كتبَ لغة وصرف ونحو — اتضح اليوم بكل جلآء ان لفظة « هيكل » وَضعٌ شُمَرِيّ ، ولا ساميٌّ قطعاً . ومن هذه اللغة نقلَ الى الاكَديَّة ، ومنها الى العِبريّة ، فالارميَّة ، فالحبشيَّة ، فالعربيَّة . ودونك اثبات القضيَّة .

اللغة الشمريّة ذات كتابة مقطَعِيَّة مسماريَّة . بيدان هذا الخط كان في عريق العصور « صُورِيًّا » (Idéographique) . وقد تحوّل ، على كرور الازمان ، من « الصوريَّة » (Idéographisme) الى « المقطَعِيَّة » (Syllabisme) . الا ان « الصورِيَّات » (Idéogrammes) لم تضمحل منـه بالكليَّة ، بل بقي منها شيء كثير يتخلّل المقاطع ، أو يدلّ على ألفاظ ذات معانٍ تامَّة . من ذلك كلمة E-Kal ؛ فانها مركبة — حسب روح اللسان الشُّمَرِيّ ، وخلافاً لروح الساميات من بـاب الاطلاق — من علامتين ، وهما E و Kal . معنى الاولى « بيت » ، والثانية « كبير » . واذ كانت البيوت الكبرى لسكنى

الكبار ؛ وكان اعظم الاعاظم الآلهة والملوك ، خُصَّت هذه اللفظة « ببلاط الملك ، ومعبد الالـه » .

غير خافٍ على ذوي الالمام بالشُمَريات — الاكَّديات أن الاكَّديين — وهم أقدم الساميين المتوطِّنين ربوع العراق الجنوبي — اقتبسوا من الشُمَريين كتابتهم المسمارية ، مطبقين إياها على مطلَبات لغتهم السامية . على انهم لم يكتفوا باستعارة الخط ، بل زادوا على ذلك — مما يحدث غالباً بين الشعوب المتجاورة المتمازجة — انهم أخذوا عنهم الفاظاً كثيرة ، وتعبيرات جمَّة ، جرت على ألسن المتكلمين ، واقلام المنشئين ؛ من ذلك لفظة Ekal . واذ كانت الاكَّدية — خلافاً للشُمَرية — لغة متصرفة ، اضافوا الى الكلمة علامات الإعراب ، فقالوا Ekal-u أو Ekallu . ودليله ان علمآء اللغة ، من الاكَّديين القدمآء ، نظموا جداول خاصة ، ذات ثلاثة حقول ؛ في الحقل الاوسط ، وضعوا العلامات الصورية المسمارية الشُمَرية التي دخلت في لسانهم ؛ وفي الحقل الايسر ، ذكروا لفظها المقطعي الشُمَري ؛ وفي الحقل الأيمن ، شرحوها ، او قل ترجموا معناها بما يقابله في لغتهم الاكَّدية . مما ينجم عنه انه لو كانت اللفظة سامية اكَّدية ، لما كانوا احتاجوا الى هذا العمل .

وان رغبت ان تتحقَّق ذلك ، فاعمد الى كتاب تعليم القراءة المسمارية ، لصاحبه الأستاذ العلاّمة فريدريك ديلتج الالماني . فانك ترى في الصفحة ١٠٢ ، السطر ٢٣٢ ، من « المَقاطِعِيَة » (Syllabaire) المُعلَّمة ب (S^b) ان العلامة الصورية (E) يقابلها في الحقل الأيسر ، بالشُمَرية (E) ؛ وفي الحقل الأيمن ، باللغة الاكَّدية ، وبالطريقة المقطَعِيَّة (bi-i-tu) اي « بَيت » . وفي الصفحة ٩٩ ، السطر ١٢٤ ، من « المَقاطِعِيَة » المذكورة ، نجد أن العلامة الصورية ، المرسومة في الحقل الاوسط تنظر ، عن اليسار ، الى الكلمة الشُمَرية المُركَبة من مقطعين وهما . . (Ka-al) ؛ وعن اليمين ، الى اللفظة الاكَّدية ، ذات المقاطع الثلاثة وهي : (ra-bu-u) ، التي يقابلها في الارمية rabba =

كبير. وفي الوجه ٢٣ من هذا الكتاب المذكور تجد هاتين العلامتين الصُوريّتين مزدوجتين، مركبة منهما لفظة واحدة، دالّة على معنى واحد، اي (Ekallu, Palast, tempel) : هيكل. بلاط —

وهناك ما جآء في معجم Bezold، البابلي — الاشوري — الالماني — وهو احدث ما وضع في ذا الشأن — فهو اذن مستَنَد لآخِر ما حصل من تحقيقات العلمآء. ففي الصفحة ٢٨ منه تقرأ ما يلي : Ekallu, st. c. Ekal, pl. Ekallâti. وترى بعد هذا، بين هلالين، هذه المختصرات : (Sum. L. W.) وهي بالكتابة الكاملة (Sumerisch Lehnwort) ؛ وتعريبها : « كلمة شُمَريّة دخيلة » في الاكّديّة. ويعقب ذلك بعض العبارات الدالّة على استعمالها في في هذا اللسان :

بلاط او هيكل الآلهة	Ekal ilâni-Palast der Gœtter.
بلاط الملك	Ekal-malki Kœnigpalast

الخلاصة

مما ينجم عن تقصيات المتخصِّصين، أن اللغة الشُمَريّة ليست بساميَّة ؛ فلا يجوز ان ننظمها في سلك هذه الألسن. كلمة Ekal شمرية مركَّبة من علامتين صوريتين ؛ وقد أطلقت عند الشُمريّين على البلاط والمعبد. أَدخل الاكّديّون هذا الوَضع الى لسانهم، غير مغيّرين فيه شيئاً، سوى انهم زادوا عليه علامات الاعراب، التي لا وجود لها في الشُمَريَة. ومن الاكّديّة انتقل الى اللغات الساميَّة الأخرى. وفي هذه الألسن — لا في الاكّدية نفسها، المضمحلّة منها الحلقيات — تحوَّلت الهمزة الى هآء، فاصبحت اللفظة بصورة : هيكل.

هذه هي الحقيقة العلمية الناصعة ؛ وما كان في الكتب او الصحف بهذا المعنى، فهو الحري بالاعتبار والاتباع. ومن هذا ينكشف وهن الرأي القائل : « ان كلمة « هيكل » ساميَّة الاصل. وهي كذلك او ما يقاربها لفظاً ومعنى في الارمية والعربية والحبشية والاشورية ... ».

بيت لحم ، واللَحْم ، واللَقمْ

بيت لحم » اسم لمدينة صغيرة جميلة في فلسطين ، واقعة غربي القدس ، تبعد عنها نحو ١٠ كلومترات . وأول مرة جآء ذكر هذا الاسم قديماً كان في اعتق سفر من اسفار الكتاب المقدس ، وهو سفر التكوين . وذلك عند سرد قصة عودة ابي الأسباط من ربوع بين النهرين ، وولادة راحيل امراته ، وموتها ، ودفنه لها في موضع قريب من « بيت لحم » ، اقيم فيه مزار لليهود حتى اليوم .

« بيت لحم » اسم عِبري مركّب من كلمتين ، وهما « بيت » و « لحم » . ومعناهما الظاهري « بيت الخبز » . ولهذين اللفظين وجود في غير العبريّة من اللغات الساميَّة ، اي في الارمية والعربية . أما « بيت » فمدلوله واحد في الالسن الثلاثة . وأما « لحم » فالعبريّون يلفظون حاءه خآءً . اي « لخم » . وأمّا العرب والآراميون فقد ابقوا لفظها حآءً . والعبرية والآرامية متفقتان في ما ضمّنتاه في لفظه من المعنى ، اي « الخبز » . أمّا العربية فتخالفهما في تلك الدلالة ؛ اذ ان كلمة « لحم » لا يراد بها الخبز ، بل تلك المادة المرنة الداخلة في تركيب اجسام الحيوانات الصالح اكثرها لاكل البشر . الا اننا اذا تقصّينا في معنى هذين الحرفين في عريق الأزمان ، اطلعنا على مؤدّاهما الاصلي ، وعرفنا تطوّره ، وكيف نشأ اختلافه في هذه اللغات .

أمّا « بيت » فعلى راي اهل المعاجم في مختلف اللغات الساميّة ، صادر عن « بات » : قضى الليل في موطن من المواطن . بيدانا ، طبقاً لنظريّتنا الثُنائية ، نرى انه ليس من بات الاجوف ، بل من « بَتّ » الثنائي الدال على القطع أو الانقطاع . وفي صدد بحثنا يعني الانقطاع عن السير والسفر ، عند

انقضآء النهار ، ودخول الليل ؛ لان السفر عادةً يجري نهاراً ، وينقطع ليلاً . وعليه صدر عن هذا الثنائي اولاً « بات » : اقام ليلاً ؛ ثم « بتا » : اقام في المكان ، مطلقاً . هذا واذ كان الساميّون ، عصر بداوتهم ، يبيتون تحت الخيم ، سمّيت الخيمة « بيتاً » ؛ وبعد تحضُّرهم ، اطلقوا اسم البيت على المنزل ، سوآء أكان من مَدَر أم من حَجَر . على ان هولآء الساميين ، بل قل جميع الناس ، كانوا ولا يزالون يسكنون معاً ، لفطرتهم الاجتماعية ؛ لذلك شمل اسم البيت كل طائفة من المنازل ، او كل قرية ، او بلد ، او ناحية احتلها حَيٌّ من الأحيآء ، او قبيلةٌ من القبائل . ولنا على ذلك ، في اللسان الآرامي ، وفي البلاد الفلسطينية ، واللبنانية ، والعراقيّة — وهي من المواطن المألوفة للساميين — امثلة كثيرة — منهــا ، في فلسطين : بيت فاجي ، بيت جالا ، بيت جبْرين . وفي لبنان : بَكَفَيّا ، بْرَمّانا ، بْحَمّانا . وفي العراق : باجَرمي ، بحشيقا ، بحزاني . (والبآء في هذه الاسمآء المحلّية المبتدئة بها مقطوعة من بيت . مثلاً : بكفيّا ، من « بيت كَفيا » ، اي الحجارة) . واسم بغداد عينه مركّب من لفظين وهما « بيت كَدادا » ومعناهما في الارمية : بيت الضأن ، او حظيرة الغنم » .

أمّا « لحم » — وان دلّت على الخبز ، في الارمية والعبرية ؛ وعلى اللحم ، في العربية — الاّ أنه يسهل علينا التوفيق بين المعنيين ، ورفع الشبهات ، اذا عرفنا ان كلمة « لحم » في العبرية عينهــا لا تدل على الخبز ، الا من باب التقييد . وأما معناها المطلق ، وهو القديم ، فهو « الطعام او القوت » وهذا هو المدلول عينه في اللغة الساميّة أمّ هذه اللغات . أمــا بعد تفرق الشعوب الساميّة ، فقد تطوّر معناه . واذ كان الخبز واللحم المادّتين الشائع استعمالهما للعيشة بين البشر ؛ وكان اللحم أوفرَ عند العرب في غالب الاحيان ، لميلهم الى عيشة البداوة ، ورعاية الغنم والمواشي ، ورغبتهم عن مزاولة الزراعة ،

عرفوا اللحم اكثر من الخبز، فقيِّدت عندهم كلمة اللحم السامية بالمعنى المشهور . واذ كان العبريون والآراميون يزاولون بوجه عـام الزراعة واستغلال الارض، كثرت عندهم الحبوب، وفي مقدمتها الحنطة والشعير ؛ قُيِّد اللحم بمدلول الخبز. وحيث تزيد الزروع والمواشي يتضـاعف مقدار اللحم والخبز؛ فينجم عن ذلك وفرة القوت. والارض التي يتوفر فيها القوت هي الارض المخصبة، وهي التي يتردّد اليها القوم، ويفضلونها على غيرها، فتطير شهرتها وتزيد خطورتها .

أمَّا من جهة الاشتقاق، ففعل « لحَمَ » يدل أول معانيه على « اللَّصق واللأْم ». وهذا مما ينطبق على « اللَّحم »، سوآء كان بمعنى « الخُبز »، كما الحال في العبرية والآراميَّة ؛ او بدلالة هذه المـادة الحمرآء في اجسام الحيوانات والبشر، كما هو معروف في العربية .

من ذلك جآءت المدلولات التالية. في العربيَّة : لحَمَ : لأَمَ ؛ و— الأمرَ: أحكَمه، اي جمع بين مقوّماته ؛ وألحَم الشيءَ : لأَمَه ؛ و— الشِعرَ: نظمه، كما يقال : حاكه ؛ ولاَحم الشيءَ بالشيءِ : ألصقه ؛ وتلاحم الشيء : تلاءَم ؛ و — القومُ : تقاتلوا ؛ والتحم الجُـرحُ للبُرءِ : التأم ؛ و — الحربُ بينهم : اشتبكت واختلطت ؛ والمَلحَمَة : الوقعة العظيمة في الحرب، لاشتباك المتقاتلين فيها .

وفي السريانية : Lḥèm : التصق، التحم، لاءَم، شاكل، ناسب. و-Laḥ-ḥèm : لحَم، طبَّق، وفَّق، ضمَّ، لحَمَ الفِضَّة . وفي العبريـة : Lâḥam : اغتذى، أكل، تقاتل، تلاحَم .

لكن هذا الثلاثي صادر من الثنائي « لَحْ » بزيادة الميم في آخره . وفيه يظهر معنى الالتحام والالتصاق . اذ يقـال في العربيَّة : لحَتْ العَين : لَصِقَت

أجفانُها بالرَّمَص ؛ ولحَتْ القرابة بينهم : لصِقَت . ويقال ايضاً : هو ابن عمّي « لحاً » ، اي لاصق النَّسَب .

فمعنى « بيت لحم » ليس اذن « بيت الخبز » وحسب ، بل معناه « أرض القوت » او « الارض المخصبة » . وهذا كان واقع الحال قديماً وحديثاً . فان أرض « بيت لحم » تفوق مـا يجاورها من الاراضي خصباً وغلة ، وموقعاً ، ومجالاً . ومما يزيد في مبلغ هذا البرهان قوةً هو ان لبيت لحم مرادفاً يذكر في الكتاب المقدس ، عند ذكر اسمها ، وهو « أفراتَة » التي مؤداها في العِبرية « الخصبة » . وهذا نص الكتاب بحرفه : « وماتت راحيل ودفنت في طريق « أفراتة » وهي « بيت لحم » . ونصَبَ يعقوب نُصُباً على قبرها ؛ وهو نُصُب قبر راحيل الى اليوم » . (سفر الخلق ٣٥ : ١٩، ٢٠) .

* * *

على ان بعضهم خالفنا في الرأي مدعياً ما ياتي :

« ان كلمة « لحم » بمعنى « خبز » انتقلت بصورة « لَقْم » العربيَّة . ولما كان الخبز يكثر في طعام جميع الناس سمَّوا كل ما يدخـل الفم « لقماً » من باب التوسّع . قال اللسان : لقمت الطعام القمته . . . واللقمة ما تهيِّئه للَّقم » . وانت تعلم ان الطعام اكثر ما ورد معناه ، لِما نسمّيه الحبوب ، ولا سيما الحنطة . وهذا المعنى معروف الى يومنا في العراق . قال في لسان العرب : واهل الحجاز اذا اطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البُرّ خاصةً . وفي حديث ابي سعيد : كنَّا نخرج صدقة الفِطر على عهد رسول الله (ص) صاعاً من الطعام ، او صاعاً من شعير . قيل اراد به البُرّ ، وقيل التمر ، وهو اشبه ، لان البُرّ كان عندهم قليلاً ، لا يتسع لاخراج زكاة الفِطر . وقال الخليل : العالي في كلام العرب ان الطعام هو البُرّ خاصة » .

فنجيب مختصرين جوابنا الذي جآء في مجلة المشرق :

ان اللقم مصدر او اسم مشتق من فعل « لَقَمَ ». والحال ان « لَقَم »، على قول لسان العرب وغيره من المعاجم الكبرى، لا يراد به الا نوعاً من الاكل، اي حسب عبارة اللسان بذاته : سرعة الاكل والمبادرة اليه . وهذا الثلاثي « لَقَمَ » آتٍ من « قَمْ » الثنائي الدال على الاكل مطلقاً . لانه يقال : قمّت الشاة اي اكلت ما على الارض . وقمّ الرجل، اذا أكل ما على الخوان . وقد توّجت اللام لفظ « قَمّ » لايجاد فرق في المعنى، اي السرعة والمبادرة .

أما اللقمة فمؤدّاها ما يهيّأ للّقم سوآء كان خبزاً أم لحماً ام بيضاً ام غيره مما يؤكل . كما ان الجرعــة تطلق على كل ما يهيّأ للشرب، سوآء أكان مآءً أم خمراً ام لبناً .

والاّ فاذا كان « اللقم » يدل على الخبز، لانك تجد في لسان العرب : « لقمه الطعام »، لكان « الاكل » ايضاً خبزاً ؛ لانك ترى في اللسان عينه في مادة (أكل) هذه العبارة : اكلت الطعام أكلاً » ؛ ولكان الخَطُّ ايضاً بمعنى الخبز ؛ لانك تقرأ في المعاجم : « خطَّ الطعام » اكله قليلاً ؛ ولجآء « الكَشب » بمعنى اللحم، لانه يقال : كَشَبَ اللحم : أكله شديداً . أما قولك انه تستعمل اللقمة للخبز . فاذا عنيت الخبز فقط، فهو مردود ؛ لان اللقمة ما يهيّأ للبلع سوآء أكان خبزاً ام غيره . كما ان الكسرة هي القطعة من الشيء المكسور . فيقال : كسرة من الخبز . فكذلك يقال : لقمة من الخبز، لقمة من اللحم، لقمة من البَيض .

أما بشأن « الطعام » فدونك ما جآء في اللسان المعتمد عليه صاحب الرأي : « الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل » ثم « الطعام عام في كل ما يقتات » ، من الحنطة، والشعير، والتمر، وغير ذلك .

فمدلول الطعام الاصلي كل ما يؤكل . واذا اطلق على الحبوب وغيرها ، كان ذلك من قبيل المجاز . وهو ظاهر من الحديث الذي أستُشهد به . فان الطعــام هناك يراد به التمر اكثر من البُرّ . والسبب « لان البُرَّ كان عندهم قليلاً » . وهذا جآء مؤيداً لما ابديناه في ما تقدم من هــذا المقال عن قلّة الحبوب عند العرب ، لكونهم اصحاب ماشية ، ولا ارباب زراعة . وقد وردت كلمة الطعــام ومشتقاتها في القرآن نحو خمسين مرة . وفي كل هذه المواطن لا يظهر معنى الطعام الا بمعناه العام ، اي ما يؤكل ، وما به قوام البدن ؛ ولا بمعنى البُرّ او الحنطة او الشعير او التمر ، من باب التخصيص . دونك على طريق المثال شيئاً منها جآء في بعض السُوَر : (احزاب ٥٣) « فاذا طعمتم فانتشروا » . (يس ٤٧) « لو يشأ اللّه أطعمه » . (انعــام : ١٤) « وهو يُطعِم ، ولا يُطعَم » (قريش : ٤) « الذي أطعمهم من جوع » . (فرقان : ٧) « الرسول يأكل الطعام » . (بقرة : ٢٥٩) « فانظر الى طعامِك وشرابك لم يتسَنَّه » . وقد فسَّر الطبري هذه الآية الاخيرة بما يأتي : « وكان طعامه سلّة تين وعنب » . فاين معنى البُرّ او الحنطة او الخبز لكلمة « الطعام » في القرآن ؟

هذا لا يعني اننا ننكر ان « الطعام » يطلق على البُرّ في كلام اهل الحجاز والعراق . لكن رأينا هو انه مستعمل من باب المجاز ، مما يعرف من القرائن . ففي كلام العراقيين : « حضر الطعام ، قوموا نأكل » ، يعني بالطعام ما أُعِدَّ للأكل من الطبيخ وغيره : لحماً كان ، ام خضراوات ، ام جبناً ، ام تمراً ، ام خبزاً . لكن اذا قلنا : « ان الرجل الفلاني من تجار الطعام » ، فهمنا انه من المتعاطين بيع الحبوب .

أما القول بان « اللَّقم » مبدول من « اللحم » ففيه نظر . لاننــا اذا استقرينا الالفاظ التي يجري فيها الابدال ، رأينا انها تبقى مترادفة في المعنى .

على ان الابدال ، كالقلب ، ليس بمتأتٍّ الا عن اختلاف اللغات في القبائل.
وهذا ما قاله ابو الطيب في كتابه : « ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد
تعويض حرف من حرف ؛ وانما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة ، تتقارب
اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا الاّ في حرف واحد . والدليل
على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ؛
ولا بالصاد مرة ، وبالسين أخرى... لا يشترك العرب في شيء من ذلك ؛ انما
يقول هذا قوم ، وذاك آخرون »[1] .

فاذا فرضنا ان اللحم مُبدَل من اللقم ، فاين معناهما الواحد ،
او مدلولاهما المتقاربين ؟

الخلاصة

عندنا ان « اللَّحم » ، بالحاء ، لا يدل على الخبز ، او البُرّ ، او الطعام ،
في اللغة العربية ، كما وصلت الينا ، وهي اليوم بين أيدينا ؛ وان « اللَّقم »
العربية ليست بمبدلة من « لحم » العبريّة ، او من « لحما » الارميه ؛ وانها
لا تطلق لا على الطعام ، ولا على البُرّ ؛ انما معناها طريقة من طرائق الأكل ،
او صفة من صفاته ، وهي السرعة والمبادرة اليه ؛ وان كلمة « لحم » بعد ان
كان معناها ، في الساميَّة القديمة ، « القوت » ، تقيَّدت عند العبريين والآراميين
بالدلالة على الخبز ، او البُرّ ؛ وحصرت عند العرب بمدلول « اللَّحم » ، وهو
ايضاً قوت كثيرٌ استعماله ، كاستعمال الخبز ، عند عامّة البشر ، وعند
الساميّين خاصّة .

---

١ راجع : المزهر ، للسيوطي ج ١ ص ٢٧٢ .

نَيْرَبْ

أصل اسمها واشتقاقه

اذا خرج المسافر من حلب، وقبلتُهُ الجهة الجنوبية — الشرقية، لا يعتم — بعد سيره مسافةً لا تزيد على ٧ كيلومترات — ان يصادف، غير بعيد عن الطريق المؤدّية الى مسكنة والفرات، قريةً غريبة المنظر لشكل بيوتها الظاهرة للعيان كأنها كوائر جسيمة مقلوبة على فمها. ودُور هذه الضَيعة قد التفَّت او تكاد تلتفّ بتل قديم يتراوح علوّه بين ١٠ و ١١ متراً. وقته المسطَّحة تشرف على كل السهل المجاور لها. أما طرفه الجنوبي فتهدِّم، وجهتاه الشماليَّة، والشمالية — الشرقية، فقد ازلها السكان الى مستوى السَهل، باخذهم منها التراب لصُنع الطين اللازم لبنآء دُورهم.

اسم « نَيْرَبْ » عريق في القِدَم. جـآء ذكره في لائحة الكَرنَك، في جملة المدن السوريّة التي افتتحها تحوتمس الثالث، فرعون مصر؛ وذلك بصورة « نِيروب، ونِيريب، ونِيْرَب ». وورد أيضاً في احدى رسائل تَلّ العمارنَة؛ اذ يقرأ فيهـا بجانب اسم ملكٍ حِثّيّ اسمُ ملك « نِيريبا ». نجده كذلك في رقيم كبير « لأشُور نَصِير أپال » بصورة « نِيرْبي، او نِيريبي، او نِيريبو». وأمّا المؤرخ اسطيفانس البوزنطي فقد دعاها « نِيريبوس ». نقلاً عن نقولا الدمشقي. ولهذا الاسم ذكرٌ في « الدُرّ المنتخب في تأريخ حلَب » لابن شحنة، بعبارة « باب النَيْرَب »، وهو احد ابواب حلب؛ سُمّي بذلك، لان الناس تخرج منه للذهاب الى هذه القَرية. ثم في كتـاب كمال الدين المُدرج في المجموعة العربية للحروب الصليبيَّة، بهذه التسمية. « أرض النَيْرَب وجبرين ». أخيراً

تراه في كتاب المُشترك، لياقوت الحَموي. ودونك نص ما يهمّنا منه: «النَّيرب قرية بغُوطة دمشق، في وسط بساتينها... والنَّيْرَب قرية من قرى حلب بينهما فرسخ. والنَّيرب قرية من قرى حلب ايضاً قرب سرمين».

«نَيْرَب» كلمة أكّديّة معناها، على الرأي الاعم والاصحّ، «المدخل والمجاز». وهي مركّبة من النون بمنزلة مُتوَجة، ومن «يَرَب». وسبب التسمية هذه هو إمّا لانها كانت، ولا تزال، الطريق المؤدّية الى سوريّة للمقبل من بين النهرين والعراق، عابراً نهر الفرات؛ وإمّا لانها بمثابة مدخل للمدينة التي هي في جوارها. وهذا ما يستدل عليه من أل التعريف الداخلة عليها في النصوص العربية الواردة آنفاً، وتعدّد القرى المسمّاة بها، كما ذكرها ياقوت. الا ان هذا التأويل الثاني قد لا يصحّ في «نَيْرَب» القديمة.

لمادّة «نَيرَب» وجود في جميع اللغات الساميّة، وبعض فروعها، مع شيء من التفاوت في المدلول الآئل كلّه الى أصل واحد معناه «الدخول». وهذه المادة، مع كونها ثلاثية، يسوغ ردّها الى مادّة ثُنائية وهي «عَبْ» الدال على شيء من هذا المعنى. لك دليل على ذلك كلمة «عَبَّ» العربيّة، ومؤدّاها: شرب المآء وكرعه، اي ادخله دون نفس. وفي «ʿubbâ» السريانية، ومعناها الداخل، و ʿâbâ الغابة، سمّيت بذلك لتداخل اشجارها. وفي ʿâbâ العبريّة، ويراد بها الكثيف اي المتداخل بعضه في بعض. وكذا الشأن في اللفظة الحبشية ʿabî، ومفهومها: العَبِل اي الضخم، او المتداخل العضلات. ومنها ايضاً: «غابَ» العربيّة، المراد بها: بَعُدَ محتجباً، اي داخلاً.

وانما اقحمت الرآء في هذه المادة الثنائية، لمبالغة في معنى الدخول. وفي العربية نجد أثر المادة الثلاثية في لفظة «غَرَب»، التي اشتق منها الغرب والغروب، وهو نزول الشمس الى الاوفق اي دخولها فيه؛ مما يظهر غاية الظهور في البحر؛ اذ تُرى الشمس داخلة فيه، حين غروبها. وفي الارمية

القديمة والسريانية كلمة rab' وهي بمعنى « غرَب » العربيَّة . ومن rab' اشتُقَّ Ma'erba اي مغرب او غروب ، وهو دخول الشمس ورآء الافق. ومن ذلك حرف rubta' المعربَة بلفظة « عَرُوبَة »، وهي اسم ليوم الجمعة ؛ اذ تدل على الغروب، ومن ثم على المسآء ، وعلى ليلة السبت. وفي السبَئيَّه ، اي العربية الجنوبيَّة Ma'rebum اي مَغرِب . والميم « للتَمِيم » بدل، نون التنوين العربي الشمالي . وفي رقيم زنجِرلي Ma'rab مغرب . وفي الحبشيَّة « erîb' اي نزول . وهو مستعمل خاصَّةً للدلالة على سقوط الأجرام الجويّة كالنَيـازك . وفي العبرية êrêb' غروب ، مسآء .

قلنا ان الكلمة ، حسب لفظها الحالي ، أكَديّة ؛ وذلك ليس لانها وجدت في نصوصها المسمارية فحسب؛ بل لان فيها قد جرت التطوّرات الخاصّة بهذا اللسان. فهي آتية من فعل erêbu ؛ ومعناه في هـذه اللغة ، كما سبق التنويه : دخل ، أو جاز ». والامثلة على ذلك كثيرة ، منها ما هذا نقله وتعريبه :

Ana, bîtî, śâ, e-ri-bu-śu, Zumma, nûru. في البيت الذي دخل ليس نار (حرفياً : النار مُبعَدة) .

Śamśi erêb دخول الشمس او غروبها .

وقدرأيت مما تقدم ان هذا اللفظ مبتدىء بحرف حلقي ، سوآء أ كان عينا ام غينا ، في كل اللغات السامية ، ما خلا الاكَدية . ولا ياخذك العجب اذا عرفت ان الاكدية – وعلى شاكلتها طائفة من اللغات السامية ، كالجعزية ، اي الحبشية القديمة ، والا محرية وهي الحبشية الحديثـة ، والمندائيَّة اي لغة الصُبَّة ، والسُورَت اعني الكلدانية العامّية – قد سقطت منهـا الحلقيات ، بكثرة او قلة ؛ واستحالت همزة .

فالفعل اذن هو « عرب او غرب » ؛ وفي الاكَدية erêbu ، بحذف العين ، والاستعاضة عنها بالهمزة . الا ان سقوط الحلقيات في الاكَديَّة لا يخلو من

التأثير في الحركات الخاصّة بها او المجاورة لها. وعليه فكل كلمة حذفت منها الحآء او العين او الغين، وقامت مقامها الهمزة، فحركة الحلقي وحركة ما يتبعه — اذا كانتا فتحة — تتحولان الى حركة امالة.

مثال ذلك — Ḫadaśu ومعناه: كان جديداً. يقابله في العربية: حدَث، وفي السريانية Ḫaddêt، وفي العبرية Ḫâdaś وفي الحبشية Ḫadsa. حذفت منه الحآء، فصار Adaśu؛ ثم طبِّقت عليه قاعدة الحركات، فانقلبت الفتحتان إمالتَين، فاصبح edêśu. وهكذا هذه الكلمة، الدائر البحث عليها، كانت ʿarabu فاصبحت erêbu[1].

وأما النون المتوّجة لكلمة « يَرَبْ » فاصلها ميم، كما الشان في جميع اللغات الساميَّة. وانَّما قلبت الميم نوناً، طبقاً لقاعدة اخرى مطَّردة او كالمطَّردة في الاكَّديّة — ولا تخلو العربية من أثر لها — وهي مشهورة بين اهل النحو الاكَّدي بقاعدة « بارْتْ »، المستشرق الالماني الذي كان سبق الجميع في تحقيقها وتدوينها. والقاعدة هاهي ذي: « ان الميم الداخلة على الاسمآء المستعملة غالباً للدلالة على المكان. او الزمان، او الآلة، تقلب نوناً كلما توجت الفاظاً احد اصولها حرف من الحروف الشفهية، كالميم والبآء والپآء — مثال ذلك Narkabtu (مركبة)، Namkaru (مُلك)، Napḫaru (عامة الأشيآء)؛ عوض Markabtu و Mamkaru و Mapḫaru.

وانت ترى من هذه المقابلة الألسنيَّة الساميَّة ما كان اصل « نَيْرَبْ » وكيفية وصولها الى لفظها الحالي. وقد علمت ان معنييها، المطلق والمقيَّد — وهما الدخول وغياب الشمس — قد ثبتا في الاكَّدية وحدها؛ ولم يبق الاَّ المدلول المحصور في بقيَّة اللغات الساميَّة الاخوات.

---

[1] لقد تكرّرت في جملة مواطن قاعدة « اسقاط الحلقيات » في الاكّدية. لكن لا بأس، اذ لا يخلو ذلك من الفائدة لغير المتخصّصين لمثل هذه المسائل.

أصل كلمة « دَرْب »

حرف « دَرْب » ليس بفارسي ولا بيوناني قطعاً ، لكنَّه عربي ، بل قل سامي بحتاً .

يُتوصَّل الى معرفة ذلك بطريقة « الألسنية الساميَّة » ، وباتباع مذهب « الثنائية » . الثنائية تفيدنا ان « دَرْب » الثلاثي مشتق من « دَبّ » الثنائي الدال على الحركة والسير . الألسنية الساميَّة تطلعنا على ان هذا الثنائي سامي النجار ، لوجوده في كل اللغات الساميَّة ، كما يظهر مما يلي :

العربية : « دَبْ » وفعله « دَبَّ » مشى على هَيْنَته ، كمشي الطفل والنملة. ومنه : « الدابُّ » ، واحدته : « دابَّة » ، يُطلَق على كلّ ما دبَّ من الحيَوان ، اي مَشى . ومنه ايضاً « الدَبيبُ » المَشي الرُوَيد ، والزَحف انسِلالاً ، والهوامّ الصغيرة . ومنه « الدُبّ » الحيَوان الضخم الجثَّة ، السمج الصورة .

العبرية : Dâbad : تحرَّك ، سال ، نفَط ، جرى . ومنه Dôb الدُبّ .

السريانية : Dabb : دبَّ ، زحفَ . ومنه Debbâ الدُبّ . وكذا الأمر في غير السريانية من اللهجات الآرامية .

الاكدية : Dabâbu : مدَّ خطاً ، رسَم ، . ومنه : Dâbu الدُبّ .

الحبشية : فيها كلمة Dêb الدُبّ .

فكل هذه الألفاظ الساميَّة تدل على معنى الحركة والسير . وغير خافٍ على اهل الاختصاص ان الأصل الثنائي هو « المجرَّد الحقيقي » وما الثلاثي الا مزيد فيه أحد حروف الابجدية ، ولا سيّما الشفهية او اللسانية ، قصد

تغيير المعنى او تنويعه ، او الزيادة فيه ؛ طبقاً للقاعدة المشهورة : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى » .

بموجب هذه القاعدة ، اشتقت لفظة « دَرْب » من « دبّ » ، باقحام الرآء بين حرفي الثنائي ؛ فتكيَّف معنـاه الاصلي بكيفية اضيفت اليه . « فَدَرَبَ » تحرك وسار ، لا من باب الاطلاق ، لكن في « طريق » . واذ كان السير في الطريق يتطلب الاطالة والمداومة ، ومن ثم التمرّن ، جآء « دَرَبَ » بمعنى « اعتاد ومرن على الشيء » . ومنه المزيد « درَّب » ، ومطاوعه « تَدَرَّبَ » ، اي مرَّنه فتمرَّن . ومن فعل « دَرِب » اشتق محل اتيانه وهو « دَرْب » الدائر البحث عليه . ثم على مدى الزمان ، ومن باب التوسّع ، أطلقوا على « دَرْب » معانيه الأخرى ، وهي : باب السكّة الواسع ، البـاب الاكبر ، المضيق ، كل مدخل الى بلاد الروم .

ولدى انعام النظر ، يتحقق الباحث انه في جميع هذه المعاني متضمَّن المعنى الساميّ القديم ، وهو الحركة والسير . واذا ثبت ذلك ، ففي نظرنا لا حـاجة بعد الى القول بفارسيَّة « دَرْب » ، كما ارتأى ذلك بعض الأئمة ؛ وباولى حجّة لا يجوز الذهاب الى يونانيّتها ، كما ادّعى غيرهم .

بَتْرا ، قَمايا ، كَشَيا

ورد في رسالة للجاحظ ، عنوانها « ذم القوَّاد » ، البيت الاتي :

« ان القمايا شاهد لي في الهوى — وكذا الكسيا عنده برهان »

فاعتقد بعض العراقيين : « ان هذا الحرف إرمي يدل على معنى « المُقدَّم » ، كمقدَّم السفينة ؛ لانه سمع بعض القرويين من الآراميين يقولون : « بَتْرا وقَمايا » ، بمعنى « الوَرآء والأَمام » .

وزاد غيرُه على كلامه ما يلي : « نعم « بَتْرا » بالارمية معناهـا الخلف والورآء . وربما كان هذا المعنى معروفاً ايضاً عند السلَف . لاننا نقول : بَتِرَ الذَنَب « انقطع » . فلا جرم ان البَتْر كان يفيد الذَنَب ، اي الذيل ، والخلف ، والورآء . ومنه ايضاً الأَبتر : المقطوع الذَنَب ، والذي لا عَقب له . وضدّ « بَتْرا » الارميَّة : « قُوداما » . وأَمَّا « قمايا » فتعني هذا المعنى في النبطيَّة العاميَّة . اذن لا نظن ان « القمايا » في البيت المذكور يعني « مُقدَّم السفينة » . ولو فرضنا ان الجاحظ تلقَّى اللفظ عن عوامّ النبط ، يبقى ان لا معنى للمقدَّم يوجّه توجيهاً مقبولاً سِياقَ البيت . اذ المطلوب هناك معنى يدلّ على عاقل ، لا على غير عاقل . ولعلّ « القمايا » القنايا ، وهو بالارميَّة الكَسب ، والقازب ، اي التاجر الحريص مرةً في البحر ، ومرةً في البَرّ . وأَمَّا « الكَشيا » فلعلَّها « الكسَيَّا » بتشديد اليآء ، اي « المخفي » باللغة الارمية . وقد استعملت هذه الالفاظ الارميَّة ، لان اغلب البحَّارين يومئذ كانوا من الناطقين بهذه اللغة » .

رأينا في الموضوع

كلمة « بَتْرا » آراميَّة سريانية تأتي بمعنى الخَلف ، لكنهـا ليست بمشتقة من فعل « btar » بمعنى « قَطَع » ، مقابلة للفعل العربي « بَتَرَ » قطع ؛ او « بتِر » انقطع . وأول سبب هو ان ليس في السريانية ، ولا في غيرهـا من اللغات او اللهجات الآرامية فعل « btar » بمعنى قطع او انقطع ، كما هو الشأن في العربية والعبرية . أما «bâtrâ» هذه فاصلها من bâtar بمعنى الظرف « وراء » ؛ الا أنها ليست صيغة أصليَّة ، بل هي مركَّبة من لفظة atrâ او âtar ، ومن حرف الجر : ب . وتنظر اليها الكلمة العربيَّة « بأَثَر » المؤلفة هي ايضاً من الاسم « أَثَر » وحرف الجر : ب . وكيفية وصول الكلمة السريانية الى هذه الحالة هي انه — كما لا يخفى على من له اطلاع على أسرار اللغـات الساميَّة — ان في السريانية أربعة أحرف مجموعة في كلمة «bdôl» ، يدخل كل منها على اللفظة ؛ فان كان أول هذه متحركاً ، بقي الحرف المذكور ساكناً ؛ وان كان اوّلها ساكناً ، تحرّك الحرف بفتح . أمَّا اذا كان اول الكلمة همزة متحركة ، ولا سيَّا بفتحة ، فلسهولة اللفظ وعذوبته ، تنقل حركة الهمزة الى هـذا الحرف ، وتستحيل الهمزة الفاً ساكنة . وهذا ما جرى في لفظة bâtar . فان اصلها atrâ جُزِمَت فصارت âtar ؛ دخلت عليها البآء — وهي من حروف bdôl — فاصبحت b'atar ؛ انتقلت حركة همزتها الى البآء ، فلفظت bâtar . (ܒܐܬܪ) ؛ ولكثرة الاستعمال جاز حذف ألفها بالكتابة ، فقام مقامها الزقاق او الفتحة المُشبَعة ، فقيل (ܒܬܪ bâtar) . ومن هذا الظرف صِيغ اسمٌ وهو bâtrâ اي الخلف ، والورآء .

الناجم من هذا ان ليس في كلمة bâtar او bâtrâ ادنى معنى للقطع او البتر . واذا ثَبُت هذا ، فكيف يمكن مقابلة « بترا » السريانية ب « بَتَر الذَنَب » ، وكيف يسوغ القول بان البَتر يفيد الذَنَبْ ؟

أمّا « قَمايا » السريانية الدارجة ، فهي تخفيف « Qadmâyâ » السريانية الفصيحة . وما هو ضدّ « بَتْرا » ليس قُوداما ؛ لان هـذا مصدر qaddém ، ومعناه : تقديم وتقدُّم . وأمّا ما يأتي خلاف « بَتْرا » فهو qudmâ ، قدَّام ، ضدّ وراء . وكلتا الكلمتين السريانيَّتين ، الفصيحة والدارجة ، تدل ، لا على « غير عاقل » ، اي مُقدَّم السفينة ، او القسم المقابل مُؤَخَّرَها ، بل على « عاقل » ، اي الرجل المُقَدَّم ، او الرئيس ، او الرُبَّان . ولذا فلا حاجة بعد الى ان يُفتَرَض ان « قمايا » ربما تكون « قنايا » ، او الـكَسْب ، او ما أشبه .

أما « الكَشيا » او « الكَسْيا » فهي آرامية سريانية ايضاً . بيد انها ليست Ksyyâ بل Kasyâ . لان الصيغة الاولى جمع ، والثانية صيغة افراد . وكلتاهما للعاقل ، مثل « قمايا » . على ان سياق الكلام يتطلب صيغة الافراد ، لا الجمع ؛ لان كلمة « عندَه » العائدة الى Kasyâ تدل على المفرد المذكر ، لسبب ضمير الغائب المتصل ب « عِندَ » ، وهو الهاء .

وعليه يسوغ الاستنتاج بان Qamâyâ و Kasyâ مطلقتان ، في البيت الوارد في مطلع المقال ، على رجلين مُوظَّفين في السفينة : أوَّلهما « القمايا » ، اي الرُبَّان ؛ وثانيهما « الـكَسْيا » ؛ وهو بحريّ يظهر من اسمه ان وظيفته تفرض أنه كان يشتغل في داخل السفينة « مخفياً » غير ظاهر للعيان ، وقت قيامه بمهمته ؛ على مثال « الوَقَّاد » في البواخر ، في عصرنا هـذا ؛ خلافاً للرُبَّان « القمايا » ، الذي يقف او يجلس في موضع بارز من السفينة . وهكذا « يُوَجَّه توجيهاً مقبولاً سياقُ البيت . اذ المطلوب هنـاك معنى يدل على « عاقل » ، لا على « غير عاقل » . ويكون مراد قائل البيت : « ان جميع موظَّفي السفينة يشهدون له ، من أوَّلهم الى آخرهم ، من الرُبَّان الى الوَقَّاد ، من « القمايا حتى الـكَسْيا » .

صلّى ، صلاةً

حسب قواعد الاعلال في العربيّة ، أصل صَلاة « صَلَوَة » ، وزان فَعَلَة ؛ قُلِبَت واوها ألفاً ، لتحرّكها وانفتاح ما قبلها . صلاة اسم من الفعل الثلاثي المجرّد الوارد ناقصاً يائياً ، أو واوياً ، بالمعاني المتضاربة التالية .

العربيّة

صَلى (يصلي) اللّحمَ : شواه ، و — ألقاه في النـار للاحراق ، و — فلاناً : خدعه ، و — زيداً النارَ ، وفيها : ادخله ايّاها وأثواه فيها ، و — للطير : نصَبَ له الشَرَك ، و — لفلانٍ في أمرٍ : اوقعه فيه ليُهلِكه .

صلِيَ النارَ ، وبها : قاسى حَرَّها ، و — الأمرَ ، وبه : عانى شدّته ، وصلِيَت الناقةُ : وقعَ ولدُها في صَلاها ، و — استرخى صَلاها ، لقُرب نتاجها .

صَلّى عصاه على النـار : ليّنها وقوّمها ، و — يدَه : سخّنها ، و — الشيءَ : القاه في النار ليحترق ، و — اللحمَ : أحرَقه ، و — الرجلُ الشيءَ : لزمه .

تصلّى النارَ : قاساها ، و — استدفأ .

الصَلى النارُ ، و — الوَقود .

الصَلآء النار ، و — الوَقود ، و — الشِوآء .

صَلا صَلاه : أصابَ صَلاه .

صلّى الفرسُ تَصلِيةً اذا جآء مُصلّياً ؛ وهو الذي يتلو السابقَ ، لان

رأسه عند صلاه ، و — الحمارُ أُتُنَه : طرّدها وقحّمها الطريق ، و — اللهُ على رسوله : بـارك عليه وأَحسَن الثنآء عليه ، و — الظَهرَ : ضرب صَلاه او أَصابه ، و — الرجلُ : دعـا وأقام الصلاة .

الصَلا مصدر ، و — وسَط الظَهرِ من الناس والبهائم ، و — ما انحدر من الوَركين .

الصَلاة الدُعآء ، الرَحمة ، الاستغفار ، حُسن الثنآء من الله ، عبـادة فيها ركوع وسجود ، احدى الصلوات المفروضة .

السريانية

Ṣlâ, Ṣli : مـال ، زاغ ، حلّ ، اتّجه ، نصَب الشَرَك ، عوّج ، حدّر ، وجّه ، قوّم .

Ṣalli : صَلّى ، أَمال ، أَحنى ، أَصلح ، ردّ أحداً الى منصبه ، صلّى ، بارك ، تضرّع .

Ṣlayyâ : مَيلٌ ، إنحراف ، إنحنآء ، مُنحَدَر .

Ṣlô, Ṣlôṯâ : صَلاة .

العبرية

Ṣâlâh : شوي .

Ṣli : مَشوي .

الاكدية

Ṣalu : صلّى ، دعا ، تضرّع .

Ṣalâlu : إرتمى ، سَقَط ، رقد .

Ṣulu, Ṣelitu : صَلاة .

الحبشية

Ṣalewa : أَمال (أُذْنيه) ، أَصغى ، سمع ، أَجاب .

Ṣalaya : صلًى .

Ṣalôt : صلاة .

على ان هذه الثلاثيات الناقصة صادرة عن الثنائيات التالية ؛ وبها يتسنَّى تنسيق المعاني المتضاربة .

العربية

(صَلْ) صَلَّ أَنتَن اللحمُ ، و— أَجِنَ المآء ، و— يَبُس المَعي من العطش ، و— يبُس السِقآء ، و— صوَّت ، و— صفًى .

الصَلّة. المَطْرَة الواسعة والمتفرِّقة ، و— التُراب النَدِي ، و— القطعة من العُشب ، و— الأَرض اليابِسَة ، و— الجلد اليابس قبل الدِباغ ، و— النَعل ، و— صوتُ المِسمار .

صَلْصَلَ صوَّت ، و— توعَّد وأنذر

السريانية

Ṣal (a) : صَلَّ ، طَنَّ ، دَوى .

Ṣal (o) : صَلَّ ، نقًى ، صَفًى ، راق ، صَفا .

Ṣalṣèl : صَلَّ ، نظَّف ، صَلْصَلَ ، صوَّت ، رَنَّ .

Ṣlâlṯâ : صليل ، طنين ، ولوَلة ، عويل ، صفاوة .

Ṣlôlîṯâ : جمرَة مُتَّقِدة .

Ṣâlâ : صَلَّة ، جِلد يابس .

العبرية

Ṣâlal : طنَّ ، رنَّ ، دوى ، خفق ، ارتعد ، صفا ، راق ، سقط ، غطس ، غرق .

Ṣilṣôl : صوت ، طنين .

* * *

تفسير وتعليل

١ أول ما دل عليه هذا الحرف الثنائي « صَلْ » انما هو الحرارة . وهذا ظاهر في معاني « صَلى » ومزيداته . وهذه هي .

صَلى : شوى اللحمَ ، اي أحماه او القاه في النار للاحراق .

صلّى : يدَه ، اي سخّنها .

صَلِي : النارَ : قاسى حرّها .

تصلى : بمعنى صلي .

اصطَلى : استدفأ ، اي حمي .

الصَلى : النارُ ، الوَقود ، اي المحروق بالنار .

الصلاء : النار ، الوَقود ، الشِواء .

وكذا الحال في العبريّة ؛ فان Ṣâlah يدل على : شَوى ، و Ṣli مَشويّ . أمّا السريانية ، فلا أثر فيها لهذا المعنى الا في كلمة Ṣlôlîṯâ : جمرة متّقدة . ومن باب المجاز جآء « صَلى » بمعنى : خدَع ، نصب الشَرَك ، ألقى في التهلكة . وكذا في السريانية : Ṣlâ نصَب الشرك . ثم جآء « صَلى » بمعنى : ليَّن . لان النار تليّن وتذوّب . ثم بمعنى الملازمة . لان الحرارة ، اذا تغلغلت في شيء ، لازمته ؛ او فلا اقل من ان تبطىء في مفارقته .

ب ان المواد القابلة التخمّر، ومن ثمّ النتانة، يتولّد ذلك فيها بقوّة الحرارة. ولهذا نرى «صلّ» بمعنى: أنتن اللحم، وأَجِن الماء. والصِّلّة: الجلد المُنتن.

ت ان الحرارة، اذا دخلت في شيء مَبلول او رَطِب، جرّدته من الرُّطوبة الى حد ان تيبّسه. فلذا ورَد الثنائي «صَلّ» بمعنى اليبوسة. من ذلك: صلّت الإبل: يبستْ أمعاؤها من العطَش. وصلّ السِقاء: يبُس. والصِّلّة: الجلد اليابس، قبل الدِباغ. و— النَعل، وهو الجلد اليابس، و— الارضُ اليابسة. وفي السريانية أثرٌ لهذا المدلول في كلمة Ṣâlâ: صَلّة، او جلد يابس.

ث على ان الجلود وغيرها من المواد التي تيبس بفعل الحرارة، او التي من طبعها يابسة، من شأنها أن تُصوِّت. لهذا نشأ المدلول الثالث للثنائي «صَلّ»: صوّت. وصلّت أمعاء الابل: يبُسَت من العَطَش، فصوّتت. صَلصَلَ: صوّت. والصَلّة: صوت المِسمار واللِجام. وفي السريانية: Ṣal: صَلّ، طَنّ، رنّ. و Ṣalṣèl: صَلصَلَ، و Ṣlâlṯâ: صليل، طنين. وفي العبرية: Ṣâlal: دوى، طَنّ. و Ṣilṣôl: صَوْت، طَنين. ومن ذلك المعاني المجازيّة، في العربية: «صَلّ» تهدّد وأنذر؛ لان الوعيد يجري عادةً بالصوت العالي او الصُراخ. وفي العبرية: Ṣâlal، خفَق، ارتعَد. وفي السريانية Ṣlâlṯâ، ولولة، عَويل.

ج ان الحرارة، اذا يبّست الشيءَ، انفرزت منه الموادّ الفاسدة، فيضحي رائقاً، صافياً. من ذلك وردت المعاني التالية: العربية: «صَلّ»: صفَى. وفي السريانية: Ṣal: صفَى، نظُف، راق، صفا. وفي العبريّة: Ṣâlal: راق، صفا.

ح ان فَرْزَ الشيء من الشيء ينجم عنه الخروج. والخارج لابد له في خروجه من اتجاه. وهذا الاتجاه يكون بعض الاحيان بميل وانحراف، او انحدار وسقوط. وهذا السقوط ربما كان بغَطس وغرَق. ومن هذا المعاني الآتية: في السريانية: Ṣlâ: اتّجه، مال، نزل، حلّ، وجّه، عوّج، حدّر. و Ṣalli: أمال، أحنى، ردّ الرَجلَ الى منصبه، أصلح، اي أعاد الشيء الى

حالته السابقة الصالحة، صلّى . و Ṣlâyyâ : ميل ، انحراف ، انحناء ، مُنحَدَر . و Ṣlô و Ṣlôṯâ . صَلاة . وفي العربيَّة : صَلا ، صليت النـاقة : وقع الولدُ في صَلاها ، و — استرخى اي انحدَر صَلاها . والصلا : وسط الظَهر ، وما انحدر من الوركين . وصلى الفرسُ : اذا جآء مُصَلِّياً اي متبعاً وحانياً رأسه نحو صلا سابقه ، و — الحمـارُ أُتُنَه ، طرَدَها واتبعها ، و — الظَهْرَ : ضَرَبَ صلاه اي منحدَرَه . والصَلَّة : المطْرَة المتفرّقة الواسعة . ومن هذا المدلول ، الصلَّة : القِطعَة من العُشب ، والتراب الندي . وفي العبريّة Ṣâlal : سقط ، غطَس ، غرِق . وفي الأكّديَّة Ṣalâlu ، ارتمى ، سقط ، رقد ؛ و Ṣalû : دعـا ، صلّى ، تضرَع ؛ و Ṣulû او Ṣelîtu : صلاة . وفي الحبشية Ṣalewa أمال (أُذُنَيه) ، سمع ، اصغى ، أجاب . و Ṣalaya : صلّى . و Ṣalôt : صلاة .

الصلاة

الصلاة : الدعآء ، و — الرحمة ، و — الاستغفار ، و — حُسن الثنآء من الله ، و — عبادة فيها سجود وركوع ، و — احدى الصلوات المفروضة .

الصلاة شرعاً اقوال وافعال . الصلاة مشتقة من « صلّ او صلا » . « الصَلّ » الصوت ، أو الطنين ، مصدر الكلام . فهو أصل الصلاة بكونهـا أقوالاً . من ذلك معانيها الدالة على القول ، وهي : الدُعآء ، البركة ، الرَحمة ، الاستغفار ، حُسن الثنآء . وبصفتها افعـالاً ، تشتق من « صلّ » بدلالته على المَيل والانحنآء والسُجود . وهذا المدلول ليس بظـاهر في المزيد العربي « صلّى » بل هو بيّن في المجرَّد السرياني Ṣlâ ، اي أمال وتزّل . وفي مزيده : Ṣalli : أَحنى ، صلّى ، تضَرَّع ، بارَك » .

الصلاة — بما تتَطلَّبه من الحركات ، كالانحنآء ، والسُجود ، والرُكوع ، والنُهوض ، والوُقوف — كانت دارجة بين الرهبان الآراميين السريان المنتشرة أديارهم على طول طريق الحجاز التي كانت القوافل القُرشيَّة تقطعها ،

ذهاباً وإياباً ، للتجارة بين مكّة والديار الشاميّة . وهذه الصلاة ، باعمالها الخارجيّة ، تعلّمها العرب ، عند زيارتهم كنائس الرهبان ، وحضورهم صلواتهم . وهكذا دخلت عندهم باسمها وأعمالها . واذ كان يرافق هذه الحركات البدنية اقوال روحانية ، من أدعية وابتهالات ، دلّت الصلاة عليها . واذ كانت الصلاة تجري في الكنائس ، دعيت هذه الكنائس « صلوات » من باب تسمية المكان باسم العمل الجاري فيه . وهكذا وردت في القرآن (سورة الحج ٤٠) « ولو لا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ ، لهدِّمت صوامعُ وبيعٌ « وصلواتٌ » ومَساجدُ يُذكَرُ فيها اسم الله » . والى الآن في شرق الاردن يسمّي النصارى العرب كنائسهم « صلوات » .

ومن الادلة على ان كلمة « الصلاة » سريانية أنهـا في القرآن وخارج القرآن ، الى الآن ، تكتب غالب الاحيان ، « صلوة » بالواو ، وإن لُفِظَت « صلاة » بالالف . وذلك لان العرب لمّا اخذوها عن السريان كانوا يكتبونها ويلفظونها مثلهم بالواو .

فاذا تقرر هـذا ، نظن ان قول عبدالله البستاني ، صاحب « البستان » وغيره ، بان الصلاة هي : « الدعآء ، وهو أصل معانيها » ليس بثبت . لان الكلمة آتية من الفعل السرياني Ṣalli الدال على الانحآء والسجود والركوع ، اي على الصلاة بكونها أفعالاً . وأمّا الاقوال ، كالدعآء والاستغفار ، فهي من الامور المرافقة لهذه الافعال .

وكذلك ما ورد في « محيط المحيط » او غيره من المعاجم من ان اشتقاق « الصلاة » من « الصلا » وهو العظم الذي عليه الأليتان ، لانّ المُصلّي يحرّك صَلَوَيه في الركوع والسجود ؛ او من الملزوم ، كانَّ الصلاة ملازَمَة العبادة ؛ أو من العَطف وطلب الاصغآء والاستمالة ؛ فهذه كلها تأويلات قابلة الاحتمال ؛ لكن الاصوب هو ان « الصلاة » - كما بيننا — مشتقة من الفعل السرياني الدال على الانحآء والسجود والركوع . وقد استعمل الصلاة على هذه

الطريقة الرهبان الاراميون؛ ومنهم شاعت عند العرب. وفي الدين الاسلامي تفترض الصلاة الحركات، ضرورةً؛ والاّ لما كانت صلاة. ودونك، تاييداً لقولنا، ما ورد في القرآن (٤ سورة النسآء: ١٠٢و١٠٣). «واذا كنت فيهم، فاقمتَ لهم الصلوة، فلتَقُم طائفةٌ منهم معك، وليأخذوا أسلحتَهم. فاذا سجدوا، فليكونوا من ورائكم؛ ولتأتِ طائفةٌ أُخرى لم يُصلُّوا، فليُصَلُّوا معك؛ وليأخذوا حِذرَهم وأسلحتَهم».

«فاذا قضيتم الصلوة، فاذكروا الله، قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبكم. فاذا اطمأْنَنْتُم، فاقيموا الصلوة؛ إن الصلوةَ كانت على المؤمنين كِتاباً مَوقوتاً». ومن هذه الآية يستدل على ان هناك فرقاً بين الصلوة والذِكر. اذ ان هذا يمكن المرء اتيانه واقفاً، او قاعداً، او مضطجعاً على جنبه. خلافاً للصلوة التي يجب ان تتم بالحركات المطلوبة شرعاً، كما يدل على ذلك اسمها. اللهم الا عند الضرورة وعدم الأمن. كما يظهر من القرآن عينه (٢ سورة البقرة: ٢٣٨ و ٢٣٩): «حافظوا على الصلوات والصلوة الوُسطى، وقوموا لله قانتين. فان خفتم، فَرِجالاً، او رُكباناً. فاذا أَمِنتم، فاذكروا الله، كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون».

أما قول اصحاب التفسير ومن تابعهم من أهل المعاجم بان «صلوة» جاءت من العبرية «صَلُوتا»، فنرجح عليه الارتيآء بانها من السريانية. ودليلنا ان هذه اللفظة مستعملة عند العبريّين، وفي آخرها ألف الاطلاق؛ على حين ان الحركة الاخيرة المشبعة في العبرية انما تُشبَع بالهآء ولا بالالف. والكلمة المشبعة بالالف، اذا وجدت في العبرية، فأصلها من الارميَّة. زد على ذلك ان الفعل Ṣâlah العبري، كما رأينا، لا يدل الاّ على «شوى»؛ ولا يُعرَف قطعاً في هذه اللغة بمعنى «انحنى، أو سجد، او ركع». فكل هذا يدلّنا على ان الكلمة سريانية أَصلاً، واشتِقاقاً، واستِعمالاً. اذن هي دخيلة في العبريَّة والعربيَّة.

« صُورَتْ » السريانية و « سُورَة » القرآنيَّة

يقابل Ṣûrat او Ṣûrta السريانية « صورَة » في العربية ، و Ṣûrâh في العبريّة . والأصل الثنائي للافعال المشتق منها هذا الاسم هو «صَرْ» الظاهر في المضاعف ، او الاجوف ، او الناقص . ومعنى هذا الثنائي هو « الشَدّ » الاعتيادي ؛ ثم « القطع » الناتج عن الشدّ البالغ حدّه الاقصى . ومن هذا المدلول تفرّعت المداولات الأُخر . فما لنا الآن ان نسرد اولاً هذه المعاني المختلفة في اللغـات المذكورة ؛ ثم نسعى في تنسيقها وتعليلها ؛ واخيراً نرى هل من علاقة بين « صورَتْ » السريانية ، و « السورَة » القرآنيَّة .

العربية

صَرَّ (صَرْ): الدراهم في الصُرَّة : وضعها مشدودة ، و — الصُرَّة : شدَّها ، و — أذنه : نصبَها اي حزمها ورفعها للاسماع .

صَرَى (〃): قطع ، و — منع ، و — حبس ، و — فصل .

صار (〃): الشيءَ : قطعه وفصله ، و — الحكْمَ : قطعه ، و — مال .

صوَّرَ (〃): الشيءَ : جعل له صورةً وشكلا ، و — الشيءَ : رسمه .

الصُورة (〃): الشكل ، التمثال ، الوجه ، الصفة ، النوع .

العبرية

Ṣârar (Ṣar) : شدَّ ، ضيَّق ، أَحزن ، عادى ، حسَد .

Ṣar : عدُوٌّ ، مُضطَهِد .

Ṣârâh : ضِيْق ، حُزن ، أَلَم .

Ṣarûr	: صُرَّةٌ ، باقة .
Ṣûr	: صَنَع ، شَكَّل ، صوَّر ، حاصَر ، عذَّب ، قطَع .
Ṣûrâh	: شَكْلٌ ، وجهٌ ، صورة ، صَنَم ، فِكْر .

السريانية

Ṣar	: صَرَّ ، عَقَد ، لَفَّ .
Ṣrârâ	: صُرَّه ، صِرار ، رِباط .
Ṣrâ	: قَطَع ، شقَّ ، فصَل ، نزع ، شرَّح اللحم .
Ṣâr	: صار ، صنع ، صاغ ، صوَّر ، نقش ، مثَّل ، رمَز .
Ṣûrtâ	: صورة ، وجه ، شَبَه ، سَجيَّة ، خطٌّ ، مَتْن .
Ṣûrat Ktâb	: مَتْن الكتاب المقدَّس .
Ṣûrtâ d'ewengéleṣṭê	: نصّ الاناجيل .

Ṣûrtâ أو Ṣûrat (وحدها دون اضافتها الى Ktâb) تدلّ على مَتْن الكُتُب المنزَّلة عموماً ؛ وعلى نص العهدين القديم والجديد ؛ وفي الكتب الطقسية تشير الى قطعة مقتطفة من الكتاب العزيز[١] .

تفسير وتعليل

النتيجة الناجمة عن هذا كلّه أن « صَرْ » ثنائي مدلوله الشدّ ثم القطع . وقد توسّع كل منهما في المعاني المتفرّعة . فمن دلالة الشدّ جآء مجازاً في العبريّة : Ṣârar ضيَّق ، أحزَن ، عـادى ، حَسَد . و Ṣar : عدوٌّ ، مُضطهِد . و Ṣârâh : ضِيق ، حُزن ، ألَم . و Ṣûr حاصر ، عذَّب .

---

١ راجع Payne-Smith : Thes-syr. Vol. II. C. 3387.
والمعجم الكلداني ، للمطران أودو . ج . ٢ ص ٣٦٨ .

واتّسع معنى القطع في المشتقات ، ولا سيّما في « صار وصوّر » ؛ لان التصوير ، أو التشكيل ، أو صنع التماثيل يتم بالقطع والنحت والنقش . فالصورة هي المادة الحجرية ، او الخشبيَّة ، او المعدَنيَّة ، المنحوته ، او المنقوشة ، اي المقطوعة قطعاً فنيّاً ؛ فينشأ عنه ما ندعوه تمثالاً ، او شخصاً ، او صَنَماً . ومن باب المجاز أُطلِقَت على كل شكل ماديّ ؛ ثم على الشكل الأدبي ، كالطَبع والسَجيَّة ؛ أو الشكل العقلي ، كالرَمز او الصفة ، او الفِكر .

ومن مدلول « الصورَة » التامّة بالنقش ، جآء معنى الكتابة والخط ، وهو نوع من التصوير ؛ بدليل أن اوَّل طَور من أطوار الكتابات هو طَور الكتابة الصوريَّة . ومن مفهوم الكتابة مُطلقاً ، انتقلَت لفظَة « الصورة » الى الدلالة على النص المكتوب ؛ ومنه الى نصّ الكتاب المقدَّس . او قِطَعٍ منه . فنجد في السريانيَّة Ṣûrat Ktâb ؛ او بحذف Ktâb والاكتفآء بلفظة Ṣûrat أو Ṣurtâ وحدها ؛ ومعناهما صورة الكتاب او متنه ، أو الصورة او المتن ، او المقتطفات منه في الكتب الطقسيَّة .

* * *

علاقة « صورت » السريانية « بالسورة » القرآنية

بعد أن عرفنا ما سَبق ، لنبحث الآن عن أصل كلمة « السورة » القرآنيَّة ، ولنَنظُر هل بينها وبين « صُورتا » او صُورت » السريانية من علاقة .

في العربيَّة للفظة « سُورة » هذه المعاني المختلفة الدالَّة على العُلو .

سورة : ما طال من البنآء وحسُن ، و— عِرق من أعراق الحائط ، و— العلاَمة ، و— الفَضل ، و— الشرف ، و— القِطعة المستقلَّة ، او الفصل من فصول القرآن .

فلماذا يا تُرى سُمِّيَت السورةُ سورةً ؟ لقد اختلف في تعليل ذلك علمآء التفسير ، وأهل المعاجم . وتلخيصاً لآرائهم ، ننقل ما جآء ، في ذا الشأن ، في لسان العرب (ج ٦ ص ٥٢ و٥٣) :

« السورة هي كل منزلة من البنآء . ومنه سورة القرآن ؛ لانها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى . والجمع سُوَر . . . ابن سيده : سُمِّيَت السورة من القرآن سورة ، لانها دَرجة الى غيرها . ومَن همَزَها ، جعلها بمعنى بقيَّةٍ من القرآن وقطعة . وأكثر القرَّآء على ترك الهمزة فيها . وقيل : السورة من القرآن يجدر ان تكون من سورة المال . تُرِكَ همزه لمَّا كثر في الكلام . التهذيب : وأمَّا ابو عبيدة ، فانه يزعم أنه مُشتقٌّ من سورة البنآء ، وأن السورة عِرق من أعراق الحائط ، ويجمع سُوَراً . وكذلك الصورة تجمع صُوَراً . . . قال أبو الهيثم : السورة من سُوَر القرآن عندنا القطعة من القرآن سبق وُحدانُها جمعَها كما ان الغُرفة سابقة للغُرَف . وأنزل الله عزَّ وجل القرآن على نبيِّه (ص) شيئاً بعدشيءٍ ، وجعله مُفصَّلاً ، وبيَّن كل سورة بخاتمتها وبادئتها ، وميَّزها من التي تليها . قال : وكانَّ أبا الهيثم جعل السورة من سُوَر القرآن من أسأَرت سُؤراً ، اي أفضلت فضلاً . الاَّ أنها لما كثرت في الكلام وفي القرآن ، تُرِكَ الهمز فيها ، كما تُرِكَ في المَلَك . . . ابن الأعرابي : سورَة كل شيء حدُّه . والسورة الرِفعة . وبهـا سُمِّيَت السورَة من القرآن ، اي رِفعة وخير ؛ وذلك لاجلال القرآن » .

أما نحن فاللائح لنـا ان هذه التأويلات لا تشفي الغليل ، لظن اصحابها ان اللفظة من نجار عربي ، ولجهلهم غير العربية من اللغات الساميَّة . أمَّا عند اهل التحقيق والأُلسنيَّة الساميَّة فمعلوم ان اغلبَ الالفاظ الدينيَّة التي وردت في القرآن ، لم تأتِ مُختَرَعَه دون ان تكون معروفة ، مفهومة ، مُستعملة في

البيئة التي وُضع فيها المصحف. لانه ان كان الأمر كذلك، لما أدرك فحواها سامعوها، ولما كان نُشِر القرآن في لغةِ أهل زمانه الذين وجّه اليهم.

الشاهد على ذلك أن كلمة «القرآن» عينها - وان كان اصلها اللغوي عربياً، لا بل سامياً - الاّ أن مدلولها هذا الخاص لا يأتي من معنى «جَمَعَ وقَرَن» - كما هو وارد في المعاجم - بل من فعل «قرأَ» اي تلا شيئاً من التنزيل تلاوة جهورية، كما يتطلب الأمر في الاجتماعات الدينيَّة في المعابد، لفائدة الجمهور، الذي لم يكن بيده كُتُب، لا بل لم يكن في الغالب يعرف القراءة. وهذه العادة كانت مألوفة بين اليهود. ولهذا جاء أحد اسماء التوراة عندهم Miqrâ اي «القرآءَة». ودخلت العادة المذكورة في النصرانيَّة من اليهوديَّة؛ فدُعيت «التلاوة الجهريّة» لاقسام الكتاب المقدس، عند السريان، quryânâ، اي «قرآءَة او قُرآن». وكانت دارجةً عندهم في سورية، وفلسطين، والعراق، والحجاز. وهي باقية بعدُ الى اليوم. حتى انك اذا قلت للمسيحي السرياني: «هل سمعت القرْيانات (جمع قريان) في الكنيسة»؟ فَهِم حالاً بهذه الكلمة «الكتاب المقدس، بمقتطفاته من العَهدين القديم والجديد» ويقابل هـذه اللفظة عند المسيحيين الغربيِّين Lectiones اللاتينية؛ وعند المسيحيين اليونانيين Kathismata اليونانية. ومعنى الكلمتين: قريانات، اي قراءات.

فالنبي محمد، اذ كان يعتبر كتابه منزلاً كالكُتب المقدّسة المسيحية واليهودية، اطلق عليه هذا الاسم الذي كان معروفاً في بلاده. وقد راعى، لا بل حتّم حتماً، في صدد تلاوته، باتباع نفس العادة الجارية عند اليهود والنصارى، وهي ان «يُقرَأ» اي يتلى تلاوة جهرية مجوَّدة.

وما يقال في كلمة «القرآن» يجدر بان يقال في خصوص غيرها من الالفاظ

الدينيَّة ، مثل « الصلوة » التي اثبتنا أصلها السرياني . ومن باب المقارنة نقول قولاً — مخالفاً كل ما ورد في كتب التفسير واللغة ؛ ولا نظن أن أحداً جآء به حتى اليوم من المستشرقين[1] — وهو ان كلمة « سورَة » ليست بعربية ، بل دخيلة فيها من السريانية ، اعني انها عين لفظة « صورتا او صورت » بابدال الصاد سيناً . فقد علمت ، مما سبق أعلاه ، أن السريان كانوا ولا يزالون يطلقون هذه اللفظة على الكلام المنزَّل ، سوآء أكان متن الكتاب المقدس برمته ، او احد عهديه ، او قطعة مقتضبة منه ، كبيرةً كانت أم صغيرة . ويستعملون هذه الكلمة إمَّا مضافة الى Ktâb ، وإمَّا مستغنىً عنه بها وحدها . فيقولون Ṣûrat Ktâb او Ṣûrtâ (في حالة الاطلاق) و Ṣûrat (في حالة الجزم) ؛ مما يقابله في العربية « صورة الكتاب ، أو الصورة » .

ولا ريب ان السريان الذين كانوا قد لجأوا الى الحجاز — فضلاً عن الرهبان ، ابنآء قومهم ، الذين كانت أديارهم العامرة ، عصر ذاك ، ممتدة على طول الطريق بين مكة والشام — كانوا يستعملون هذه الكلمة ، على مثال إخوانهم في البلاد الأخرى ، للدلالة على متن الكتاب العزيز ، ومن ثم على كل فصل من فصوله ، او القطع المقتضبة منه في الصلوات الطقسية . فكان من البداهة ، والملاءَمة ، والسهولة ، ان يتَّخذها النبي العربي فيطلقها على متن كتابه او قطعه ، لكونها مصطلحاً دينياً موافقاً لغايته ، ولجريها على الألسن ، ولادراك الجمهور لها بهذا المعنى . ولو استعمل كلمة أُخرى غير معروفة ولا مفهومة في محيطه ، لما نال بها مرامه .

---

[1] يذهب نولدكي (Nôldeke) الى ان اصلها من اللفظة العبريّة Shûra : صف . وهيرشفيلد (Hirschfeld) يظن انها تحريف كلمة اخرى عبرية ايضاً وهي Seder : صفّ ، نظام . أما بوهل (Buhel) فيصرّح بانه لا يعرف من اين اتى بها محمد . راجع في ذا الشأن « المَعْلَمة الاسلامية » (Ensyclopédie de l'Islam) مجلد ٤ ص ٥٨٩

هذا وفي القرآن ذاته من الآيات البَيّنات شيء كثيرٌ يؤيّد ما نذهب اليه. فان كلمة « سورة » تعني الكلام الموحى به او المنَزّل. وقد كانت لفظتا « قرآن وسورة » تدلاّن في بادىء الأمر على هذا الكلام المعتبر منزلاً من باب الاطلاق؛ وفيما بعد قُيّدت كلمة « قرآن » بمعنى المجموع كله؛ وحُصِرت « سورة » في الدلالة على قطعة من قطعه، او فصل من فصوله.

دونك طائفة من هذه الآيات الظاهر منها معنى « سورة »:

(٢ بقرة : ٢١) : « ان كنتم في ريب مما أنزلنا، فاتوا « بسورة » من مثله؛ وادعوا شهداءكم من دون الله، ان كنتم صادقين ».

« فأتوا بسورة من مثله » اي بكلام موحى به من عند الله كما هو القرآن.

(٢٤ نور : ١٠) : « سورةٌ أنزلناها، وفرضناها، وأنزلنا فيها آياتٍ بيّنات، لعلّكم تذكرون ».

« سورة انزلناها... وانزلنا فيها آيات... » اعني كلاماً موحى به من عند الله، وفي هذا الكلام عدة آيات.

(٩ توبة : ٦٤) : « يحذَر المنافقون ان تنزل عليهم « سورة » تنبئهم بما في قلوبهم. قُل: استهزءوا؛ انّ الله مُخرج ما تحذرون ».

« ان تنزل عليهم سورة » اي كلام الهي. ودليله أنه ينبئهم بما في قلوبهم.

(« : ٨٦) : « واذا أُنزلَت « سورة » ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أُولوا الطَول منهم وقالوا: ذَرْنا نكُن مع القاعدين ».

(٩ توبة : ١٢٤) : « واذا أُنزِلَت « سورة » ، فمنهم من يقول : ايكُم زادته هذه إيماناً ؟ فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ، وهم يستبشرون » .

(٤٧ محمد : ٢٠) : « ويقول الذين آمنوا : لولا نُزِّلَت « سورة » . فاذا أنزلَت « سورة » محكَمَة ، وذُكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نَظَرَ المغشيِّ عليه من الموت ، فأولى لهم » .

من هذه الآيات المحكَمات يتَّضح أن كلمة « سورة » تتضمن معنى القول الموحى به ؛ اذ يسبقها دائماً فعل « أُنزِل او نزِّل » الدال على الإيحآء . وهذا عينه ما تدل عليه لفظة « صورت » السريانية ، كما اثبتناه في هذا المقال . فاذن « سورة » ماخوذة من « صورت » ؛ او ان هذة الاخيرة ، بدلالتها الخاصة ، دخلت في القرآن ، مبدلة صادها سيناً .

هذا رأينا في اصل « السورة » القرآنية . ونرحّب بكل نقد يأتينا من العلمآء في شأنه .



عَلِمَ ، غَلِمَ ، العالَمُ

التضارب بيّنٌ ووافر بين مدلولات هذين الفعلين ومشتقاتهما ، سوآء كان ذلك في لغة واحدة من اللغات الساميّة ، او بالمقابلة باخواتها . على ان في « الثنائية والألسنية » السرّ للتوفيق بينهما . وهذا التوفيق في الموضوع الحاضر لا يتم بمجرد ردّ الثلاثي الى ثنائي واحدٍ وحسب — الأمر الذي لا يفي بالمرام — بل بردّه تارةً الى ثنائيٍّ ، وتارةً الى ثنائيٍّ آخر ؛ ممّا يستدل منه على تعدّد الاصل الثنائي للثلاثي الواحد ، طبقاً لتضارب المعاني .

ومن المعلوم عند « الألسُنيّين » ان العين والغين المفترقتين في العربية هما موحّدتان بالعين في السريانية والعبرية والحبشيّة ، وقد استحالت العين ذاتها همزةً في الأكّديّة . على ان الالفاظ العبريّة والسريانية والحبشيّة تقابل ، حسب المعاني ، طوراً الكلمات المبتدئة بعين ، وطوراً آخر المبتدئة بغين ، في العربية .

فاذا تقرر هذا ، لناخذنّ في التفاصيل :

ان الثنائيات التي يردّ اليها الثلاثي « علم او غلم » ، لاظهار تناسق المعاني واتصالها بعضها ببعض ، هي ثلاثة : عَلْ (او علا) ، ولَمْ ، وغلْ .

علم

ا هذا فعل « علم » . فاذا كان على وزن « فَعَل » ، كان الثنائي الصادر عنه « عَلْ » ، الظاهر معناه في الناقص « علا » ، الدالّ على العلو والارتفاع ، ومن ثم على الظهور . اذن الأصل الثنائي هو « عَلْ » ، والحرف الزائد فيه هو « الميم » . من ذلك المعاني التالية ، لسردها واضعين بجانبها الأصل الثنائي بين قوسين .

عَلَم (عَلْ او علا): وَسَمَ. لان السمة شيء عالٍ، اي ظاهر.
〃 〃 : لاث عمته على رأسه بعلامة تُعرَف بها.
عَلَّم 〃 : وَسَمَ الفارسُ نفسه بسيمآء البُسّل في الحرب.
〃 〃 : جعل لفلانٍ أمارةً يُعرَف بها.
أَعلَم 〃 : الحافرُ البئرَ: وجدَها كثيرة المآء، اي عاليته.
〃 〃 : وَسَم نفسَه بسيمآء الحرب.
〃 〃 : علّق على الفرس صوفاً مُلوَّناً في الحرب، اي بمنزلة علامة.
〃 〃 : جعل على الكتاب علامة.
〃 〃 : جعل القصَّارُ للثوب عَلَماً من طِراز وغيره.
اعتَلَم 〃 : البرقُ: لَمع في العَلَم، اي علا وظهر
العلامة 〃 : سِمةٌ، و— الفصلُ بين الارضين، و— شيءٌ منصوب يُهتَدى به.
العُلاَّمة 〃 : ما يُستَدَلّ به.
العَلَم 〃 : العلامة والأثر، و— المنارة، و— الفصلُ بين الارضين، و— شيءٌ يُنصَب في الطريق يُهتَدى بـه، و— سيّد القوم (اي اعـلاهم) و— رَسم الثوب، و— رَقمه، و— الجبل الطويل؛ و— الراية، و— ما يُعقَد على الرُمح (علامة). وفي كلّ ذلك معنى العلو، ومن ثَم الظهور.
العَلمآء 〃 : الدرع (لظهورها).

ب واذا كان الوَزنُ «فَعِل»، كان أصلُ اشتقاقه من ثنائي آخر، وهو «لَمَّ»، اي جمَع. اذ من جملة الاشيآء المجموعة المعارف. ويتجلّى هذا المعنى

في المزيد « أَلَمَّ » . فان احد مدلولاته « المعرفة » ؛ اذ يقال « أَلَمَّ » بالمعنى : عرَفه . وعليه « فعَلِمَ » مشتق من « لمَّ » بزيادة العين .

عَلِم (لمْ) : عرَف ، تيقَّن .
» » : أتقَن الشيءَ ، فهمه .
علَّم » : جعلَه يَعلَم ، اي يُلِمّ بماهية الشيء .
أَعلَم » : أَخبر ، اي جعلَه يُلِمّ بالخبر .
عالَم » : غالبه في العِلم ، اي في الإلمام بالشيء .
تعلَّم » : مطاوع علَّم .
اعتَلَم » : علِم الشيءَ ، ألمَّ به .
استعلم » : استخبر ، طلب الإلمام بالخبر ، او بالشيء .
العالِم » : المتَّصف بالعِلم ، المُلِمّ بالاشيآء .
العَلاَّم » : العالِم جداً ، و— النَّسَّابة ، اي المُلِمّ بمعرفة الانساب .
العَليم » : العالِم ، و— الله تعالى .
المعلِّم » : الملهَم للصواب والخير .

ت ولهذا الفعل الثلاثي « علَم » معانٍ تفترض اشتقاقه من « عَلْ او غَلْ » الدال على الدخول ، أو الولوج ، او التَغَلْغُل في الشيء . من ذلك :

عَلَم (عَلْ ، غَلْ) : شقَّ شفته العُليا ، اي أولج فيها السكين .
عَلِم » : انشقَّت شفتُه العُليا .
العُلاَّم » : لُبُّ عَجْم النَبق ، وهو الداخل في اعماقه ، اي المتغلغل فيه .
» » : الباشق ، وهو الحاد النظر ، اي الداخل في اعماق الاشيآء .
» » : الصَقر : مثله .
العُلْمَة » : الشَقّ في الشفة العُليا .
الأَعلَم » : ما بشفته العُليا شَق .

السريانية

'lam (lam لم) : علِم ، عرَف .
'allèm 〃 : علّم ، هذّب ، مدَح ، زيّن .
'lèm 'ida 'tâ 〃 : حديث العلم ، قليل المعرفة .

الحبشية

'alama (عَلْ) : علَم ، وسَم ، ختم ، سجّل (كلها بمعنى وضع علامة) .
Ta 'lama 〃 : رقَم ، وقّع ، وضع علامة .
Ma 'alam (لم) : مُعلِم .

غلم

غلم مشتق من الثنائي « غلّ » ومعناه : « دَخل ، او وَلج » . وهذه الدلالة تتّسع في الناقص : « غَلا يَغلى ، وغلا يَغلُو » . ففي الاول يراد الغليان ، وهو أمر يفترض تداخل العناصر بعضها في بعض . والثاني فيه نتيجة ذلك ، اي أن هذا التداخل ينشأ عنه النمو والارتفاع .

غلِم (غلْ ، غلا) : غُلِب شَهوةً ، اي جاشَت وغلَت أمياله .
اغتلم 〃 : غلِم .
〃 〃 : الشرابُ : اشتدَّت سَورته ، اي غلَت .
〃 〃 : امواجُ البحر : اشتدَّت ، اي غلَت .
الغُلام 〃 : الشابُّ البالغ ، اي الذي غلت فيه عناصر الشبوبيّة ؛ فلذلك نما فطال .
〃 〃 : (مجاز) : الأجير ، لان الأجرآء يكونون عادةً من الشبأن ، لقوّتهم واقتدارهم على الشغل .
〃 〃 : (مجاز) : العَبد ، للسبب عينه .

الغَيْلَم	〃	: الشابُّ العريض المَفرِق ، الكثير الشَعر ، اي البالغ النامي .
〃	〃	: منبع المآء في الآبار ؛ لان فيه يكثر المآء ، فينمو ، فيتدفّق .
غَلَنَ	〃	: (النون زائدة) : غلا .
غلا	〃	: زاد الشيء ، ارتفع .

السريانية

ʿlèm	(عَلْ ، غَلْ)	: غَلِم ، قوي ، ضخُم (كلها بمعنى الغليان والنمو) .
ʿallèm	〃	: أشبَّ ، قوَّى ، جدَّد ، خلَّد . لان القوي يثبت خالداً .
ʿlaymâ	〃	: غُلام بالغ ، شابٌّ ، قويٌّ ، ضَخمٌ (صفات الشباب) .
〃	〃	: (مجاز) : غُلام ، خادم .
ʿalmâ	〃	: فتى ، حدث ، جديد .
ʿlayemṯâ	〃	: فتاة ، شابَّة .

العبرية

ʿâlam	(عَلْ ، غَلْ)	: خفي ، جُهِل ، سُتر ، اختفى ، هرَب ، نُسِي ، كان مجهولاً ، غير أكيد (كلّها تدلّ على معنى الخفآء او التواري ، مما ينتج عن الولوج .
ʿallèm	〃	: أخفى ، وارى ، أظلم (اخفى بالظلام) ، أَسَرَّ (جعل الشيء سِرّاً ، اي خفياً) .
Heʿallèm.	〃	: اختفى ، ابتعد ، تكوَّم (معنى الخفآء) .
ʿêlèm	(غلْ ، غلى)	: شابٌّ ، غلام .
ʿâlmâh	〃	: شابّة ، عذرآء ، آنِسَة ، إمرَأة شابّة .

« العالم »

على رأينا ان أَصوَب اشتقاق لكلمة « عالَم » أن تؤخذ من العِبريّة الدالّ فيها حرف âlam على الخفآء. والثلاثي مشتق من al' او âlal' العِبري. ويقابله في السريانية al'. ولكليهما معنى الدخول. لان الخفي او المستور هو الداخل دخولاً يمنع رؤيته. والمماثل لهذين الحرفين في العربيَّة هو الثنائي « غلّ » الدال هو ايضاً على الولوج، ومن ثم على الخفآء.

١ً أول معنى إذَن للفظة « عالَم » هو معنى الزمان الخفي او المجهول، اي الداخل في الغيب، وهو الأَزَليّة – الأَبديّة.

٢ً من باب التوسُّع، أُطلِق على الزمان الذي نحن فيه، اي الدّهر.

٣ً ثم أريد به الخلائق، أو الكائنات الموجودة في هذا الزمان، او الكون، على وجه الإطلاق.

٤ً اخيراً يدُل « العالَم » على جمهور الناس، والخَلق كلّه، وعلى كل صِنف من أصنافه. ودونك صور لفظه في اللغات الساميَّة.

العربيَّة : عالَم.
السُريانيَّة : 'almâ
العبريّة : 'ôlam
الحبشيَّة : 'âlam

أمَّا الاكّديّة، فالثلاثي الذي لامه ميم، لا أثر له فيها. إنما ورد فيها الثنائي « عَلْ » الصادر منه الناقص « علا » بمعنى ارتفع وصعد في سُلَّم الزمان، اي تقادمَ عهدُه. من ذلك جآءت الالفاظ الآتية التي أصل الفآء فيها عين؛ وقد سقطت، لانها حلقيّة؛ فبقيت الهمزة عوضها: ullâti (عُلاَّتي)؛ ullâ (عُلاَّ)؛ ullâni (عُلاَّني)؛ وكلّها تدلّ على الازمان الصاعدة، البعيدة، القديمة؛ اي الدهر، او الأَزَليَّة – الأَبديّة.

نَهَرَ

هذا اللفظ ساميّ ، لوروده في جميع اللغات الساميّة — الاّ الحبشية — اي في العربية ، والآرامية ، والعبرية ، والاكّديّة .

مُجمل المعاني الدال عليها هذا الحرف ، في الألسن المذكورة :

١ً معنى الجَرْي ، أو السَيَلان .

٢ً فحوى الزَجر (وهذا خاص بالعربيّة) .

٣ً مدلول النور .

لاحاجة الى كبير عنآء ، للوقوف على التباين الظاهر بين هذه المدلولات ؛ اذ اين الجري من النور ، واين كلاهما من الزَجر ؟

« المُعجَميُّون الثُـلاثيُّون » (Lexicographes trilittéralistes) — وهم جمهرة الاقدمين ، واغلبية العَصريّين — يقفون موقف الحيرة والإرتبـاك ، تجاه هذا التضارب ، بل هذا التنافر ؛ ولا حيلة لهم الاّ القول بان : هكذا وردَت ؛ أو بان كل قبيلة من قبائل العرب استعملت هذا اللفظ بمعنى من معانيه .

أمّا « المُعجَميُّون الثُنائيُّون » (Lexicographes bilittéralistes) ، فلا يكتفون بهذه التعليلات المأثورة ؛ بل يفرغون كنانة جهدهم ، لفك مغلق هذه المشكلة ، بمفتاح الطريقة المذكورة .

من رأينا أن الثلاثي « نَهَرَ » ليس « أَصلاً » لهذه المعاني ؛ بل ان كل واحد منها آتٍ من مصدر خاص به . وما الثلاثي الا بمثابة الحوض تصب فيه مياهٌ منبجسة من ثلاثة ينابيع ؛ فتتلاقى فيه ؛ فينشأ من ذلك لفظ واحد ذو ثلاثة معان .

١ً « نهر » (بمعنى جرى)

هذا الثلاثي صادر ، بطريقة التتويج ، من الثنائي « هَرْ » ؛ اي بزيادة حرف في أوله ، وهو « النون » . وبالواقع ، اننا نجد « هَرْ » في الثنائي المثنّى (الرباعي في نظر النحاة) : « هَرْهَرْ » ؛ وهو حكاية صوت المآء الكثير . ومنه « الهَرهَرَة » : صَوت المآء الكثير . ومنه ايضاً « الهَرهُور » : الكثير من المآء .

إذن « نَهَرَ » صادر من « هرْ » ؛ اذ بين الاثنين مناسبة في المعنى . ومن هذا القبيل تكون جميع مدلولات هذا الحرف المراد بها الجَرَيان في اللغات الساميَّة الاخوات .

٢ً « نهر » (بمعنى زجر)

مصدر « نهرَ » ، في هذا الباب ، هو الثنائي « نَهْ » ؛ زيدت فيه « الرآء » ، بطريقة التذييل ؛ وقد وردت « نَهْ » في الثنائي المُثَنَّى : « نَهْنَهَ » ؛ ومعناه : كفَّ فلاناً عن الشيء وزجره . ومنه الناقص « نَهى » فلاناً عن كذا : زجره عن الشيء بالقول ، او الفعل . والمناسبة بيِّنة ، بين معنى الثنائي « نَهْ » والثلاثي « نهرَ » .

٣ً « نهر » (بمعنى أضاء)

لم يَرِد « نهرَ » ، بهذا المعنى ، فعلاً ثلاثياً ، في العربية ؛ لكن له وجود في السريانية والعبرية . وهو آتٍ من الثنائي « نَرْ » بطريقة الاقحام . « ونَرْ » ظاهر في الاجوف العربي « نارَ » : أَضآء . ومنه « النار » ، الدالّ على الاشتعال ، و « النور » ، وهو الضيآء . وفي السريانية : Nôr : اشتعل . ومنه Nûrâ : النار ؛ و Nûrânâ : ناريّ ، ونوريّ . ومن Nôr الثنائي ، في السريانية ، جآء

الثلاثي: Nhar، باقحام الهآء فيه. ومعنـاه: اتّقد، أنار. وفي العبريّة نجد Nûr: نارٌ، لَهب؛ و Nêr: مصباح.

هذه إذن الثُنائيّات الثلاثة الصادر عن كل منها الثلاثي «نهرَ»:

«هَرْ» (هَرْهَرَ) > نَهَرَ (بزيادة النون): جرى، اتّسع.

«نَهْ» (نَهْنَهَ) > نهرَ (بزيادة الرآء): زجر.

«نَرْ» (نـار) > نهرَ (باقحام الهآء): أضآء.

فالآن يسهل علينا ان ننسّق معاني هذا الحرف، كما هي واردة في اللغات السامِيَّة الاخوات.

«نهر» (بمعنى جرى)

العربيّة

من معنى الجري – وهو فعـل المآء خاصةً – ينتج معنى الحفر؛ لان المآء، عند جريـه، يحتفر في الأرض شَقاً. ومن دلالة الحفر، جآءت دلالة التوَسع، أو التَضخُّم. وهذا ما يظهر في مجرّده ومزيداته.

	الحرف الزائد	
نَهَرَ	(النون)	: الدمُ: سال بقوّة
«	«	: المآءُ: جرى في الارض، وجعل لنفسه نهراً. وكل كثير جرى فقد نهر.
«	«	: الرجلُ النهرَ: أجراه.
نَهِرَ	«	: الحافِرُ: بلَغ المآء.
نَهَّرَ	«	: النهرَ: حَفَره.
أَنهرَ	«	: الحافرُ النهرَ: وسَّعه، و— الطعنةَ: وسَّعها.
«	«	: الدمَ: اظهَره، وأسالَه.

أَنْهَرَ (النون) : فـلانٌ: لم يُصِب خيراً ؛ اي دام على السير والجري، فلم يقف على ما يفيد.
〃 〃 : العِرقُ : لم يَرقَأ دمُه ، بل واصل السَيلان.
〃 〃 : المرأةُ : سمِنت (توسّعت ، وتضخّمت) .
〃 〃 : الدمُ : سال .
〃 〃 : بطنُه : جآء مثل مجيء النهر .
انتَهر 〃 : العرقُ : لم يَرقأ دمُه .
〃 〃 : بَطنُه : استَطلَق ، وجرى مثل النَهر.
إستَنْهَرَ 〃 : النهرُ : أخذ لمجراه موضِعاً مكيناً .
〃 〃 : اتّسع .
〃 〃 : جرى بكثرة .
الناهُور 〃 : السَحابُ ؛ لان مآء المطر يسيل منه .
النَهرُ 〃 : المآء الجاري، المتَّسِع المجرى.
〃 〃 : (توسُّعاً) : الأُخدُود الذي يحفره المآء بجريانه .
〃 〃 : السَعَة .
مآءٌ نَهِرٌ 〃 : كثير .
نَهرٌ نَهِر 〃 : واسِع .
النُهْرَة 〃 : الدَغرة او الخَلسَة ؛ وفيها معنى إِجرآء الشيء .
النَهِير 〃 : الكثير .
النهيَرَة 〃 : الناقة الغزيرة .
المَنهَرُ 〃 : موضــع في النهر يحتفره المآء ، و— خُرق في الحُصن نافذ يجري منه المآء .

المَنهَرَة (النون) : فَضآء، أو متَّسَع بين أَفنية القَوم، يُلقون فيه الكِناسات.
نَهرَج 〃 : (الزائدُ فيه الجيمُ فضلاً عن النون) : طريق واسع.

السريانية

Nhar : (لا وجود للثلاثي المجرد بمعنى جرى).
Nahhar : جرى النهر.
Nahrâ : نَهْر.
Nhar 'aynê : دموع.

العبرية

Nâhar : جرى، تدفَّق.
〃 : أسال.
〃 : (مجاز) مال، تقرَّب، تقدَّم، اجتمع، ركض، استعجل :
Nâhôr : نَهْرٌ، جَدول، مجرى.

الاكدية

في الأَكَديَّة تسقط الحلقيات؛ ولذا سقطت الهآء من هذه الكلمة.
Nârû : (الاصل Nahru) نهرٌ، جدول.

«نهر» (بمعنى زجر)

(وهو خاص بالعربية)

الحرف الزائد

نَهَرَ الرآء : السائلَ : زَجَرَه.
انتَهر 〃 : السائلَ : استقبله بكلام يزجره به.

« نهر » (بمعنى أضاء)

العربية

الحرف الزائد

نَهَرَ (الهاء) : (ليس من ثلاثي له فيها) .
النَهارُ 〃 : الضوء من طلوع الفجر الى غروب الشمس .
النَهار 〃 : فرخ القطا و — ذَكَر الحبارى . (لعل ذلك لبياض لونها) .
الناهِر 〃 : العِنَب الأَبيض ، (والبياض من قبيل النور) .
النَهِر 〃 : مثله .
رَجُلٌ نَهِر 〃 : صاحبُ نَهارٍ ، اي نور ، يُغِير فيه .
نهارٌ نَهِر 〃 : نيّر ومُنير .
الأَنهَر 〃 : المنير .

السريانية

Nhar : اتّقد ، اشتعل ؛ ومن الاشتعال النور .
〃 : أنار ، أشرق ، أسفَر الصباح .
〃 : (مجاز) أزهر ، تَلَألأ .
〃 : (〃) : بَزَغ ، اتّضح .
Nahhar : أنار ، بيَّن ، فسَّر .
〃 : (مجاز) فقَّه ، هذَّب .
Anhar : أوقد ، نوَّر ، أوضح ، لَمع .
〃 : (مجاز) هذَّب . فرِح ، تهلَّل

Nuhrâ : نور ، كَوكَب .

〃 : (مجاز) ذَكَاء ، مَجد ، بَهآء ، زِينَة .

Nâhrâ : مُضيء ، نهار .

Nâhôrâ : مُنير ، سَنيّ .

Nâhîrâ : نيّر ، واضح .

〃 : (مجاز) نقيّ ، هشّ ، حاذق .

Nâhûrâ : نور ، شمعَة ، مِصباح ، كوكب .

Manehrânâ : مُنير كُوَّة .

Nûhârâ : حاشِيَة .

Nahrânûṯâ : شَرْح .

العبرية

Nâhâr : لَمَعَ ، أَضآء ، أَشع .

Nehârâ : نور ، نَهار .

الاكدية

Nûrû : (الأصل Nuhru) : ضوء ، نهار .

أَمَرَ

اطلب هذا الفعل في المعاجم العربيَّة ، ترَ له المعاني الآتية :

أَمَرَ : طلب إنشآءَ فعل .
أَمِر : الشيء : كثُر ، نما ، اشتدَّ ، تمَّ .
أَمُر : صار أميراً .
تأمَّر : تسلَّط ، تحكَّم .
الأَمرُ : الشيء ، الحال ، الشأن .
الإمَّرُ : الأَمرُ العظيم .
المُؤتَمِرُ : المستبدّ برأيه ، شَهر المحرّم ، السابع من أيام العجوز .
الأَمارُ : العَلَم .
الأَمَرَةُ : الرايَة .
تُؤمُورٌ : (واحد التآمير) ، وهي الأعلام في المفاوز ؛ اي حجارة مكوّمة بعضها على بعض .

في الارامية السريانية

Emar : قال ، حكى ، أخبر ، قصَّ ، إرتأى ، أمَر ، وصفَ ، مدحَ ، وعظَ ، أنشدَ .

في العبرية

Amar : تكلَّم ، لفظ ، أمَر ، افتكر ، تخيَّل ، قنَّع ، افترض ، قصد .
Amîr : قِمَّة ، عُلوّ ، جبل ، شجرة .
Yet'amru : يتعالَون ، يتكبَّرُون .

في الاكدية

Amâru : قال ، ظهَرَ ، أظهرَ ، أبانَ ، قدَّم ، نظَرَ .

في الحبشية

Amara : علِم ، دلّ ، كان ظاهراً ، فصيحاً .

Amîr : النهار ، اليوم ، أوّل يوم .

في السبئية

Amar : عالٍ .

فاي مطالع لا يقع في حيرة تجاه هذه المعاني المتضاربة هذا التضارب ، مع ان الأصل واحد . وهو لا يجد هـذا الاختلاف واقعاً بين معاني لغةٍ ولغةٍ أخرى من اخواتها ؛ بل ان التباين ظاهر داخل كل لغة على حدة . اذ ان البون لشاسع بين معنى القول ، والشِدّة ، والنموّ ، والتسلُّط ، والتفكر ، والظهور ، والعِلم ، والعلو . فان لهذا الأصل العامّ كل هذه المدلولات المتباعدة .

لكن ما نراه عَسِرَ الحَلّ ، تحلُّه لنا « الثنائية والألسنيَّة الساميَّة » ؛ وتؤازرهما في ذلك العربية ؛ فلها ، من هذا القبيل ، الأفضليَّة .

لنشرع بتطبيق المبدأ الاساسي للثنائيَّة ، وهو أن اصل الالفاظ ثنائي ، لا ثلاثي ؛ ومن ثم لنردّ الثلاثي « أَمَرَ » الى ثنائيّ ، بحذفنا منه « الرآء » ؛ بقي الأصل « أمْ » . واذا كشفنا عن هذا الثنائي في المعاجم ، نجد له المعاني التالية :

أمْ : (في كلمة الأَمت) : المكان المرتفع .

أمَّ : أضحى إِماماً (عالياً) .

الأَمْ : العَلَم الذي يتَّبع الجيش .
الأَم : الرئاسة ، العُلوّ ، أمّ الرأس ، قمّته .
الأُمّة : القامة ، الوجه .
الأَمَم : الجلي من الأمور .

فالثنائي « أمْ » متضمّن معنى الارتفاع ، والجلاء ، في ذاته وفي مشتقاته . وهو مايفك لنا هذا المغلق في العربية ، وفي اخواتها الساميّة ؛ لاننا نرى ، في هــذا الثنائي ، مبدأ منطقياً ، لتطوّرات كل المعاني الاخرى المنسوبة الى الثلاثي « أمَرَ » .

ا يظهر لنا معنى الارتفاع في العربية متناسباً في « أمُرَ » : صار أميراً ، اي عالياً ، مرتفعاً . وفي « أمِر » : كثر ، نما ، اشتدّ ، تمّ . لان هذه الالفاظ تدل على الارتفاع ؛ والنمو ينشأ عن القوة والشدّة . وفي « تأمّر » : تسلّط ، اي تعالى . وفي « الإمر » : العظيم ، اي العــالي . وفي « المُؤتَمِر » : المستَبِدّ برأيه ، اي المتعالي . وكذا القول في دلالته على شهر المحرّم وعلى السابع من ايام العجوز ؛ لان فيهما يأتمر الناس ، اي يتشاورون في أمر الظعن ؛ وفي المشورة ، تعالٍ وارتفاع . وفي « الأَمــار » : العَلَم ، اي الشيء المرتفع . وفي « الأَمَرَة » : الرابية ، اي المحل المرتفع . وفي « تُؤمُور » : الحجارة المكوّمة ، اي المرتفعة .

في العبرية يظهر معنى الارتفاع في كلمة Amîr : قُمّة ، عُلو ، جَبَل ، شجرة . وفي لفظة Yet'amru : يتعالون ، يتكبرون . وكذلك في amar السبئية .

ب ان الشيء ، اذا كان مرتفعاً ، اتّصف بصفة الجلاء ، والوضوح ؛ اذ بارتفاعه يكون ظاهراً للعيان . وهذا ما نراه ، في العربية ، في كلمة « الأَمَم » ، وهو الأمر الجلي . وفي الاكدية في معاني Amâru : ظهر ، اظهر ، أبان . وفي

الحبشية ، في Amara : كان ظاهراً ، فصيحاً . وفي Amîr : نهار ، اليوم ، أول اليوم . وكل ذلك بمعنى النُور ؛ ومن النور الجلآء والوُضوح .

ت واذا كان الشيء واضحاً جلياً ، سَهُلت رؤيته . فمن ذلك في الاكدية ، معنى Amâru : نظر .

ث واذا هان النظر الى شيء ، امكن الافتكار فيه . ومن هنـا جآء في العبرية المعاني الآتية لكلمة âmar : افتكر ، تخيَّل ، افترض ، قصد . وفي السريانية : Emar : إرتأى .

ج واذا امكن الافتكار في الشيء ، هانت معرفته وتعريفه . فجآء في الحبشية : amara بمعنى : علِم ، دَلّ . وفي الاكَّديَّة : amâru : قدَّم ،

ح واذ كان التعريف والتقديم يجري بطريق الإخبـار ، او الوَصف ، وما اشبه ، وردت في الارمية Emar بمعنى : حكى ، أخبر ، قَصّ . وصَف . وفي العبرية : âmar : لفظَ ، تكلَّم . وفي الاكَّديَّة : amâru : قال .

خ واذ كان الكلام لا يُستَعمل للقول والإخبـار فقط ، بل لاصدار الارادة ، نرى في العربيَّة : « أَمَرَ » بمعنى : طلب انشآء فعل . وكذالك في السريانية Emar : أَمَرَ . وفي العبرية âmar : أمر .

د فضلاً عن هذا ، فالكلام وسيلة للمفاوضات والتعليم . وعليه ففي السريانية ، تدلّ Emar على معنى : وعظ . وفي العبرية Amar : قنَّع .

ذ يستعمل الكلام ايضاً للمـدح وما يشبه . من ذلك جآءت Emar السريانية بمعنى : مدح ، أنشد .

وهكذا فككنا هذه المغلقات بمفتاح « الثنائية والألسُنيَّة الساميَّة » .

حمر ، خمر

ان هذين الثلاثيين مفترقان في العربية ؛ اذ فآء الواحد حآء ، وفآء الثاني خآء . على انهما قد استحالا الى اصل واحد في غيرهـا من اللغات السامية . اذ لا وجود للخآء في السريانية ، ولا وجود للحآء في العبرية . بيد ان معاني الاثنين لم تَزُلْ بزوال افتراق الحرفين .

نسرد مدلولات هذة الاصول في اللغات الثلاثة : العربية ، والارمية ، والعبرية ، ملحقين بها الشيء القليل الوارد في الاكَّديَّة والحبشيَّة .

العربية

حَمَر : الخارزُ سَيرَه : سحا بَطنَه بحديدة ، ثم خَرَزه . و — سَلَخ الشاة ، قَشَر الجلد ، حَلَق الرأس .

حَمِر : تغيَّرَت رائحة فيه ، و — فلانٌ : تحرَّق عليك غيظاً ، و — سَنق الفرس ، اي اتّخم .

إحمَرَّ : صار أحمر .

انحَمر : انقشر .

الحِمار : النهَّاق من ذوات الاربع .

الحَمِر : المُتحرِّق غيظاً .

الحُمَر : القار .

خَمِر : ستر ، استحيا ، جعل في الدَّقيق الخُمَرَة ليختمر .

 " : خفي ، تغيّر عمّا كان عليه . (فيه معنى الاختفآء) .

خمَّر : (بيتَه) : لزِمه ، و — وضع الخمرة ، و — ستر وجهه .

أخمَر : حقَدَ ، ستر .

الخُمار : أذى الخَمْر وصُداعها .

الخِمار : النصيف ، ما تغطِي به المرأة رأسها .

الخَمْر : المسكر الذي يخامر العقل ، اي يغطّيه . لكن الاصوب : الذي يغيّر حالة العقل .

السريانية

Ḥmar : خَمرُ ، اختَمر .

Ḥamrâ : خَمْرٌ ، عصير ، نبيذ .

Ḥmârâ : حِمار .

Ḥammar : أَسكَر ، خمَّر .

Ḥmîrâ : خَمير .

العبرية

Ḥâmar : غلى ، اختَمر ، انتَفخ ، أَزبَد ، طلى بالزِفت او القـار ، حمّـر بالنار ، أَحرَق ، قَلِق ، اضطَرب ، كوَّم .

Ḥêmêr : الخَـمْر ، النبيذ.

Ḥemôr : الزِفت ، القير .

Ḥômêr : الصَلصال ، طين الخاتَم .

Ḥâmar : حَمُر .

Ḥamôr : حِمار .

Ḥômêr : كَوْمَة .

الحبشية

Ḥamara : احمَرَّ .
Ḥamar : حبّة حمرآء .

الاكدية

Ḫamêrû : خَفي ، تغطى .
Ḫamru : مَخفِيٌّ .
Ḫamûrîtu : داخل الحنجرة ، الحُلقُوم .
Emêrû : (ح) : حِمار .

كل هذه الثلاثيات المتضاربة المدلولات ، في مختلف اللغات الاخوات ، يمكن التوفيق بينها ، اذا رددناها الى الثُنائيَّات التالية وهي :

العربية

حمَّ (حَمْ) : التنورَ : أوقدَه ، سجَره ، سخَّن المآء ، أذاب ، قضى له (الله) .
حُمَّ : الأمرُ : قُضِي ، قُدِّر .
حَمَّ : صار (المآءُ) حاراً ، صارت الجمرة حَمَمَةً ، اي سَودآء .
حمَّم : سخَّم وجهَه بالحَمَم ، اي بالسَواد ، اسوَدَّ ، نبَت ، طَلَع ، نبَت شعرُه .
الحِمام : المَوت ، القَضآء .
الحَمَّام : دارُ الاستحمام .
الحُمَّة : الشِدَّة .
الحَميم : القريب الذي نهتم لامره ونوده ، المآء الحارّ .
الأَحَمّ : الأسود .

خَمَّ (خَمْ) : البيتَ : كَنَسَه ، حلب الناقة ، كسَح البئرَ ونقَّاها .

خمَّ : اللَحمُ : أنتن .

خما : اللبنُ : اشتدَّ .

السريانية

Ḥam : حَمَّ ، حَرَّ ، خمَّ ، أنتن ، كنَس ، قَمَّ ، ذَبُل ، جَفَّ ، تلهَّف ، هاج .

Ḥammèm : أَحَمَّ ، أَنوى ، أَخَمَّ ، أَرخَم ، انار .

Ḥmimtâ : حمَّام .

العبرية

Ḥâmam : حَمَّ .

تفسير وتعليل

ان المعنى الاصلي ، الذي منه صدرت المعاني الأخرى ، مُتَضمِن في الثنائي: « حَمْ » . وهذه الدلالة تنطوي على « الحرارة » ، وما ينجم عنها من الاحوال .

ا من ذلك في العربيَّة « حَمَّ » المآء : صار حاراً . في السريانية Ḥam حمَّ . في العبريَّة Ḥâmam حمَّ . ومنه ايضاً في العربية ، المتعدّي : « حمَّ » : أوقد (التنورَ) ، سجَره ، سخَّن المآء ، أذاب الشمع ، ومنه : الحميم : المآء الحار ؛ والحمَّام : دار الاستحمام . وفي السريانية : Ḥmimtâ : حمَّام .

ب واذ كان من نتائج الحرارة ان تجعل المَحمِيّ يتصف بلون السواد ، جآء في العربية « حمَّ » : صار أَسود ؛ و « حمَّ » : سخَّم وجهه بالحُمَم ، اي بالسواد ، فاسودَّ . ومنه « الأحمّ » : الأسوَد .

ت ومن مفاعيل الحرارة الإنمآء . وعليه كان من معاني « حمَّم » : نَبَت ، طلَع ، نبت شَعرُه .

ث ومن خواصّ الحرارة الاشتداد. من ذلك جآءت « الحَمَّة »: الشِدَّة. و « الحَميم » القريب الذي نهتّم لامره، لمحبتنا اياه بشدة.

ج ومَّا ينجم عن الحرارة دفعُ العامل على قضآء الأمر، فكان المعنى المجازي: « حمّ » دبّر. « حمّ » اللهُ: قضى له. ومنه « حُمّ » قُدِّر وقُضي. ومنه: الحِمام: القضآء، وهو الموت.

ح من خواصّ الحرارة ان تجمع عناصر الشيء بعضها الى بعض. من ذلك: « خمَّ » كَنَس، حلَب الناقة، اي جمع حليبها، كَسَح البئرَ ونقَاها، اي جمع الاوساخ التي فيها. وفي السريانية Ḥam: كنس، قمَّ.

خ والحرارة، اذا دامت، تولِّد الضعف في الشيء. من ذلك في السريانية: Ḥam ذبُل، جفّ. وḤammèm: أذوى.

د الحرارة تولِّد التهيّج. وعليه ترى في السريانية Ḥam: هاج، تلهَّف.

ذ الحرارة تنشيء الفساد، من ذلك في العربية « خمّ »: أنتن، وفي السريانية Ḥam: أنتن.

ر الحرارة تولِّد النور: فمنه في السريانية Ḥammèm: أنار.

لناخذ الآن الثلاثي من هذا الاصل، وهو المزيد فيه رآء.

ز الحرارة تمدّد وتليّن. والناتج من ذلك سهولة السلخ، والقشر، والحَلق. ولهذا جآء، في العربية « حَمَر »: ليّن، خرَز، سلَخ، قشَر، حلَق.

س من الحرارة ينتج الغليان، والفساد، والاختمار، ومنه الاختفآء. وعليه ترى في العربية، « خَمَرَ »: تغيّرت رائحته، اتّخم، تحرّق غيظاً، و « خَمِر »: تغيّر عمّا كان عليه؛ خَفِيَ، استحيا (مجاز)، جعل في الدقيق الخمرة، ليختمر. « خمَّر »: اختفى في بيته، وضع الخمرة، ستر وجهه. « أخمرَ »: حقَد. « الخمر »: المُسكِر الذي يخامر العقل اي يغيّر حالته. « المختمِر »: الذي تتغير حاله.

« الخُمَــار » اذى الخمر وصُداعها ، اي تغيُّر حالة شاربها. « الخِمار » : النصيف ، او ما تغطي ، او تخفي به المرأة رأسها . في السريانية : Ḥmar : خمر ، اختمر . و Ḥamrâ : خَمرٌ . و Ḥammèr : أسكر ، خمَّـر . و Ḥamrâ : خمير . وفي العبريّة : Ḥâmar : غلى ، اختمر ، انتفخ ، أزبد . و Ḥêmêr : خمر . وفي الاكدية : Ḥamâru : خفى ، تغطَّى . و Ḥamru : مخفي . و Ḥamûritu حُلقُوم .

ش الحرارة تولّد النمو ، والارتفاع ، والتجمع . منه في العبرية Ḥâmar كوَّم ، و Ḥômêr كومَة .

ص الحرارة تخمِّر . ولذلك جآء في العبريَّة : Ḥômêr : الصَلصـال او الطين المختمِر .

ض الحرارة تولِّد الغليان الحقيقي ، ومنه الغليان المجازي . من ذلك في العربية « الحُمَر » : الزفت والقار . وفي العبرية : Ḥômêr : الزفت . ومنه ايضاً مجـازاً في العبريّة : Ḥâmar : اضطَرب ، قلِق . وفي العربيَّة : « الحَمِر » المتحرِّق غيظاً . ومنه ايضاً في العربيّة « الحِمار » ؛ وفي السريانية : Ḥmârâ ؛ وفي العبرية : Ḥamôr ؛ وفي الاكّديَّة : Emêrû ؛ وهو الحيوان النهَّاق عند هيجـانه .

ط الحرارة ، اذا اشتدَّت ، حمَّـرت لونَ الشيء . من ذلك ، في العربية : « حَمُر ، واحمرَّ » : صار أحمر ؛ وفي العبريّـة : Ḥâmar ؛ حَمُر ؛ وفي الحبشية : Ḥamara : احمرَّ .

وانت ترى اننا بفضل « الثنائية والألسُنيَّة الساميَّة »، توصلنا الى التوفيق بين هذه المعاني الظاهر فيها الاختلاف والتضارب ؛ مما لا يمكن البلوغ اليه ، اذا دُرِست في الأصل الثلاثي فقط ؛ أو اذا أُجتزيء باعتبارهـا في كل لغة على انفراد .

سَرَج ، شَرَج

العربية

سَرَج : المرأةُ شعرَها : ضَفَرته .
سَرِج : الرجلُ : كَذِب ، و— الرجلُ : حسُن وجهه .
سرّج : حسَّن ، نوّر ، اختلق الحديث .
أَسرَج : وضع الرَحلَ على الدابَّة ، و— المِصباحَ : أوقَده .
السَرْج : رَحلُ الدابّة .
السِراج : المِصباح .

شَرَج : كَذِب ، و— مزَج الشرابَ بالمآء ، و— الخريطةَ : داخَلَ بين أشراجها وشدَّها ، و— أشرك فلاناً في الأمر ، و— جمع الشيءَ ، وجمع اللبِنَ بعضَه الى بعض .
شرَّج : مثل شرَج ، و— خاط الثوبَ خِياطةً متباعدة .

العبرية

Sârag : ضَفَر ، شَبَك ، حاك ، خلَط ، مزَج .
Sârig : شَريجه ، احتباك .

السريانية

Srag : سرَج ، ضفَر ، شبَك ، عقَص ، نَسَج ، حـاك ، شَرحَ ، أَلَّف ، نظَّم ، أسرَج الفرس .
Sarrèg : تسلَّح .

Srigṯâ : شريجة ، جوالِق من خوص ، حصيرة ، بارِيَة ، شبكَة ، أحبُولة .

Sargâ : سَرْجٌ .

Śrag : شرَق ، ضاءَ ، زَهَر ، حسُن ، جهَر ، بهَر ، عمي .

Śarrèg : سرَّج ، أضاءَ ، أبهَر ، أعمى .

Śrâgâ : سِراج ، نُور ، الشمس .

الحبشية

Mâśâgârêt : شَبَــكَة .

هذه هي الثلاثيات ؛ والاختلاف والتباعد بين معانيها بيِّن . فلِحلِّ هذا ، لنردَّ الثلاثيات الى ثُنائيّاتها ؛ وها هي ذي:

العربية

(سَجْ) سَجَّ : سَلَحَه : ألقاه رقيقاً ؛ سَجَّ الطائرُ: حذف بذَرقه ؛ ألقى النعام ما في بَطنه ؛ سَجَّ الحائطَ : طيَّنه .

(شَجْ) شَجَّ : مزج الشرابَ بالمآء ؛ جَرَح الراس والوجه ؛ شقَّت السفينةُ البحرَ ؛ وقطع السائحُ المفازة .

شاجَّ القومُ : شجَّ بعضُهم بعضاً .

العبرية

Śâgag : أخطأ ، غلط بدون تعمّد.

السريانية

Sâgâ . حَشوٌ من صوف ، او نحوه .

Šag : دَعَك ، خَضْخَض ، فَرَك ، داف الدَوآء بمـادّة سائلة ، طَلى ، سَحَق ، كَسَر .

Šâgi : أَشجَى ، أَغصّ .

تفسير وتعليل

ان المعنى الأَصلي البسيط المحتوي في الثُنـائي ، والذي منه اشتقت بقية المدلولات متطوّرةً في مختلف اللغات الاخوات ، هو معنى السَيل ، والدخول ، والتخلّل .

ا فذاك ظاهر في « سَجَّ وشَجَّ » ، في العربية . وكذلك في « Sâgâو Šag » ، في السريانية . أمّا Šâgag العبريّة ، فمعناها : أخطأ دون تعمد ، يدلّ ايضاً على الخلط . لانّ الغلط خلط ، أو إدخال شيء في شيء دون تعمد .

ب أمّا الثلاثيات ، فيمكن التوفيق بين معانيها ، إستناداً الى المعنى الاصلي في الثُنائيات . ففي العربيَّة : « سَرَجت » المرأةُ شَعرَهـا : ضفَرَته ، اي أدخلت بعضه في بعض . و « شَرَج » : مزَج الشرابَ بالمآء ، أشرك فلاناً في الأمر ، جمَع الشيءَ ، جمع اللَبِن ، داخلَ أشراج الخريطَـة . و « شَرَّج » : خاط خياطة متباعدة . وفي كلها معنى الإدخال والشَبك ظاهر . وكذلك في السريانية Srag . وفي العبرية Šârag : ضفَر ، شبَك ، عقَص ، نسَج ، حاك ، خلَط ، مزَج ، ألّف ، نظَّم ، طلى ؛ فكلها تدل على ادخـال شيء في شيء . ومن ذلك ايضاً في السريانية Sarrèg : تسلَّح ، أي حمَل السلاح شاكّاً ، او مُدخِلاً بعضه في بعض . و Srigtâ شريجة ، حصيرة ، جوالق من خوص ، باريَة ، شَبَكة ، أُحبولة . وفي العبريّة Sârig : شريجة ، احتباك . وفي العربيَّة : شريجة . وفي الحبشية Mâśâgârêt شبكة ؛ فهي كذلك تعني الاشتباك والتداخل .

ت ان ادخال الشيء في الشيء ياتي من باب المجاز . فمن ذلك ورد في العربية لكلمة « سَرج » : معنى الكذِب ؛ لانه ادخال الحق في الباطل . ومنه « سرج » : اختلق الاحاديث .

ث ومن كمالات الشيء ان تكون اجزاؤه متداخلةً ، محتبكةً بنظام . فلذلك جآء في العربية معنى « الحُسن » لكلمة « سرج » . ومنه المزيد « سَرَّج » : حسَّن ونوَّر .

ج « السَرْج » ، بمعنى الرَّحل ، آتٍ من تركيبه . فانه يُصنَع عادةً من القطن ، او الصوف ، او غير ذلك ؛ مما يستلزم حشوه ، اي تداخل موادّه بعضها في بعض . وكذلك السريانية Sargâ . ومن ذلك فعلُ « أسرَجَ » في العربية . وفعل Srag في السريانية ، بمعنى : أعدَّ السَرج ، أو الرحل على الدابَّة ، لركوبها .

ح ان الشيء ، اذا كان متقنَ الصِنعة ، حَسَنَ التركيب ، كانَ جميلاً ؛ والجمال ينشيء البهآءَ والضيآء . لذلك جآء في العربية « سِراج » بمعنى : المِصباح ؛ وفعل « أَسرج » بمعنى : أوقَد المِصباح . وكذا في السريانية كلمة Šrâgâ : سِراج ، نُور ، شمس . ومنه فعل Šrag : شرَق ، ضآء ، زهر ، حسُن . وفعل Šarrèg المزيد بمعنى : سرَّج ، أضآء .

خ واذ كان ، بعضَ الاحيان ، يسطع النورُ بزيادة وشدَّة — مما ينجم عنه مضرَّة للنظر — جآء Šrag ، في السريانية ، بمعنى : بُهِر ، عَمِيَ ؛ والمزيد Šarrèg دلَّ على : أَبهر ، أعمى .

حَلَق ، خَلَق

العربية

حَلَق : الرأسَ : ازال عنه الشَعَر ، اي قطَعَه ، و— قدَّر الشيءَ ، اي قطعه عن غيره بالتمييز ، و— المَعزى: اذا أخذ،او قطع شعَرَها ، و— القومُ بعضُهم بعضاً ، اي قتَل او قطَـع ، و— السنةُ : استأصلَت ، اي قطعَت كلَّ شيء ، و— الشيءَ : قشَرَه ، اي قطعَه ، و— على اسمِ فلانٍ : أبطَل ، اي قطع رزقه ، و— ضَرَبَـه على حَلقِه ، اي قطعَه ، و— الضِرعُ حلوقاً : ذهب ، اي انقطع .

حَلِق : شكا حلقَه .

الحَلق : محلّ الذبح ، اي القطع .

خَلَق : الأديمَ : قوّمه قبل ان يقطعه . و— أبدع شيئاً على غير مثال سبقه . و— افترى الافـك . و— صنَع الـكلام ، او غيره . و— سوّى العود ، و— ليَّن الشيءَ .

خَلُق : الثوبُ : بلي .

خلِق : إملاسٌ .

خَلُق : صار له خُلُقٌ حَسَن . وخَلُق الشيءُ لفـلانٍ : كان خليقاً له ، ولاق به .

الخالِق : صانع الأديم .

الخَلاَق : النصيب .

العبرية

Ḫâlaq : قسَم ، وزّع ، حصّص ، جدّد ، حكَم ، أعلَن ، ليّن ، أَصلَع ، سوّى ، عدّل ، اختلَق ، أعطى ، قلِق ، عَرِي ، خَلُق .

Ḫêlèq : قطعة ، حصّة ؛ (في إرمية الكتاب) Ḫelqâ : قطعة ارض ، حَقل . Ḫêlag : حقل ، Ḫulgâ : حصّة .

السريانية

Ḥlaq : قسَم ، خلَق ، وزّع ، أَعطى ، قدَّر ، قضى ، حلَق .

Ḥelqâ : خَلاق ، نصيب ، قدْر .

Ḥalqâ : حقير ، ضعيف .

〃 : قطعة .

〃 : (مقلوب Ḥaqlâ) حقل ، مزرعة ، صحرآء .

الحبشية

Ḫalaqa : عدَّ ، اي فصل الشيء ، او قطعه عن غيره .

Ḫaleq : عَدَد ، تعداد .

الاكدية

Eqlu : (ح : حقلو) حقل ، ملك ، عقار .

بعد سرد هذه الثلاثيات ، لنأتِ بثُنائيّاتها .

العربية

(حَقْ) حَقَّ : الأمرُ : صار حقاً ، ثبُت ، وجَب .

(حَقْ) حَقَّ : الأَمرَ: أَثبتَه ، صدَّقه ، أَوجَبه .
" : ركِبَ حاقَّ الطريق ، اي وسَطه .
" : زيداً : ضربَه في حاقِّ رأسه ، أو وسطه .
الحقّ : الموجود ، الأَمر المقضيّ ، اي المقطوع ، العَدل ، المتساوي ، اي المقطوع ، وسط الرأس .

(خَقْ) خقَّ : السَيلُ في الأرض : حفَر فيها حَفراً عميقاً .
الخَقّ : الشَقّ في الارض (وفي كل هذا معنى القطع) .

العبرية

Ḥâqaq (Ḥaq) : قطَعَ ، قطّع ، حَفر ، نَقَر ، طبَع ، كَتَب ، رسَم ، أَسّس ، أثبَت ، أمَر ، أوصى ، وضَع ، حلّ المُشكِل ، حتَم ، حدَّ ، قضى ، اشترع .

Ḥôq : شريعة ، وصيَّة ، قـاعِدة ، دُستور ، حدّ ، عادَة ، عَمَل ، واجِب ، نَمَط ، حقّ ، أَمرٌ ، تنظيم .

السريانية

Ḥâqâ : حَقّ .

الحبشية

Ḥêq : (صفة) مُعتدِل ، متهاوِد ، كافٍ .

* * *

تفسير وتعليل

المعنى الاساسي ، كما ظهر ، هو في الثنائيات ، معنى القطع ؛ وذلك ثابت في كل تطوّرات هذا اللفظ وتقلّبات مدلولاته .

ا وظهور مدلول القطع هذا جليّ في العبريّة في كلمة Ḥâqaq . (الاصل Ḥaq) ؛ فان اوّل معانيها : « قَطَعَ » ؛ وهو باقٍ في بقية تلك الدلالات . في المغازي الحقيقية المحتوية في : حفَر ، نقَر ، طبَع ، رسم ، كتب ؛ فانها كلها تستلزم القطع . ومنها المعاني المجازية وهي : أثبت ، حتَم ، قضى الخ . وكذا الحال في اسمها Ḥôq ، حقيقةً ومجازاً .

أما العربيَّة ، ففي الاصل الذي فاؤه خآء ، وهو « خَقْ » ، يظهر مدلول القطع كل الظهور . أما الاصل الذي فاؤه حآء ، فليس يظهر فيه القطع ، لاول وهلة ؛ فانه بمعنى: ثَبُت ووَجب ، اي صار حقاً . ولا يمكن تأكيد القطع فيه الا من فحاويه الأخرى ، مثل : حقَّ : ركِبَ حاقَّ الطريق اي وسَطه ؛ وهو أمر يتطلّب القطع . ثم من « الحقّ » : الأمر المَقضِيّ ، اي المقطوع .

ب اذن الأمر جليّ في الثُنائي ، وهو ان المعنى الأوَّلي فيه : القطع . واستناداً الى هذا ، يمكننا التوفيق بين معاني الثلاثيات في هذه اللغات . في العربية : « حَلَق ، في كل معانيه ، يدل بوضوح على القطع . أمَّا « خَلَقَ » فمدلوله الاول القطع . أمَّا المدلول الثاني اي : أبدَع الشيء على غير مثال سابق ، فماخوذ من المعنى الاول المادي ، اي القطع . فان الابداع هو كالصُنع ، لكن من لا شيء . والصُنع ، ماديًّا ، يتوقف على القطع ، مثل النجارة ، والحدادة ، وعمل التماثيل ؛ فكل هذا يتطلّب قطع المادَّة بعضها من بعض ، لاخراج الجزء الصالح للشيء المصنوع . ثم من هــذا معنى الصُنع أُشتُق المعنى التابع ، وهو افترآء الافك . و « خَلَقَ » ، بمعنى : ليَّن وسوَّى ، يفترض ايضاً القطـع . أمَّا « خَلِقَ » الدال على « البِلى » ، فيحتوي ايضاً على مدلول القطع . لان الثوب البالي ، أو الخَلَق ، هو المتقطِّع . أما « خَلُق » بمعنى : حسُنَ بذاته ، فهو صادر من الخَلْق . لان الشيء الموجود حسب متطلّبات كيانه هو الجميل . والانسان

الحَسَن التركيب ، ليس مادياً فقط ، بل أدبياً ، هو الحسَن الخُلُق ؛ ومن ذلك « خَلُق » الدال على اللياقة . و « الخالِق » هو صانع الأديم ، اي قاطع الجلد . وهذا يُثبت انَّ « خَلَق » يدل في الاصل على « القطع » .

ت وعلى هـذا النمط ، جآء معنى Ḥâlaq العبري و Ḥlaq السرياني ، اي للدلالة على القطع ، حقيقةً ومجازاً . فحَسَبَ المعنى الوضعي ، كان مدلول Ḥâlaq قَسَمَ ، وزَّع ، حصَّص ، صَقَل ، أَصلَع ، حدَّد ، سوَّى ، عدَّل ، خَلَق ؛ وبمعناه المجازي ، دلَّ على : اختلق ، حكَمَ ، أَعلَن . كذلك السرياني Ḥlaq معناه الوضعي : قسَّم ، وزَّع ، خلَق ، حلَق ؛ ومعناه المجازي : أَعطى ، قدَّر ، قضى .

ث ومن ذلك في العربية : الخَلاَق ؛ وفي السريانية : Ḥelqâ ؛ وفي الارمية الكتابيَّة Ḥulqâ : النصيب ، والقَدر ، والقسمة . ومنه ايضاً في العبريَّـة : Ḥêlèq حصَّة ، قطعة أرض . والاكَّدي êqlu (حَقلُو) : حقل ، عقار ، مُلك .

ج واذ كان المقسَّم الى اجزآء مآله الضعف وحاله الحقارة ، جآء Ḥalqâ السرياني بمعنى : الضعيف والحقير .

ح وبما ان العدَّ لا يتمّ الاّ بالتقسيم ، جآء في الحبشية وحدها هذا الاصل دالاًّ على العَدِّ . من ذلك Ḥalaqa عدَّ ، و Ḥaleq : عَدَد ، تعداد .



حَبَل ، خَبَل

العربية

حبَل : شدَّ بالحبل ، و— فلاناً : شغفَت قلبَه ، و— صادَ بالحبالة

حبِلت : المرأةُ : حملت . و— من الشرابِ والمآء : امتلأ بطنه وانتفخ .
وحبلت العين القذى : لزمته ولم ترم به .

حبَّل : الزرعَ : قذف بعضَه على بعض .

الحَبْل : الرباط ، الوصال .

خَبَل : حبَس ، منَع عن كذا ، أفسد عقله ، افسَد العُضو .

خَبِل : فسُد ، جُنَّ (اي منع عقله) .

العبرية

Ḥâbal : حبِل ، فسُد ، أَخرب ، ربط .

Ḥâbûlâ : جُرْح ، جُرم .

السريانية

Ḥbal : حبَل ، شدَّ بالحبل ، تضمَّن ، لَقَح ، مَخَض ، ولَد .

Ḥabbèl : شدَّ بالحَبل ، خبَل ، أَفسَد ، أتلف ، افترس ، حرَّف ، أَسآءَ ، آذى .

هذه هي أهمُّ معاني الثلاثيات ؛ وظاهرٌ ما فيها من الاختلاف . لكنَّا نلجأ الى الثُنائيَّة ، لكشف المعمَّى :

١ ان الثنائي الحاوي الفحوى الأصلي لهذه الالفاظ ، تعيننا على وجوده

السريانيَّة ؛ اذ فيها الثنائي « Ḥab » ؛ وهذه مدلولاته : ضمَّ ، عانق ، احتضن ، لثم ، أرخم ، أحبَّ . وكلها تدل على ضمِّ الشيءِ الى الشيء .

ب من هنا ينتج ان « حبَّ او أحبَّ » و Ḥâbab في العبرية ، الدالَّين على المحبَّة ، انما دلالتها الاصلية هي الضم الذي من مظاهره المعانقة ، اي ضم الواحد الى الآخر .

ت والأصل الثُنائيّ العربي الذي فاؤه خآء يأتي بمعنى الخَفآء والنزول . ومقابله في ذلك Ḥâbâh العِبري ، وḤaba الحبشي . وكلها متضمِّنة معنى ضمّ شيء الى شيء بوِصال لا يُرَى .

ث « حبَل » العربي ، و Ḥâbal العبري ، و Ḥbal السرياني تدل كلها على الضم ايضاً . حبَل : شدَّ الحَبْل ، بِرَمْ خيوطه وفَتلها ، أو بالشدّ به ، وهو أيضاً الربط . ومثله Ḥablâ السرياني ، وهو الحَبْل ؛ و Ḥbal السرياني بمعنى « لَقح » (اي ألقىَ اللقاح في الجُفّ) ، وهو ضمّ . والحَبَل في العربية هو ضَمّ عنصرين . و « حَبِل » العربي معنـاه : امتلأت البطن وانتفخت ، اي بتجمُّع المآء او غيره فيها .

ج على ان « حَبَل » . و Ḥbal و Ḥâbal تدل على الفساد . وهذا لا يتم الا بتلاصق الموادّ ، او الاعضآء ، تلاصقاً فاحشاً ، ينشأ عنه الجروح : وهذا هو الفساد المـادي ؛ ومنه جآء لفظ Ḥâbûlâ ، اي الجُرح ، في العبرية . ومن باب المجاز دَلّ « خَبَل » على فساد العقل ، اي الجنون . وورد Ḥâbal في العبرية و Ḥbal في السريانية بمعنى الاتلاف ، والافتراس ، والخراب . ومن هذا الخراب ، صدرت نتيجته الأدبية ، أي الجُرم ، وهو Ḥâbûlâ في العبرية .

ح ومدلول Ḥabbêl المجازيّ ، في السريانيـة ، التحريف ، والاساءة ، والاذى . واذ دلّ Ḥbal السرياني على الحَمَل ، جآء ، من باب التوسّع ، بمعنى الطَلق ، والولادة .

لَأَمَ

العربية

لَأَم : الجرحَ : شدّه وجمعه و— أصلح .
لَؤُم : كان دنيّ الاصل ، شحيح النفس ، بَخُلَ .

السريانية

L'èm : إلتأم ، اجتمع ، التحم ، التصق .
Al'èm : ألأم ، جمَع ، قَرَن .

العبرية

L'ôm : القوم ، الشعب ، الرُعاع ، اللِئام .

معاني هذه الثلاثيات تظهر متلائمة في اللغات الاخوات ، الا في العربية ؛ فان بين « لأم » جمَع ، شدّ ، و « لَؤُم » بخل ، كان دنيّ الأصل ، شحيحَ النَفس ، لفرقاً بيّناً . لكن هذا الفرق يزول ، اذا ردَدنا الثلاثي الى ثنائي وهو :

العربية

(لَمْ) لَمَّ : جمَع ، ضَمَّ ، قارب بين شَتِيت أموره .
أَلَمّ : الجَمع .

السريانية

Lam : لَمّ ، التقط ، تكلّم ، لفَظ ، دنا ، اقترَب ، أحاط .

Lâm : لأَم ، جمع ، حوى ، أَخذ ، قرُب ، انتهز الفرصة .

فهذا الثنائي الاصلي يدل بنوع عامّ على الجمع واللمّ ، وضعاً ومجازاً . وفي السريانية عينها يهون ادراك « تكلّم ، لفظ » ؛ لان التكلم يتطلب تارةً ضمّ الشفتين ، وتارةً ابعادهما . بقي الفرق الفاحش بين الفعلين العربيَّين « لأَم » : شدَّ الجرح ، وأصلح ؛ و « لؤم » : كان بخيلاً ، دنيْ الأصل ، شحيح النفس . فهذا المغلق يفكّه الثنائي الدال على اللمّ والجمع . فان أَول ما يدل عليه « لؤم » هو البخل المتوقف على جمع الدراهم . وبما ان البخيل ، لجمعه وحرصه على المال حرصاً مفرطاً ، يضحي شحيح النفس ، ومن ثمَّ دنيئاً ، جآء « لؤم » بهذين المعنيين . وهكذا ترى الثنائيَّة والألسنيَّة تحلان المشكلات .

كَلَم

« كَلَم » معناه : جَرَح . وأَمَّا المزيد : « كلَّم » فمدلوله : جرَّح ، وحدَّث . وهنا الغرابة . فاين معنى « جرَّح » من معنى « حدَّث » ؟ على ان هذه الغرابة تزول ، اذا عارضنا اللفظ العربي بما يقابله في العبريّة ، ودونكه في هذه اللفظة .

Kâlam : خجل ، خزي ، حُقِر .

Haklèm : (مزيده) أَخزى ، أَحزن ، أقلَق ، حقَّر ، أهان ، شَتَمَ .

فهذا الثلاثي العربي « كَلَم » يجدر ان يكون قد صدَر عن الثنائي « كَلّ » : تعب ؛ الجائز ان يكون مقلوباً عن « لكّ » ، الدالّ على الضرب بالجُمع على القفا . ومن معنى التَعَب او الضَرب ، انتقل ، في الثلاثي ، الى معنى الجَرح ،

في العربية . وهـذا المدلول الوضعي لم يرد في العبرية ، بل جآء فيها المعنى المجازي ، وهو الضَرب او الجَرح الادبي باللسان ، اي بالاهـانة والتحقير . وهذه الدلالة المجازية ليست في العربيَّة ؛ لكن جآء فيها ، لهذا اللفظ ، المعنى المُطلَق ، اي التكلّم ، او الحديث ، والتحدّث الذي نوع من أنواعه التكلم الرديء ، وهو التحقير ، والمسبأت ، الجارية عادةً بطريق الكلام . وهكذا ترى انّ « الثنائية و الأَلسُنيَّة الساميَّة » تبيّنان الموافقة الاصليَّة بين « كلَّم » بمعنى : جرّح ، و « كلّم » بمعنى : حدّث .

شَكَلَ

يقابل هذا اللفظَ المبتدىءَ بالشين في العربية كلتا Sâkal العبرية ، و Skal السريانية ، اللتان فاؤهما حرف السين . أمَا الاكّديَّة ، فقد وردت فيها هذه اللفظة بالسين والشين .

دونك المعاني المختلفة ، او المتبـاعدة ، لا بل المتضادّة الواردة في هذه لغاتنا الساميَّة .

١ً معاني الالتباس ، والتلوّن ، والوُضوح ، والشَدّ بالشِكال .

٢ً معاني الفهم ، والمعرفة ، والملاحظة ، والذكآء ، والنجاح .

٣ً معاني الجَـهل ، والبَلاهة ، والخطأ ، والظُلم ، والـكفر .

على ان هذا التضارب ، او التباعد ، او التضادّ يزول بفضل « الثنائية والألسنية » .

لنردّ « شَكَلَ » الى الثنائي « شَكْ » الدال على الولوج ، او التداخل ،

او الخَرق، يسهل علينا تنسيق معاني الثلاثي التي من باب العلم، او الالتباس وما اشبه. لان في كل واحد منها خاصّيَّة الولوج او الخَرق.

الاصول الثنائية

العربية

شَكَّ (شَكْ) : فلاناً بالرُمح : شَقَّه ونظَمه وخرَقه الى العظم .
شكَّ : في السلاح : دخلَ فيه ولبسه تماماً .
شكَّ : الخيَّاطُ الثوبَ : باعَد بين الغرزتين .
شكَّ : في الأَمرِ : ارتاب .

السريانية

Skak : شَكَّ ، رَزَّ .
Sakkak : شَكَّ ، رَزَّ ، غَرَز ، سَمَّر .
Sekta : سِكَّة الفدَّان .

العبرية

Sâkak : شَكَّ ، ضَفَر ، سَتر ، أَخفى .

الحبشية

Šêkê : شَوكَة .

الاكدية

Šakâku : خَرَقَ ، رصَّع ، تزَّل .
Šikkâtu : مِسمار ، مِهماز .

وانت ترى ان كل لفظ من هذه الالفاظ يحوي معنى الولوج، او التداخل، او الخرق.

الالفاظ الثلاثية

من هذه الاصول الثنائيَّة جآءَت المُشتقات الثلاثية، وهي « شكل » في العربية، و Skal، في السريانية، و Sâkal في العبرية، و Siklu او Šiklu، في الاكَّديَّة. وفي جميعها جرت الزيادة بحرف اللام، بطريق التذييل.

واذ كان الثلاثي مشتقاً من الثُنائي، وجب ان تكون مناسبة منطقيَّة، أو شبه المَنطقيَّة، بين معانيها. وترى ذلك في ما يلي:

العربية

شَكَلَ (شَكْ): الأَمرُ: التبس، اي تداخل بعضه في بعض، فلم يعد ممكناً معرفة حاله الحقيقيَّة.

〃 〃 : العِنبُ: أَخذ ينضج، اي ان لونه بدأ يتغيّر، فتداخل فيه لون السواد في لون البياض.

〃 〃 : المرأةُ: كانت ذات شكل، اي غنج ودلال. والشَكلْ هو الصورة، او الهيئة، المركَّبة من أجزاء الشيء المتداخلة بعضها في بعض.

شَكِلَ 〃 : الكبشُ، او الشيء: كان أَشكَل، اي داخلٌ في بياضه، او سواده، حُمرَة.

شَكَلَ 〃 : الكتابَ: وضعَ على حروفه الحركات؛ فازال إِشكاله، او التِباسه، الناجم عن نقصان الحركات.

〃 〃 : الدابَّةَ: شَدَّ قوائمها بالشِكال، وهو الحَبْل الذي بفتله تتداخل خيوطُه بعضها في بعض.

شَكَّل (شَكْ) : الأمرُ والعنبُ : بمعنى شَكَل .
 〃 〃 : الدابَّةَ : بمعنى شكلها .
 〃 〃 : الشيءَ : صوَّره ، اي ركَّب أجزاءه ، بادخال بعضها في بعض .
 〃 〃 : المرأةُ شعرَها : ضَفَرت خصلتين من مُقدَّم رأسها عن اليمين والشمال ، أعني جعلته بشَكْل خاصّ بادخال بعضه في بعض ، ممّا يدلّ عليه فعل : ضفَر .
أَشكَل 〃 : الأمرُ : التبس ، مثل شكل .
 〃 〃 : العينُ : كانت شكلاَء ، اي داخل في بياضها حمرة .
 〃 〃 : المريضُ : تماثل ، اي رجع عليه شكله الاول ، الذي كان قد تغيَّر بالمرض .
 〃 〃 : الكتابَ : أزال عنه الإشكال ، او الإلتِباس ، بوضع الحركات .
 〃 〃 : النخلُ : طاب رطبه وأدرك ، اي صار ذا لونٍ اسود ، بتداخل السواد في بياضه .
شاكَلَه 〃 : ماثله ، اي داخل شكله في شكله ، او صورته في صورته .
تَشكَّل 〃 : المرأةُ : تدلَّلت ، اي داخلت في شكلها أشكالاً بالتغنج .
إستَشكَل 〃 : الأمرُ : التبس ، اي تداخلت احواله بعضها في بعض .
الشاكِلَة 〃 : الصورة ، اي الشكل .
الأَشكُلَة 〃 : الإلتباس ، و — الحاجة التي تقيّد الانسان .
المُشكِل 〃 : الداخلُ في أَشكاله ، اي في أشباهه وأمثاله .
المَشكُول 〃 : المقيَّد بالشِكال .

السريانية

Skal : فهم ، علم ، فطن ، اي ولج بعقله في داخل الاشيآء .

Sakkèl : فهّم ، عرّف ، اي جعل غيره يلج في اعماق الامور .

Estakkal : فهم ، عرف ، تمعّن ، تأمّل ، لاحظ . (وفي كلها معنى الولوج بالعقل) .

Sâkultânâ : نَبيه ، حكيم ، اي غائر في اعماق الحقيقة .

Msaklânâ : معلّم ، مُفتٍ .

Mestaklânâ : مفهوم ، عقلي ، مَنوي ، فَهِم ، حكيم .

Sûkâlâ : عَقل ، فَهْم ، معنًى ، قَصد ، رَأي ، حُكم ، شريعة .

وظاهر للعيان ان الثلاثي ومشتقاته صادرة من الثنائي Sak . وفي كلها تجد دلالته اي الدخول ، او الغور بالعقل في كنه الاشيآء .

العبرية

Sâkal : فهم ، فطن ، اي غاص بعقله في غور الامور .

Sâkal : نجح ، وهو من نتيجة العقل الخارق كبد الأشيآء .

Haskil : فهم ، لاحظ ، فطن ، نجح .

Sakkèl : أَفهم ، تعمّد .

* * *

على ان معترضاً يقول : حلَلْت المُشكل من ناحية ، لكن لا قِبَلَ لك ان تفكّه من الناحية المقابلة . اذ ان Skal السرياني و Sâkal العبري لا تقتصر دلالتهما على الفهم والعلم وما كان من هذا القبيل ، بل ان فيهما معاني مضادة للاولى وهي : جَهِل ، حُمق ، بَلَه ، أَخطأ ، ظَلَم ، وما أشبه .

جوابنا ان فكّ هذا المغلق هيّن . اذ نقول للمعترض ان الفعل المذكور — من حيث معانيه الاخيرة — ليس في الأصل Skal و Sâkal ؛ بل الفعل الذي

قُلِب هو عنه . اي Ksal و Kâsal : كَسِل . واذا عرف هذا ، زدناه علماً ان هذا الثلاثي آتٍ من الثنائي وهو « كَشْ أو كَسْ » الظاهر في لغاتنا كما يلي :

العبرية : Kâsâ : امتلأ ، شَبِع ، سَمِن ، شَحُم .

السريانية : Ksâ : ضَخُم ، ثَخُن ، كوَّم .

العربية : كَشَأ ، او كَشِيءَ : امتلأ من الطعام .

الاكَّدية : Kissatum : غذآء ، طعام .

ومن هذا الثنائي أُشتُق — بزيادة اللام — Ksal و Kâsal و كَسِل . ففي العبريّة يدلّ الحرف على السِمَن والبَدانة . ومن ذلك نشأ معنيان آخَران : الاوّل معنى القوّة والنشاط ؛ وهو من خواصّ الرجل صاحب العَضَلات المتينة . ومنه جآء معنى الاتّكال والإعتماد ؛ لان القوي البدن يعتمد على قدرته . لكن البدانة او الضخامة تكون بعض الاحيان علامة الضعف في القُوى ؛ ومن ثَمَّ تدل على قلّة الذكاء . فجآء من ذلك معنى الكَسَل ، والحماقة ، والبلاهة . واذ قلب الفعل Kâsal الى Sâkal ، نُقِلت اليه هـذه المعاني التي ليست أصليّة فيه .

العبرية

Sâkal : (Kâsâ > Kâsal >) : حمُق .

Hiskil : حمُق ، جهِل ، بَلَه .

Hiskil : خطِيء ، ظَلَم ، كَفَر .

Sakkèl : جهَّل ، أَبطل ، قلَب ، أَتلَف .

Sâkôl : جاهل ، غبيّ ، مجنون .

Sêkêl : جَهالة ، حَماقة ، قلّة فِطنَة ، جُنون .

السريانية

Skal : (Kśâ > Ksal >) : جهل ، حمق ، بله .

Sakkèl : حمّق ، استجهل .

Askèl : جهل ، حمق ، غلِط ، أذنب ؛ ظلَم .

Skêl : جاهل ، أحمق .

Saklûṯâ : حماقة ، ذنب .

Maseklânâ : مُذنِب ، مُتَعَدٍّ .

الاكدية

Saklu : أحمق .

اذن الثلاثي : « شكل » العربي ، و Skal السرياني ، و Sâkal العبري ، و Šiklu الاكّدي ، يُتوصَّل الى تنسيق معانيه المتضاربة — كما امكنًا ذلك — بردِّه الى أصله الثُنائي ، وهو « شكّ » العربي ، و Skak السرياني ، و Sâkak العبري ، و Šakâku الاكّدي .

وللبلوغ الى منطِقيَّة القبيل الآخر من مدلولاته — الظاهر فيها التضادّ — وجب ارجاعه الى الأصل الذي قُلِب عنه ، وهو Ksal و Kâsal و كَسِل ، الآتي هو ذاته من الثُنائي Kas أو Kaś ، الحاوي معنى الإمتلآء او السِمَن او البَدانة ؛ مما ينشأ عنه إمّا القوة وإِما الضُعف . ومن هذا جآء معنى الحماقة ، والظُلم ، وما جرى هذا المجرى .

وهكذا ترى انه ، بفضل « الثنائيَّة والالسنيَّة » نكتشف على ائتلاف منطقي في المعاني ، حيث يظهر ، لأوَّل وهلة ، التضارب ، او التباعد ، لا بل التضادّ .

سَبَرَ

نبدأ بسَرد المعاني المختلفة ، لا بل المتضادة منها ، لهذا اللفظ ، في اللغات الثلاث ، الوارد فيها بنوع خاصّ ، وهي العربية ، والعبرية ، والسريانية .

العربية

سَبَرَ : الجرحَ : امتحن غوره .
〃 : الشيءَ : اختبره .
〃 : القومَ : تأمل واحداً بعد واحد ، ليعرف عددهم .
المِسبار : المِيلُ الذي يُسبَر به الجرح .
المِسبَرة : المِخبَرة .

العبرية

Sâbar : نظر ، فحص ، فتّش .
Sâbar : انتظر ، رجا .

السريانية

Sbar : فكّر ، ارتأى ، ظنّ ، شكّ .
Sabbar : ظَنّ ، رجا ، اتّكل .
Sabbar : أَخبَرَ ، دَلّ ، بَشَّر ، أنذَر .
Asbar : زَعَم ، شَكّ ، رَجا .
Asbar : أَخبر ، بَشَّر ، رَجّى ، وَعَد .
Saybar : صَبَرَ ، احتمل ، كفّ عن ، عفّ ، قنِع ، وسّع ، أمهل .

Estaybar : اغتذى ، أَكل .
Suybârâ : قُوت ، مؤُونَة .

الغريب في هذا اللفظ اختلاف معانيه وتباعدها ، والأغرب هو التناقض الواقع في المدلولات الآتية :

١ً فكَّر ، شَكَّ ، امتحن ، رَجا .
٢ً صبَر ، كَفَّ عن ، وسَّع ، أَمهل .
٣ً إغتَذى .
٤ً أخبَر ، بَشَّر .

الاَّ ان أملنا وطيد في « الثنائية والالسنيَّة » لهتك هذه المُعَميات المُعجميَّة .

١ً « سبر » (بمعنى فكر ، امتحن الخ)

هذا الثلاثي مشتق من الثنائي « سَبْ » بتذييله بالرآء . وسبٌّ يدل على القَطع والطَعن .

ا اول ما دل عليه هذا الفعل هو « السَبْر » اي طعَن ، أو شق الجرح ، بادخال المِسبار فيه ، لامتحان غوره .

ب ولمَّا كان اتيان السَبر يقتضي النظر في الجُرح ، جآء ، من باب التوسُّع ، في العِبريَّة ، Sâbar بمعنى « نظَر » .

ت عَملُ السَبْر يتطلَّب استطلاع حالة الجُرح في داخله . من ذلك تُوسِّع فيه ، فنشأ عنه في العربيَّة دلالة الاختبار للاشيآء ، والتأمل في احوالها . ووَرَد Sâbar في العبريّة بمدلول : فحص ، فتَّش . وفي السريانية Sbar : فكَّر ، إرتأى . ومن انواع التفكّر : الظَنّ والشَكّ .

ث على ان الفحص ، أو التفتيش ، يفترض الأَمَل . من ذلك Sâbar العبري : انتظر ، رجا . و Sbar السرياني : رجا ، اتَّكل .

٢ً Saybar السرياني (بمعنى صبر ، كف عنه الخ)

من رأينا أن هذا الفعل — من حيث معانيه الخـاصّة — يقابل فعل « صَبَرَ » العربي. وهذا « صبر » ذاته صادر عن الثنائي « صَرْ ». وأخصّ معاني « صَرّ » : الشدّ، والحزم ؛ ممّا يفترض القوّة . وفحوى هذا يظهر بكل جلآء في مزيده « أَصَرَّ » : عَزَمَ على الأمر ، ولزمه ، وثبت عليه .

ا واذ كان تجشّم الأتعاب ، ومقاساة الآلام مما يتطلّب في صاحب هذا العمل القوّة والشدّة ، وكانت هذه متضمّنة في حرف « صر » أُقحم فيه البآء لزيادة معنى القوة بالتجلّد والثبات . وهذه هي خاصة « الصَبر » الفـارقة . اذَنْ Saybar السريانية تقابل « صبر » العربية .

ب من الصَبر يتولد الـكَفّ والإمساك عمّا يميل اليه الانسان باهوائه المنحرفة الواجب عليه قمعها . من ذلك جآء Saybar دالاً على القناعة والتعفّف . ومنه Msayebrânâ : قنوع ، عفيف .

ت من انواع الصبر طول الأنـاة . ولذا دلّ Saybar على التأجيل والامهال .

٣ً Estaybar السرياني (بمعنى أكل ، اغتذى)

Estaybar مشتق من Saybar، وهذا آتٍ من Sbar. وهذا الثلاثي بمعناه المتفرّع في Estaybar نشأ من الثُنائي « bar » الظاهر في العبري: « bârâ » . فالحرف الزائد فيه بطريق التتويج هو السين . وفحوى « bârâ » العبريّ « قَطَعَ » ثم « أكل واغتذى » لأن عمل الأكل قائم في قطع المأكولات بالاسنان . ومن ذلك جآء Estaybar السرياني بمعنى : اغتذى. ومن هذا أيضاً : Suybârâ و Saybârtâ : غذآء ، قوت ، مؤونة .

٤ Sabbar (بمعنى أخبر ، بشر الخ)

هذه المدلولات وما يشبهها ليست بمتضمِّنة في كلمة Sabbar على حالته اللفظيَّة الحاضرة ؛ بل انها عائدة الى الاصل الذي قُلِب عنه وهو Bsar في السريانية ، و Bâsar في العبرية . ودونك كيفية الاشتقاق الجاري في ذا الشأن ..

السريانية

Bsar : استخفَّ ، احتقر ، زَجر .
Bassar : حقَّر ، تجرَّأ ، أَمسَك .
Besrâ : لحمٌ ، بَشرٌ ، جسَد ، إنسان ، شهوة ، قرابة دمويّة .
Besrânûṯâ : التحام الجرح ونحوه .
Bassar : جسَّد ، أَنَّس .
Etbassar : تجسَّد ، تأنَّس .

العبرية

Bâsar : (الثلاثي المجرّد لا استعمال له) .
Bassar : أَخبر ، أعلَن ، بشَّر ، أَنذر .
Bâsôr : لحمٌ ، جسَد ، خليقة ، انسان ، قريب ، مائت ، كل حي ..
Besârah : خبر ، بِشارَة ، بُشارَة ، إعلان .

العربية

بَشَرَ : الأديمَ وغيرَه : قشر بَشرَتَه التي عليها الشعَر .
 " : الشاربَ : أَحفاه حتى تظهرَ البَشَرَة .

بَشَرَ : الجرادُ الارضَ : أكل ما على وجهها.

" : الرجلُ : سُرَّ وابتهج .

" : فلاناً بوجهٍ منبسط حسَن : اذا لقيه به .

بَشَّر : فلاناً بالخبر : أخبره به ففرح .

أَبشَر : أبشر الأديمَ : قشَر بَشَرَته .

" : الارضُ : اذا أخرجَت بَشَرَتها ، اي ما ظهر من نباتها .

" : فلاناً : بَشَّره .

استبشر به : بمعنى أبشر .

البَشَر : الخلق ، الانسان .

البِشر : الطَلاقة .

البَشَرَة : ظاهِرُ جلد جسَد الانسان .

" : جلدَة وجه الرَّجل .

" : السَحْنآء ، او الهيئة .

" : مِن الارض ، ما ظهرَ من نباتِها .

ان المطالع ليذهل ، بكل حقّ ، لا بل ينفر من هذا التضارب بين المعاني ، ويتساءل عن كيفية خروجنا من هذا المأزق ، وعن طريقة التوفيق بين هذه المدلولات ، وتنسيقها تنسيقاً لا يأباه العقل ، بل يرتاح اليه . مهلاً ، ايها اللبيب ، اتّبِعْنا بصَبر وجلَد ، تَرَ ما يعجبُك ويُقنعك ، بفضل « الثنائية والألسنيَّة » .

نأخذ ، بادىء بدء ، الحرف السرياني bsar ، فنجده يدلّ على خلاف ما نتوقَّع ، اي ان معناه : احتقر ، اقتحم . فاين هذا من دلالة الإخبار والتَبشير ؟ ثم بعد هذا نقع على كلمة besrâ ، واذا بها تعني : اللحم ، والجسد ، والشَهوة ،

والقرابة . فعندها يزيد مبلغ عجبك ، فتقول : واين كل هذا من معنى الخبر والبشارة ؟ فنجيبك ان الفعل والاسم ليسا من أصل ثنائي واحد. فان bsar لا علاقة له ببحثنا ، لان اصله bsâ ومعناه : بسأ ، اي تهاوَن بالشيء واحتقره. وهذا bsâ آتٍ من الثنائي « بَسْ » وهي كلمة زجر للابل . اذ يقال لها : « بسْ بسْ » وهو الذي ترى أثره في أحد مدلولات bsar اي « زَجر » . ومن الزَجر ينجم التحقير والتهجُّم .

أمّا الاسم besra فهو راجع الى ما نحن في صدَده . لكنه ليس له فعل في السريانية يصدر عنه ؛ بل هو عينه قـد أضحى مصدراً لفعل Bassar : « جسَّد ، أنَّس » . كذلك في العبريّة ، فان فعل Bassar ليس له ثلاثي مجرّد ، وليست دلالته هي الدلالة الاصليَّة لهذه المادّة . وهـذا القول ينطبق على الحبشية ؛ اذ ليس فيها سوى أحد المعاني المتفرعة ، وهو معنى كلمة Basara : « أخبر خبراً مُبهجاً » .

أما السرّ في كشف هذا المعنّى فلا نجدنّه الاّ في « العربيَّة » فهي صاحبة الفضل كل الفضل . فلنواصلنّ اذَنْ التقصي ، دون مَلَل . وبالواقع اننا نجد « بَشَرَ » ، ومنه « البَشَرَة » ، والبِشارة » . لكن هذا لا يفي بالمرام . فلنعمدنّ الى وسيلتنا الفعّالة وهي « الثنائية » ؛ ولنردّنّ هذا الحرف الى ثنائي ، نلفِ أمامنا « بَشْ » ومعناه الخاص : انطلاق الوجه . ومن ميزات حرف الشين الداخل في تركيب هذه الكلمة الاشارة الى الامتداد ، والانبساط ، والانتشار . والى هذا الثنائي اضيفت ، « الرآء » تذييلاً ، فحصل من ذلك « بَشَرَ » .

على ان الوجه له خاصّة أُخرى مضادّة للانطلاق ، وهي الانقباض ، اي تقلُّص جلدته . وهذه الطبيعة ليست في الوَجه وحده ، بل في الجسم كله ؛ اعني في جميع عضلاته المتكوّن منها اللحم ؛ واللحم مادّة مرنة ؛ ومرونتها

قائمة في الامتداد تارةً ، والتقلّص أُخرى ؛ اي في الانطلاق والانقباض . وهذا احد الدواعي التي من أجلها أُطلِق على اللحم ، في السريانية ، اسم besrâ ، وفي العبرية bâsôr ، وفي العربيَّة ، سمّي الجلد « بَشَرةً » من باب تسمية الجزء باسم الكل .

ب واذ كان اللحم القسمَ المهمَّ في جسد الانسان ، تُوسِع في دلالته . فجآء besrâ ، في السريانيَّة ، بمعنى : جسَد ، بَشَر ، انسان . وفي العبرية bâsôr : جسد ، خليقة ، انسان ، مائت ، كل حي . وفي العربية : الناس ، البشر ، الخلق ، الانسان .

ت واذ كانت الاهوآء الحسيَّة عـاملة في الجسد ، دُعِيت الشهوات في السريانية besrâ .

ث ولمَّا كانت القرابة بالدم ، والدمُ في اللحم ، اطلقت كلمة besrâ على القرابة الدمويّة .

ج والبَشَرَة تعني في العربيَّة « الأَدِيمَ » . فلذا صِيغ الفعل « بَشَر » بمعنى : قشَر البَشَرَة ، وأحفى الشارب الى البشرة .

ح ولان البشرة فوق اللحم ، فمن باب التوسّع شُبِّه بها وجه الارض . فجآء فعل « بَشَر » الجرادُ : أَكلَ مـافوق الارض . وأَبشَرَت الارضُ : اذا أخرجت بشَرَتَها ، اي ماظهر من نباتها .

خ هذا وخاصةُ الانتشار في لحم الانسان او جِلده ، وبالأَخص في وجهه ، لا بد لها من مُؤَثِّر ، داخلي او خارجي ، وهذا المُؤثِّر هو « الفَرَح » الذي ينجم عنه امتداد اللحم بجلدَته او بشَرَته ؛ كما ان من مفاعيل « الحزن » ، العامل في المرء ، تقلّص لحمه او جِلدته ، ولا سيما انقباض وجهه . وهنا ترى داعي المعاني الدالة على البهجة والسرور في فعل « بشَرَ » ومزيدانه .

د وبهذا السبيل نبلغ الى المعنى المراد بفعل « بشَّر » العربي، و bassar العبري ، وهو الإخبار بما يسرّ ويبهج الخاطر. دليل ذلك ان الخبر المفرّح يُطلِق بشَرَة الوجه ، لتأثيره الحسَن ؛ وهو الذي يدل عليه فعل « بشَّر » .

ذ وهذا لا وجود له في السريانية ، اذ فعل bassar مشتق فيها من الاسم besrâ ، ويعني : جسَّد ، أنَّس . لكن دلالة التبشير واردة في السريانية في مقلوب « بشَّر » اي Sabbar (بالسين) وهو مزيد Sbar الذي بحثنا عنه هذا البحث المدقق.

فبعد هذا التوغل في مثل غابات كثيفة ، ها نحن أولآء قد خرجنا الى فسحة رَحبة نرى فيها متجلياً فعل « سبر » وما يقابله في اللغات الساميَّة بمعانيه المختلفة فيها . فهو يدل تارة على « الاختبار والفحص » ، وتارة على الاحتمال والصَبر » ، وطوراً على « الاغتِذآء » ، وطوراً آخر على « الإخبار والتبشير » . وكل هذا جارٍ باشتقاق معقول منطقي ، أثبته التحقيق والتنقيب ، على ضوء « الثنائية والالسُنيَّة الساميَّة » .

كَرُمَ

دونك معاني هذا الحرف في اللغات الساميَّة الوارد فيها .

العربية

كَرُمَ : الارضُ : زكا زرعها .
" : السَّحابُ : جآء بالغيث .
" : الشيء : عزَّ ونفُس .
" : الرجلُ : كان سخيًّا ، لا بخيلاً .
كَرَمَ : فلاناً غلبَه في الكَرَم .
كَرَّمَ : عظَّم ونزَّه .
" : اللهُ وجهه : شرَّفه .
" : السحابُ : كثُر ماؤه .
أكرَمَ : الرجلُ : اتى بالاولاد الكرام .
" : نفسَه عن المعاصي : نزَّهها .
كارَمَ : اهدى اليه شيئاً يكافئه عليه .
تكرَّمَ . تكلَّف الكَرَم .
استكرَمَ : اختار الكرائم .
الكريم : الشريف النزيه ، وأحسنُ كل شيء ، ومن الاسمآء الحسنى ، ومَن يجمع الفضائل .
الكَرْمُ : بستان العِنب ، و— شجرة العِنب ، و— العنب .

الكريمة : ابنة الرَّجل ، و — كل جارحة شريفة ، كالانف ، والاذن ، واليد .

التَكرُمَة : الوسادة التي يجلس عليها الانسان تعظيماً له واجلالاً .

أرض مكرُمَة ومكرُومَة : مخصبة .

السريانية

Kram : خَرَمَ ، شَرَمَ ، قَطَعَ ، كَسَحَ .

Krîmâ : أخرَمُ ، أشرَمُ ، مقتنِع ، محتَشِم ، كريم .

Karmâ : كَرْم ، كَرْمَة ، بستان العنب .

Karmâyâ : كرميّ ، بستانيّ .

Karrâmâ : كرّام ، حارس الكرم .

Krômâ : لون ، محيا ، هيئة ، حَياء ، نوع من الكلام .

Krômâ : قحة ، صَفاقة .

Krômtânâ : جَسُور ، صفيق .

Kromtânûtâ : قحة ، صَفاقة .

Karemlâ : رَوضة ، شَعْرآء ، جبل الكَرمَل .

العبرية

Kèrèm : كَرْم ، بستان العنب .

Kâram : اشتغل في الكَرْم .

Kôrèm : كرّام .

Karmîl : أَحمر ، أرجُواني .

Karmèl : حقلٌ ، سَهل ، بستان ، بستان مخصِب ، جبل الكَرْمَل .

الحبشية

Kerem : كَرْم .

Karama : كَرَمَ السحابُ ، انزل الغَيث .

Akrama : كان سخياً ، محسناً . أَمطَرت ، كان الشتآء .

Keramet : مَطَر ، فصل الشتآء .

Keramtâwî : شَتَوي.

Karâmî : ثَمَر سنوي .

الاكدية

Karânu / Karnu : (الاصل Karmu) : عصير ثَمَر الـكَرْم . خَمر .

تنسيق وتعليل

ا لتنسيق معاني هذا الحرف المتضاربة تنسيقاً منطقياً ، علينا ان نردّه اولاً الى ثنائي وهو « كَرْ » الظاهر احد مدلولاته في الفعلين العربيَّين : « كَرى » النَهرَ: حفَرَه: و « كارَ » الارض : حفَرها . وفي العبرية في « Kârâ » حفر ، و Kôr « خرق » . ومن « كَرْ » اشتق « كَرَم » بزياة الميم ، تذييلاً .

ب فاول معاني « كَرَم » القطع ، بطريق الخرْق او الخرْم . وهذا وارد في السريانية ، في فعل Kram : خرَم ، شَرَم ، كَسَح . ولا وجود له في بقية اللغات الساميَّة .

ت من انواع القطع او الخرق ، الحفر او الفلاحة ، وهي حفر الحقول والبساتين — ومنها الكروم — للزرع أو الغرس . وبهذا المعنى ورد الفعل العبريّ Kâram : فلح في الـكَرْم . ولم يَرِد ذلك في اخوات العبريّة .

ث من هذا الفعل صدَر الاسم الدالّ على محلّ عمله وهو: « كَرْم » في العربيَّة ، و Karmâ في السريانية ، و Kèrèm في العبريّـة ، و Kerem في الحبشية .

ج الى كلمة « كَرْم » أُضيف حرف اللام في اسم Karmel و Karemlâ و كَرْمَل؛ وهذه الزيادة تكون في العبريّة للتصغير من باب التقدير. ومدلوله: حقل ، بستان مخصب ، واسم علَم لجبَلٍ في شمالي فلسطين .

ح والذي يشتغل في الكَرْم يسمّى « كرّاماً » . Kôrèm ، Karrâmâ .

خ ومن اسم المكان ، انتقل اللفظ الى الدلالة على الشجر المغروس فيه ، والى ثمره وعصيره . من ذلك : الكرْم ، والكَرْمة . وفي الأكّديَّة Karânu او Karnu (اصله Karmu) ومعناه : الخمر ، اي عصير الكرمة .

د ومن لون الخمر جآء Karmîl العبري بمعنى « الاحمر والارجواني » . وفي السريانية أُطلِق ، بِتوسّع ، Krômâ على « اللون ، والهيئة ، والحيا ، والحيآء ، ونوع من الكلام » . ومن باب التعكيس والتهكّم ، ورد Krômâ و Kromṯânûṯâ دالّين على « القِحَة ، والصفاقة » . وهو مما يعاكس الحيآء . وكذا جآء Kromṯânâ : « جسُور ، وقِح » .

ذ وبما ان بين صفات الاشيآء درجات ، كان « الكرْم » في عُرف الناس ، في مقدَّمة البساتين ؛ وكان ثمرُه ، العِنبُ ، من ألذّ الاثمار وافخرها . ولهذا أُطلِق على « كَرُم » معنى الخصب والزكآء . فقيل : أرض مَكرُمة : خصبة .

ر ومن ذلك نُقِل المدلول الى النَفاسة ، والعِزّة ، وغلآء الثمَن . فجآء « كَرُم » الشيء : عَزَّ ونَفُس . و « الكريم » : أحسنُ الاشيآء وانفسُها ، و « الكريمة » : كل جارحة شريفة .

ز وبأولى حجة ، ورد معنى الشرَف والفَخر شاملاً جمهور الناس . وهذا

مـا نراه في « كَرُم » ومزيداته ، وبعض مُشتقّاته . من ذلك « كرَّم » كارَم ، وتكرّم ، واستكرم . والكريم : الشريف النزيه .

س ومن مسبّبات الخصب والغزارة الغَيثُ . ولهـذا نرى في العربية : كَرُم السحابُ : جآء بالغَيث . وكـرَّم السحابُ : كثُر ماؤه . وفي الحبشية : Karama : انزل السحابُ الغَيث ، وأَمطرت السمآء ، وكان الشتآء . وKaramet : مطَرٌ ، وفصل الشتآء . و Karamtâwî : شتوي . و Karâmî : ثمر سنوي .

ش ومن الغزارة المادّية ، تحوَّل المعنى الى الغزارة المَعنَويّة وهي : السخآء . فلذا نجد في العربية : كَرُم : كان سخياً ، لا بخيلاً . وفي الحبشية Karama كان جواداً ، محسناً .

ص ولا يجود بالمال ، ولا يأتي الحسنات الاَّ الرَّجل الشريف الاخلاق ، المتزّه عن الدنايا . وهذا ما دلّ عليه ، في العربية ، كَرُم : نزّه نفسه عن المعاصي . والكريم : من يجمع الفضائل . ونلفي في السريانية Krômâ : مُقتنع ، محتشم ، كريم .

اذن ، بفضل « الثنائية والألسنية » ظهر لك انسجام المعاني وتساوقها في هذا اللفظ ، على حين كنت تتخيلها ، بل تراهـا بام عينك ، متضاربة ، متباعدة .



شَعَرَ ، سَعَرَ

قبل الشروع في بحث هذين اللفظين ، نفيد المطالع بان الشين والسين من الحروف المتعاورة في الألسِنة الساميَّة ؛ مما ينشأ عنه ، بعض الاحيان ، اختلاف في الفحاوي. ثم اننا نُهمل ، دفعاً للمَلَل ، بعض الاوزان والمشتقات ، ولا سيما في العربية ؛ مما يَسهُل تطبيقه على ما نسعى في تبيانه وتعليله .

العربية

« شعر »

شَعَرَ : لكذا : أَحسَّ به ، وفطن له ، وعقِله .
" : علِم بالشيء .
" : صار شاعراً ، وأَجاد في الشِعْر .
شَعِر : الرجلُ : كَثُر شعَرُه .
" : الرَجلُ : ملَكَ عبيداً .
شَعَر : الجُبَّةَ والخُفَّ ، وما أشبههما : بطَّنهما بالشَعر .
شعَّر : الجنينُ : نَبَت عليه الشَعَر .
أشعَر : القَومُ : جعلوا لانفسهم شِعاراً ، او نادوا بشِعارهم .
أَشعَر : الهمُّ قلبَه : لصق به .
" : البَدْنة : أَعلَمَها ، بشقِّ جِلدِها .
" : فلاناً شَرًّا : غشِيه به .
" : الحُبُّ فلاناً : أَمرَضه .
" : فلاناً : دمّاه .

أُشعِرَ : المِلكُ : قُتِلَ .
استَشعَرَ : بالثوبِ : لبسه تحت ثيابه .
〃 : خشيةَ اللهِ : جعلها شِعاراً لقلبه .
الشَعْر : ما ينبت من مسامّ البَدَن ، و– النبات ، و– الشَجَر .
الشِعْر : القَريض .
الشَعار : الشَجَر مطلقاً ، و– الشَجَر المُلتفّ ، و– المكان ذو الشَجَر ، و– ما يلي شَعر الجسد .
الشِعار : علاَمة في الحرب والسَفر ، و– جُلّ الفرس ، و– ما تحت الدثار ، و– الرَعد ، و– الشَجَر ، و– المَوت ، و– مناسِك الحَج ، اي علاماته . و– الرَوضة .
الشَعير : نبات له سُنبل تُعلَف به الدوابّ .
الشعيرة : حبَّة شعير ، و– بَدْنَة ، و– علامة ، و– من مناسك الحج .
المشاعر : الحواسّ .

« سعر »

سَعَر : في حاجته : طاف .
〃 : الليلَ بالمطيّ : قطعَه سَيراً .
〃 : الناقةُ : أَسرعَت في سيرها .
〃 : النارَ : أَوقدَها ، و– الحربَ : أثارها .
〃 : القومَ بالشرّ : عمَّهم به .
〃 : البعيرُ الإبلَ بجَرَبه : أعداها .
سَعِر : احترق ، و– اشتدَّ جوعُه وعطَشُه ، و– ضَربَته السَمُوم . و– البعير : جُنَّ .

سَعَّر : النارَ : أوقدها .
〃 : الشيءَ : قدَّر له سِعْرَه ، و— القومُ : اتّفقوا على سعر .
استَعَر : اللصوصُ : تحرّكوا للشرّ .
〃 : الشرُّ : انتشر .
الساعُور : التنّور .
السِعْر : الذي يقوم عليه الثَمَن .
السَعَرَة : السُعال ، و— أوّل الأمر وحِدّته .
المِسْعَر : مُوقِد الحرب ، و— الطويل العُنق .
مُسْعِر : كَلِبٌ كَلِب .
سُعْرارَة : الهباء في شُعاع الشمس الداخل في الكُوَّة ، و— الصباح .

السريانية

Ša'râ : شَعر ناعم ، أوّل الشَعر في الشباب ، وَبَر .

S'ar : صَنَع ، زار ، افتقد ، حجّ ، شفى ، حامى ، اعتنى ، فحص ، نبت الشَعَر .

Sa''ar : صنَع ، زار ، سبَت ، حلَق ، أرخى شَعرَه .

Sâ'ôrâ : فاعل ، زائر ، معتنٍ ، وكيل .

Su'rânâ : عَمل ، أَمر ، حقيقة ، معنًى ، مصدر .

S'ârâ : شَعير .

Sa'râ : شَعْر ، وَبَر ، زَغَب ، ريش ، ورق الشَجَر .

العبرية

Šâ'ar

Šâ'ar : افتكر ، افترض ، حسب ، عدّ ، ثمّن ، سعّر .

Śa‘erâ : سِعر ، ثمن السوق ، رِبآء .

Ša‘ar : وزن ، عِيار ، قياس ، كيل .

Sâ‘ar.

Sâ‘ar : اتبَر ، انتَفَش ، ارتعَد ، خاف ، عصَف ، علِم .

Sâ‘èr : اختطف ، عصف .

Has‘îr : كان مُشعِراً .

Histâ‘èr : أَرعَد ، قاوَم ، هجَم على .

Sa‘ar : ارتعاش ، عاصفة .

Se‘ôr : شَعْر ، وَبَر .

Sâ‘îr : عَنزة ، تيس .

Sâ‘îr : مُشعِر ، جافّ .

Se‘ôrâh : شعير ، حَبّ مُشعِر .

الحبشية

Še‘era : أعشَبَ ، اخضَرّ .

Śâ‘er : عُشب ، شَعْر .

Še‘eret : شَعْر ، شَعْرَة .

Šernây : (Śe‘renây) : مُشعِر ، مُنتفِش .

Še‘rnâ : شعير ، حنطة ، حبّ .

تنسيق وتعليل

لتنسيق وتعليل المعاني المختلفة في هذين اللفظين ، نأخذ ، كعادتنا ، بردّ الثلاثي فيهما الى ثنائي ، وبالمقابلة بين المدلولات الواردة في مختلف الألسنة الساميّة .

« سعر »

ان لفظ « سَعَرَ » الثلاثي يردّ الى الثنائي « سَعْ » المتضمّن معنى الحركة والسَير. اذ اننا نرى ذلك في مثنّى هذا الثنائي وهو « سَعْ سَعْ »: دعاء للمعزى. وفي « سَعْسَعَ »: قارب الخطو، وأدبر الليلُ، وفي « تَسَعْسَعَ » الشهرُ: ذهب أكثره وولّى. ونجد هذه الدلالة عينها في الناقص: « سعى »: مشي، عدا، اهتم بتحصيل الأمر، و— لعياله: عمل لهم وكسب، و— بفلان: نمّ عليه ووشى به. وعلى هذا النمط جآء في السريانية فعل « Sʿâ »: سعى، وثب، حملَ على، ، أقدَم، اعترض. وفي كلها ما يدل على الحركة.

ا فاذا تقرر هذا، نقول: ان الثلاثي « سعَر » مشتق من الثنائي « سَعْ » بتذييله بالرآء. وبهذه الزيادة، تَوسّع فيه معنى الحركة والسير. ففي العربية نجد: سَعَرَت الناقة: أسرعت في مشيها. وسعر الرجلُ في حاجته: طاف. وسعر الليلَ بالمطيّ: قطعه بالمسير.

ب ودلالة الحركة موجودة في « سعر »: أَوقد النار. لان ذلك يتطلب اثارتها، اي تحريكها. ومن المجاز يقال: سعر الحربَ: أَثارها، اي حركها.

ت من مدلول إسعار النـــار، تولّدت فحاوي اثارة، أو تحريك الشر، والعَدوى، وشِدّة الجوع والعَطَش، وضرب السَمُوم والجنون. لان في كل هذا فكرة الاستعارة لحركة النار، والتهابها.

ث في « سعر » معنى الانتشار، لانه سرعة الحركة والسير. فيقال: استعر الشرّ: انتشر. واستعَرَت اللصوص: تحركوا فانتشروا للشر.

ج السُعال آتٍ من الالتهاب في الحنجرة. والالتهاب حركة الحرارة. ثم ان الحركة تدل على بداية العَمل وأول حدوثه. ولذا جآءت: السَعرَة: السُعال، و— أوّل الأمر وجِدّته.

ح الـكَلَبُ في الـكَلب شدة تهيّجٍ والتهابٍ ، اي شدّة حركة . فيقال كَلبٌ مُسْعِرٌ : اي كَلِب . ومن ذلك الجنون ايضاً .

خ في الحركة امتداد وطول . فجآء « مُسعِر » بمعنى الطويل العُنُق .

د في « سِعرارَة » دلالة الحركة . لان الهبآء يتحرك في شعاع الشمس . والصباح بداية النهار اي أول حركته .

ذ وكذلك نجد الحركة — وضعاً ومجازاً — في معاني S'ar السرياني : زار ، افتقد ، حجّ ، شفى ، فحص . ففي كلّها فكرة السعي ، اي الحركة .

على ان من مدلولات كلمة S'ar السريانية ، وكلمة Sâ'ar العبرية ، ما يُلحَق بمغازي الأصل الداخل فيه حرف الشين ، كما سترى .

« شعر »

أمّا « شَعَرَ » الثلاثي ، فأصله الثُنائي « شَعْ » الدال على البروز والانتبار ؛ والتفرق والانتشار ؛ وفي كلّها معنى الحركة . نتحقق ذلك في الكلمات التابعة :

شَعٌّ : فرّق و — القوم : انتشروا .

شُعٌّ : سفا السُنبل وشوكه ، و — ضوء الشمس المنتشر ، اي الشُعاع .

أَشَعَّ : الزرعُ : أخرج شَعاعَه ، اي سَفَّه . والشَعاع : المتفرّق من كل شيء .

فاذا اتّضح هذا ، نقول : ان « شعر » صادر عن « شَعْ » بزيادة الرآء في آخره . فتوَلَّد منه المعاني المختلفة التي نسعى في تنسيقها بالتعليلات التالية :

ا الشَعْرُ شبه الخيوط يخرج من مَسامّ الحيوان ، ومن بعض أعضآء جسد الانسان . ومن خواصه الشَوْك والانتفاش ، والامتداد والتفرق . وعندما يتأثر جسمُ الانسان باحد المُؤثِّرات — خارجيّةً كانت أم داخلية — فان الشَعر مما ينفعل أشد الانفعال بهذه العوامل ، فيتولّد في الجسم الإحساس . اذن اول معاني « شعر » يدلّ على نشوْ هذه المادّة في الجسد . فيقال في

العربيَّة : شعرَ الجنين : نبت عليه الشَعْر . وشعر الرجلُ : كثُر شعرُه . وجآء في السريانيَّة : S'ar و As'ar (بالسين) : نبَت شعرُه . وفي العبرية Has'îr : كان مُشعِراً . وسُمِي الشعر ، في السريانية Sa'râ او Ŝa'râ (بالشين) ؛ وفي العبريّة : Se'ôr ؛ وفي الحبشية : Ŝe'eret (بالشين) ، والمُشعِر Ŝa'renây .

ب وهذا دعي الشعير ، في العربية ، « شعيراً » ؛ وفي السريانية S'ârâ ؛ وفي العبريّة Se'ôrah ؛ وفي الحبشية Ŝe'ernâ — ومثله الحنطة والحبّ — لانه نبتٌ مُشعِرٌ ، اي ذو رُؤوسٍ كرُؤوس الشَعر . وسمّي التَيس والعنزة ، في العبريّة ، Sa'îr ، من اجل الشَعر المغطِّي جسمها .

ت ان العبريّين يطلقون على العُشب اسم Haṣîr ، المقابل للعربي : خَضِر . وذلك استناداً الى لونه الأَخضر ، او لكونه يُخضَر ، اي يحصد او يقطع . والاراميّون يشبّهون الكَلأ بالصوف ، وهو شعر الغَنم ؛ ولذا جآء اسم العهن عندهم 'amrâ ، واسم الحشيش : 'mîrâ . أمّا العرب والحبشة فيقارنون هذا العُشب النابت في الارض بشَعَر جسد الانسان . ولهذا جآء في العربية : « الشَعار » : الشجَر مطلقاً ، والشجر الملتفّ ، والمكان ذو الشجر . و « الشَعْرآء » : الشجر الكثير ، والروضة . وفي الحبشية : Ŝe'era : أعشَب ، اخضَرَّ . و Ŝe'er : العُشب .

ث الشَعْر ، لغزارته ووُفرته ، يطلَق مجازاً على الكثرة . ففي العربية : الشَعرآء : كثرة الناس ، والشجر الكثير . وشَعِر : ملَك عبيداً كثيرين .

ج من خاصّيات الشَعر التلبُّد والالتصاق . فجآء في العربية : شعَرَه بالشيء : ألصقه به ، وخالطه به . وأشعَر الهمُّ قلبَه : لصِق به . والشِعار : جُل الفرَس ، لانه يلتصق بشعره ، و — ما تحت الدثار من اللباس ، وما يلي شعر الجسد . و — الفَروة ، لان الشعر ملتصق بها . ومن الشعر صِيغ فعل « شَعَر » الجُبَّة والخفَّ : بطَنها بشَعر ، اعني ألصَقه بها .

ح ان الشَعر عادةً اشدُّ ما في الجسم إِحساساً وتأَثراً ، وبنوع أشد حين يحدث التأثير فجأَةً . فحينئذ يقوم شعر البدن . فلذا نصادف في العربية : شعَرَ : احسّ . وأَشعر الحُبُّ فلاناً : أَثَر فيه حتى المرض . وأُشعر الملكُ : قُتِل ، اي أَثَر فيه حتى الموت . والشَعْرآء : الداهية ، اي المصيبة الشديـدة التأثير . والشَعرآء : الموت . ونجد في العبرية : Sâʻar : انتفض ، ارتعد ، خاف . وأَوَّل أَثر للخوف هو انتفاش الشَعر . ومن ذلك فعل : اقشَعرَّ جلدُه : ارتعد وقفَّ . واقشعَرَّ الشَعرُ اي قفَّ منتصباً ذُعراً ، او بَرْداً . ومن باب التوسّع ، جآء معنى Sâʻar : عصَف ، قصَف . ثم Sâʻèr : اختطف ؛ و Histâʻèr : أَرعد ، قاوَم ، هجم . وفي العربية : الشَعار : الرعد . وفي العبرية : Saʻar : ارتعاش ، فزَع .

خ على ان الشعور أول درجة من العلم ، اي انه الادراك بالمشاعر ، وهي الحواسّ . فورد في العربيـة : شعَرَ : فطن للشيء ، عقله ، علم به . ومن ذلك جآء ايضاً شعَرَ : نظم وقرض الشِعر . والشِعر : النظم والقريض . وفي العبريّة : Sâʻar : عرف ، علِم . و Ŝâʻar : افتكر ، حسِب ، افترض .

د ومن الشعور نجم الإشعار ، اي التعبير عن الادراك الداخلي في الخارج ، وإِبلاغه الغَير . ففي العربية : أَشعَر القومُ : جعلوا لانفسهم شِعاراً ، اي علامة . وأَشعروا : نادَوا بشِعارِهم ، اي بعلامتهم . وأَشعر فلاناً الأَمرَ : أعلمه ايّاه . وأَشعر البَدْنة : جعل فيها علامة ، بشقّ جِلدهـا . وأَشعر أَمره : جعله معلوماً ، مشهوراً . وأَشعر فُلاناً : جعله عَلماً بقبيحةٍ أشادَهـا عليه . والشِعار : علامة في الحرب والسَفَر . والشِعار : من مناسِك الحج اي من علاماته .

ذ من جملة أفعال الشعور ، أو الإدراك ، التأمل في أحوال الاشيآء ، وإِبدآء الرأي في قيمتها . من ذلك في العبريّة : Ŝâʻar : عدَّ ، ثمَّن ، سعَّر ، اي

جعل للشيء ثمناً ، او قيمة . و Sa‘erâ : سِعْر ، ثمن السوق ، الربآء . وSa‘ar : وَزن ؛ عِيار ، قِياس ، كَيل . وفي العربية : سعَّر : قدَّر للشيء سِعره ، اي ثمّنه . سعَّر القَومُ : اتفقوا على سِعْر . ساعر : ساوَم على سِعْر . السِعْر : الذي يقــوم عليه الثَمَن .

وهكذا ، بطريقة « الثنائية والألسنيَّة » ، توصَّلنـا الى تنسيق معاني هذين اللفظين . ولولا هذه الطريقة ، لبقيت هذه الدلالات في اعيننا متضاربة ، متنـافرة .

ظَلَم

يُطلَق هذا اللفظ ، في العربيَّة ، على معنيين أصليَّين ، ظاهري التضارب . ومن كل منهما تتفرع مدلولات تتصل به . وعندنا أن سبب اختلاف هذين المفهومين في الحرف المذكور هو أنَّ الـكلمة الثـلاثية صادرة عن ثُنائيَّين ، يرجع الى كل منهما أحد هذين المدلولين ومتفرّعـاته . فالثنائيّ الاوّل هو « ضلْ » ؛ والثُنائي الثاني هو « ظَلْ » . وفي كليهما قد زيدت الميم تذييلاً ، لصوغ الثلاثي ، وتنويع معناهما فيه .

وعلى المطالع ان يعلَم ان « الضاد والظآء » تتعاوران في العربية ؛ وان لا وجود لهما في غير هذه ، من اللغات الساميَّة ، إلاَّ الحبشية الوارد فيهـا حرف الضاد وحده . ومـا يقابل « الضاد » في غير العربيَّة هو « الصاد » ؛ وما يؤآزي « الظآء » هو « الصاد » ايضاً ؛ الاَّ السريانية ، فالمقابل فيهـا تارةً « الصاد » ، وتارةً « الطآء » .

دونك أولاً الالفاظ الثُنائيَّة الواردة في اللغـات الساميَّة ؛ ثم نتبعها بما يصدر عنها من الثُلاثيَّات ، بزيادة الميم في الذيل .

العربية

ضَلَّ (ضَلْ) : السبيلَ ، وعن السبيل : كان خارجاً عنه ، ولم يهتدِ اليه
و— حادَ عن طريق الحقّ والدِّين ، و— فلانٌ فلاناً ؛ لسِيَه ؛
و — الماءُ في اللَّبَن : خفي وغـاب ، و — الشيءُ : تلِف ،
و— الرجلُ : مات .

ضلَّل : الرجلَ : صيَّره الى الضَلاَل ، اي الى الغَواية .

الضَلاَل : الغَواية ، وعدَم الهُدى ، و— الباطِل ، و— الهلاَك .

ظَلَّ (ظَلْ) : اليومُ : صار ذا ظِلّ ، و— النهارُ : دام ظِلُّه ، و— الشيءُ : دام .

أَظلَّ : الرجلَ : أدخَله في ظِلِّه ، او كَنفه .

الظِلّ : الفَيْء : و— شخصُ الشيء ، و— سوادُ الليل .

الظَلاَلة : شخصُ الشيء ، لمكان سواده .

السريانية

Ṭal : ظَلّ ، ظَلَّل ، نَدِي ، رطِب .

Ṭallèl : ظَلَّل ، سَتَر ، سقَّف البيت .

Aṭṭèl : أَظَلّ ، شَمَل ، أَطَلّ ، أَشرَف .

Ṭellâlâ : ظِلّ ، سَقف ، كَنَف ، طيف .

Maṭlânâ : سقف البيت ، وِقايَة ، عمامة النساء .

Maṭlâ : ظِلّ ، مَظلّة ، وقاية ، وَكر ، غار ، عُش .

Ṭellâ : ظِلّ .

Ṭallâ : طَلّ ، نَدى .

العبرية

Ṣâlal : ظلَّ ، أَظلَّ ، أظلَم ، غارَ ، غرِق .
Haṣṣèl : أَظلَّ ، سَتَر ، سَقَف .
Hiṣlîl : أَدخل ، أَغرق .
Hiṣṭallèl : غارَ ، غَرِق .
Ṣêl : ظِلٌّ ، فيْ .

الاكدية

Ṣalâlu : أظلَّ ، ظلَّل ، سَتَر ، وَقى .
Uṣallal : أَظلَّ ، غطَّى ، سقَّف .
Ṣillu : ظِل ، سِتْر ، سَقْف .
Ṣullûlu : مُعتِم ، مُظلِم .

الحبشية

Ṣalala : ظلَّل ، ستر ، أظلَم .
Aṣlala : أظلم .
Taṣallala : تظلَّل ، أَعتَم .
Ṣelûl : مُظلِم .
Ṣelâli : ظلام ، عمى .

تفسير وتعليل

ان الثنائي « ظَلْ » — المؤآزي له في السريانية Tal ، وفي العبرية ، والاَكَدِّيَّـة ، والحبشية Ṣal — هو صادر عن شيء طبيعي وحسي ، الا وهو

« الفَيء أو الظِلّ » الناشيء عن وقوف الانسان ، أو الحيوان ، أو شيء من الاشيآء ، تجاه الشمس ، او اي نور كان. ومن الظلّ جآء معنى : الطَيف والشَخص ، ثم الاشارة والرَمز .

ب ومن ذلك ايضاً صدر فعل « ظلّ » ، وما يقابله في اللغات الأُخر الاخوات ، للدلالة على إلقآء السِتر ، أو الغطآء ، أو السَقف ، فوق الاشخاص ، او الحيوانات ، أو الاشيآء .

ت واذ كان الظِلّ ، طبعاً ، أعلى ممّا يَستُره ، جآءت الافعال في كل هذه الألسن تدل على العُلو والإشراف .

ث وبما ان الظِلّ يحمي مَن تحته ، دلّ الفعل على الوقاية ، والحماية ، والاعتنآء .

ج واذ كان الظِلّ ينزل من فوق ، دلّ فعل Ṭal السرياني وفروعهُ على النَدى النازل من السمآء .

ح والظِلّ ، بحَجبه النور ، يولِّد السَواد ، او الظَلام . ولهذا جآء « ظلّ » وأشباهه الساميَّة بمعنى الظلام .

خ ومن شأن الظلام أن يمنع النظر الى الاشيآء المحسوسة ، ولهذا دلّ Ṣalâli ، في الحبشية ، على العَمَى .

د والظَلام يسود في الأمكنة العميقة التي لا يدخلها النور . فأطلِقَت اللفظة Maṭlâ ، في السريانيَّة ، على الغار ، والوَكر ، والعُش .

ذ والمحل المُظلِم يغيب الداخلُ فيه عن الأنظار . فورد هذا الفعل في العبريّة دالاً على الدخول والاستتار ؛ وأبلغ ما في الدخول والخَفآء الغَورُ والغَرَق .

هذا تناسق معاني الثُنائيات من هذه اللفظة ؛ وبزيادة الميم تذييلاً لها ، نشأَت الثُلاثيات التالية :

السريانية

Ṣlam : (لا وجود له) .
Ṣallèm : صوَّر ، مثَّل ، رَمَز ، دَلَّ ، جبَل ، نقش ، تصوَّر ، تخيَّل .
Ṣalmâ : صُورَة ، تمثال ، صَنَم ، (صَلَم) وَثَن ، شَبَه ، رسم ، رمز ، خَيال .
Ṣalmûnâ : تُميْثِيل .

العبرية

Ṣâlam : (لا وجود له) .
Sêlèm : صُورَة ، تِمثال ، صَنَم ، شَبَه .

الاكدية

Ṣalâmu : إِسوَدَّ .
Ṣalmu : أسوَدُ ، مُظلِم .
Ṣalam êni : قزحيَّة العين .
Ṣalmat qaqqâdi : السُودُ الرُؤُوس ، الناس ، البَشَر .
Ṣulmu : الشَعرُ الأَسود .
Ṣalmu : صُورَة ، شَكل ، تِمثال .

الحبشية

Ṣalema : عَتَّم ، أظلَم .
Aṣlama : غَبَر ، كَدَر ، سَوَّد ، أَظلَم .
Ṣelêm : أغبَرُ ، أسوَدُ ، مُظلِم .
Ṣelmat : انكِساف ، ظَلام .

في هذه اللغات ، زاد المعنى وتنوّع بزيادة اللام في الثُنائيّ .

ا أوَّل تنوّع هو توسّع فكرة اللون الناشيء عن وجود الظِلّ ، اي الغُبرة ، والكُدرَة ، والسُمْرَة ، والكُسُوف ، والظَلام . ومن اللون توَلّدت أفعال التلوّن : غَبَرَ ، كَدُرَ ، إسوَدَّ ، أظلَم .

ب من نتائج الظِلّ نشوء الهيئة . ومن ذلك جآءت : الصُورة ، الشَكل ، الشَبَه ، الرَمز ، الإشارة . ثم التِمْثال ، والصنم ، والوَثن . ثم الأفعال الدالّة على الصوَر : جبَلَ ، نَقَشَ ، صوَّرَ ؛ ثُمَّ : رَمَز ، تصوَّرَ ، تخيَّلَ .

* * *

عنوننا المقال بكلمة عربيَّة ، وحتى الآن بحثنا خاصَّةً عن مقابلاتها في اللغات الساميَّة ؛ فحان الوقت لتمحيصها :

ان « ظلَم » بمعنى : « جارَ ، وحادَ عن طريق الاعتدال والصواب » يصدر عن الثُنائيّ « ضلْ » الدال علي مثل هذا المَغزى . والفعل المقابل معناه لهذا المعنى ، في السريانيَّة هو Tlam . وأمّا « ظلَم » بدلالة : « احتجاب النور » ، فهو آتٍ من الثنائي « ظلْ » الذي أسهبنا في تبيان معـانيه في الألسِنة الباقية . فنبدأ الآن بسَرد مدلولات فعل Tlam السرياني ، ثُمَّ نعقبُه بفعل « ظلَم » العربيّ ومشتقاته ، واضعين ، بجانب كلِّ مُشتَقّ أو وَزن ، أحد الثُنائيَّين : « ضلْ » و « ظلْ » ، للدلالة على صدوره عن أحدهما .

السريانية

Ţlam : ظلَم ، جارَ ، سلَبَ ، اتَّهم ، جَحَد ، خَدَع ، عقِمَت الارض . (وفي كلها ظاهر معنى الشَطِّ عن سبيل الاعتدال) .

Ţâlômâ : ظالِم ، جاحِد ، ناكر الجميل .

Ţâlômûţâ : ظُلم ، تعدٍ ، نُكران الجميل .

العربية

ظَلَم (ضَلْ): وضع الشيءَ في غير موضعه .
〃 〃 : فلاناً : جارَ عليه .
〃 〃 : الطريقَ : حادَ عنه .
〃 〃 : فلاناً حقَّه : نقَّصه اياه .
〃 〃 : الوادي: بلغ المآءُ منه موضعاً لم يكن بلغَه قبلَه .
〃 〃 : السَيلُ الارضَ : اذا خدَّد فيها في غير موضع تحديد .
〃 〃 : الحوضَ : اذا عمله في موضع لا تُعمل فيه الحِياض .
〃 〃 : البعيرَ : نحرَه من غير دآءٍ ، او عِلَّة .
〃 〃 : الوطبَ : شَرِبَ لَبَنَه ، قبل ان يرُوب .
〃 〃 : القومَ : سقاهم اللَبَنَ ، قبل ادراكه .
〃 〃 : كلَّ شيءٍ : أعجله عن أوانه .
〃 〃 : « من أشبه أباه ما ظلَم » : اي ما وضعَ الشَبَه في غير موضعه » أو : لم يضلَّ .
ظَلِم (ظَلْ) : الليلُ : صار مظلماً .
ظلَّمه (ضلْ) : الحاكمُ : أنصفه من ظالمه ، وأعانه عليه .
ظلَّم 〃 : فلاناً : نَسبَه الى الظُلم .
أَظلَم (ظَلْ) : الليلُ : صار مُظلِماً .
〃 〃 : جعله مُظلِماً .
〃 〃 : دخلَ في الظَلام .
تظلَّم (ضلْ) : شكا من ظُلمِه .
〃 〃 : أحال الظُلمَ عن نفسه .
تظلَّم (ضلْ) : صَبَرَ على الظُلم .

تظلّم (ضلْ): ظلَم حقَّه .
تظالَم 〃 : ظلَم بعضهم بعضاً .
〃 〃 : المِعزى : تناطحت .
إنظلَم 〃 : احتمل الظُلم .
الظالِم 〃 : اسم فاعل من ظلَم ، اي الجائر .
الظَلاَم (ظلْ): ذَهابُ النور ، و— أوّل الليل .
ظُلاَمة (ضلْ): ما أُخِذ ظُلماً .
ظَلاَّم 〃 : مبالغة ظالم .
ظَليم 〃 : كثير الظُلم .
ظُلمٌ 〃 : ميل عن القَصد ، و— وضع الشيء في غير موضعه .
ظُلَمٌ (ظلْ): ثلاث ليالٍ مُظلِمَة .
ظَلِمٌ 〃 : شديد الظَلاَم .
ظَلَمٌ 〃 : شخص ، و— جبَل .
ظُلُمات 〃 : البحرِ : شدائده .
ظَليمٌ (ضلْ): مظلوم ، و— اللَبَن يُشرَب قبل أن يروب ، و— تراب الارض لم تحفَر قط ، ثم حُفِرت .
مِظلاَم 〃 : الذي لا يُدرى من أين يُؤتى له .
مُظلَم 〃 : العُشب المنبَّت في أرض لم يصبها المطَر قبل ذلك .
〃 (ظلْ): الغِربان. :
يومٌ مُظلِم 〃 : الذي تُلقى فيه الشدائد . شَعْر مُظلِم : شديد السواد .
أمرٌ مُظلِم (ضلْ): لا يُدرى من أين يُؤتى له .
نبتٌ مُظلِم (ظلْ): ناضِر يضرِب الى السواد من خُضرَته .
المَظلِمة (ضلْ): ما تطلبه عند الظالِم .

المَظلوم (ضلْ): البلد الذي لم يصبه الغَيث. و— أرضُ لا رعيَ فيها للركاب، و— اللَبَن يُشرَب قبل ان يَبلُغ الرَوب.

المَظلومَة 〃 : الارضُ التي لم تحفَر قط، فحُفِرت.

وانت لا زلت تتحقَّق ان المعاني، مهما كان تضاربها، او تنافرها، او تناقضها، يُتَوَصَّل الى تنسيقها وتبيان تآلفها ومنطقيَّتها، بفضل « الثنائية والألسنيَّة السامية ».

ذَهَبَ، ذَهَبٌ

الغريب في هذا الحرف أنّه بينما أنّ اغلبَ معانيه تدل على السَير، نراه يعني المعدن الثمين الذي مرادفه « التِبر ». لكن هذه الغرابة تزول — كما تزول في غير هذه اللفظة — بفضل « الثنائية والألسنيَّة ».

« ذَهَبَ »، بمعنى سار، ليس له من مقابل في بقية اللغات الساميَّة. وفي العربية ذاتها، الثلاثيُّ صادرٌ من الثُنائيِّ « ذَبْ » باقحام الهآء فيه. و« ذبَّ » يدل على معنًى له مناسبة لمدلول « ذَهَبَ » وهو: اختلف ولم يستقم في مكان واحد. وفي ذلك حركة وسير. وكل دلالات « ذهبَ » الباقية تتضمَّن هذا المعنى الاوّلي.

ذَهَبَ : سارَ ومَرَّ، و— الأمرُ: انقضى، اي انتقل وسار، و— مات، اي ذهب ومضى، و— به: استصحبه، اي سيَّره معه، و— به: أَزاله، جعله يزول، اي يسير، و— عليه: نسِيَه ؛ اي انتقل من ذاكرته، و— عنه: تركه، اي سار عنه، و— اليه: توجّه، اي سار اليه، و— في المسألة الى كذا، اي سلك فيها ورأى ذلك الرأي.

« ذهب » بمعنى التبر

أمَّا « ذَهَبٌ » فاصلها بالزآء ، كما نرى ذلك في العبريَّة . ويقابلها في العربية ، بالوزن الثلاثي ، « صَهَبَ » : كان ذا لون أشقر ، او أصفر ، او أحمر . وهي بالحقيقة الوان الذهب . لان هذا المعدن سمّي بهذا الاسم للونه . وفي العبريّة ، يدعى Zâhôb . ويقابله في السريانية : Dhab وDahbâ . ومن باب التوسّع أُطلِق Dahbâ على الخراج والجزية ؛ لانهما يؤدّيان بالسكّة من الذهب . ومن هـذا الاسم صِيغَ في السريانية Dahhèb ؛ وفي العربيّة : ذَهَّبَ : اي حَلّى بالذهَب . ومنه ايضاً Adhèb : لَمَع ، بَرَق كالذهب .

أما Zâhôb العبريّ ، فهو صادر عن الثنائي « زَهْ » ؛ والبآء هي الزائدة فيه . وهذا « زَهْ » ظاهرٌ فحواه الاصلي ، لا في العبريّة ، لكن في الفعل الناقص العربيّ « زها » الذي يقابله في السريانية : Zhâ او Zhi .

ودونك مختلف مدلولاته في اللغتين :

العربية

زَها : نَورُ النَبْت : أشرَق ولَمَع ، و— نما وزكا ، و— (مجازاً) كَذِب . اي لَمع ، أَو موَّه الحقيقة بلَون او نُور ظاهريّ .
أزهى : البُسْر تلوَّن ، أي لَمَع . و— (مجازاً) : تكبّر وتاه .
الزاهِي : المُشرِق .

السريانية

Zhâ : زَها ، زَهَر ، تباهى ، افتَخَر .
Zahhi : أَضاءَ ، حَسُن ، جَمُل ، أَبهج ، نقّى ، أَزهى ، رفع .
Zahyâ : بَهِيٌّ ، سَنِيٌّ ، حَسَن ، طاهِر ، نجيب ، مجيد ، جليل .

وهكذا ترى أن الفعل « ذَهَبَ » مشتقٌّ من الثُنائي « ذَبْ » ؛ وأن

الاسمَ « ذهباً » آتٍ من الحرف العبري Zâhôb ؛ وهذا صادر عن الفعل « زها » الدال على اللون، واللمعان، والسَناء. وهذه هي الخاصَّة البينة في هذا المعدن ؛ ومنها جاءَت تسميته. وبهذا زال الاستغراب من الاختلاف الظاهريّ بين معنى الفعل، ومعنى الاسم. وبناءً على ما نجم من هذا التمحيص، يجدر بنا القول بان كلمة « ذَهَبٍ »، بصيغتها الثلاثية، دخيلة في العربية والسريانية. وأما الاصل الثنائي، فخالِيَة منه العبريّة.

« قَدْ » ومشتقّاتها

خذْ الافعال التالية : ضَرَبَ، ضرَّبَ، أَضْرَبَ، ضارَبَ، تَضرَّبَ، إِضطَرَبَ. فحسبَ ما تلقَّناه من أساتذتنا في المدارس — وهم علّمونا ما تلقّوه بالتقليد عن العلماء الأقدمين — يجب أن نقول بان كل هذه الافعال مزيدة، الّا « ضَرَبَ »، فانه أصل لها جميعاً. اذ ان القاعدة المشهورة والمتبعة بين جمهور « المُعجميّين الثُلاثيّين » تقول بان في كل هذه الافعال حروفاً زائدة قد أُضيفَت الى الأصل الوحيد، ذي الحروف الثلاثة، وأنه بالزيادة في المبنى الثلاثي، إزداد المعنى في المزيدات، مع بقاء المناسبة والاتصال بين المدلول الاصلي والمدلولات المتفرّعة.

أما « المعجميُّون الثُنائيُّون » فيقلبون بنظريّة الزيادة ؛ بيدانهم لا يرضَون بالثلاثي « أَصلاً غير قابل الإنقاص » ؛ بل يرتأون ان « الثُنائيّ هو الأَصل » ؛ وما الثلاثي سوى أوّل المزيدات.

فلفظ « ضَرَبَ » إذنْ، في نظرنا، ليس أَصلاً، بل مشتق مزيد فيه، صادر عن « ضَبْ » الدال على القبض الشديد. فاقحمت فيه الرآء، للزيادة

في دلالة القبض ، وهي « الضَرْب » ؛ اذ في فعل « الضَرْب » نوع من القبض ، اي الصاق شيء بشيء .

دونك الآن الافعال الآتية : « قَدَحَ ، قَدَرَ ، قَدَسَ ، قَذَفَ ، قَدِمَ » . ففي نظر « الثلاثيين » كل لفظ من هذه الالفاظ أَصل لالفاظ أُخرى مشتقَّة منه . أَمَّا نحن « الثُنائيين » ، فنقول بانها باجمعها آتية من أَصل واحد ، وهو « قدْ » ، موضوع بحثنــا ، والمراد به « القطع » ؛ وان الحرف الثالث في ذيل كل منها حرفٌ زائد . وهذه فكرة القطع تقوم عليها المناسَبة بين معاني الأفعال المذكورة قاطبةً .

فلنطبِّق « طريقتنا » على كل منها بالتفصيل ، مبتَدئين بفعل « قدَّ » ، الذي منه « قَدْ » ، الأصل الثُنائي الشامل .

١ « قدّ »

العربية

قدَّ (قدْ) : قطع مستطيلاً ، و— خرَق ، و— قطَع .

السريانية

Qad : قدَّ ، قطع ، شقّ ، خزَق ، مزَّق .

Qedta : قُدَّة ، سَير .

العبرية

Qâdad : (الاصل Qad) : قطَع .

Qaddèd : شقّ ، خرَق .

ب « قَدَحَ » (الحرف الزائد : الحآء)

العربية

قَدَحَ : فضَّ (قطع)، و— خرَق (قطع وهو داخل)، و— الطبيبُ العينَ: شقَّها اي قطعها، لاخراج المآء المُنصَبّ فيها من داخــل، و — الشيءُ في صدري : أثَّر، اعني قطَع فزَّق، و — الدودُ في الأَسنان والشَّجَر : قطع فيها، و — بالزَندِ: قطَع به، قصْدَ الإيرآء، اي اخراج النار والضوء. و— القِدرَ: أَدخل فيها المِغرَفَة، اي خرقها، او قطعها بهـا للاغتراف، و— الرَّجلَ: (مجاز): طعنه، وعابه، وتنقَّصه، اي قطعه أدبيًّا.

قدَّح : قدَّحت العينُ: غارَت فخرقت، اي قطعت.

قادَح : ناقَشَ، اي طاعَن فقاطع.

تقادح : الشجَرُ: تحاكّ عيدانه فالتَهب ناراً، اي تقاطع.

اقتَدَح : الأَمرَ: دبَّره، اي عرف كيف يفصل فيقطع فيه.

القِدْح : العُود المقطوع، و— سَهم المَيسِر، اي العود المقطوع.

القَدَح : إناءٌ يُشرَب فيه. سُمِّي كذلك لانه مقطوع وفارغ.

القَدَّاح : صانع الأَقداح، اي القَطَّاع، و— أطراف النَبت الغَضّ، اي المقطوع، و— الحجر الذي يُقدَح به، اي يُقطَع.

القَدَّاحة : الحديدة التي يُقدَح بها، اي يُقطع.

السريانية

Qdaḥ : ثقب ، بجس المآءَ ، فجّره ، شجَّ ، خدش ، نتف ، ألهب ، نبت ، خرجت الخراجة ، قدح العينَ ، اي قطَع.

Aqdaḥ : شجَّ ، ثقب ، نتف ، أخرَم .

Qdîḥṯâ : جمرة ، قبسةُ نار ، موقِد.

Qadḥâ : قِدْح ، خُرْق ، قدَح .

Maqedḥâ : مَقدَح ، مَثقَب .

Qûdeḥṯâ : نتفَة شعر ، برْق ، عصابة حديديَة ، خدْش ، جُرح .

ولا حاجة الى كبير عنآء ، للتحقُّق بان جميع هذه الالفاظ فيها معنى القطع الشامل .

العبرية

Qâdaḥ : ثقب ، خرَق ، استخرج ، التهَب ، أحرَق ، أفنى ، اعترته الحمى.

Haqdêyaḥ : أضآء ، أحرَق ، فسَد ، تلَف .

غنيٌّ عن الاثبات بان معاني الإضاءة والإلتهاب والحمَّى صادرة من مدلول القَدح ، وأن دلالة التلَف والفنآء تأتي من الاحتراق.



ت « قَدَرَ » (الحرف الزائد : الرآء)

العربية

قَدَرَ : اللحمَ : طبَخَه ، والطبخ يتطلَّب التقطيع في اللحم ، و— ضيَّق على عياله ، اي قطَع عنهم الرزق ، و— الرزقَ : قسَمَه ، اي قطَعَه ، و — اللهُ عليه الأمرَ : قضى بـه عليه ، اي قطَع ، و— الشيءَ : جمَعَه وأمسكَه . والجمعُ يقتضي قطع الأشيآء عن غيرها ، لضمِّها الى أشيآء أُخرى ، و— على الشيءِ ، قوي عليه ، اي تسلَّط عليه دون غيره ، فقطعه عنه ، و— الشيءَ بالشيءِ : قاسه به وجعله على مِقداره ، اي قطعه على قطعه .

قدَّرَ : روَّى وفكَّر : دبّر وقطع في الأمر في عقله .

القَدْرُ : مساواة الشيءِ للشيءِ ، اي قطعه على قطعِه ؛ و— مبلـغ الشيءِ او حدُّه ، اي حيث ينقطع عن غيره ، و— الطاقة او القُدرة ، وهي القَطع ، و— الغِنى اي الانقطاع عن الحاجة ، و— الحُرمَة والوَقار ، اي القطع بين الشيء وغيره .

القِدْرُ : إناآءٌ يُطبَخ فيه . دُعِيت كذلك لانها تجمع فتحوي ما يُطبَخ فيها ، اي تمسكه فتقطعه عن غيره .

السريانية

Qdar : كسَر ، حطَم ، سحَق ، قلَع ، قدَّ ، مزَّق ، قطَع .

Qedrâ : قِدْر من خزَف . المقطوع .

Qaddârâ : صانع القدور .

هذا الفعل يدل ايضاً ، في السريانية ، على الوَسخ والظُلمة ، والسَواد ، والسُود . لكن مقابله في العربية فعل « قذِر » : وسِخ . وأصل « قذِر » من « قذْ » الدال كذلك على القطع ؛ لان الوَسِخ ينشيء في ناظريه التكرّه ، فيبتعدون عنه ، اي ينقطعون . ومن الوسَخ تتولّد الكُدرَة ، وهي من الألوان ما نحا نحوَ الغُبْرَة ؛ ومن السَواد تأتي الظُلمة . ومن باب التوسّع أُطلِق على سودان البَشَر .

Qedrâ : سواد ، ظُلمة .

Qedrâyê : أهل اليمن ، لِسَواد بَشَرَتِهم .

العبرية

Qâdar : إسوَدّ ، عتِم ، أظلَم . (مجاز) اختَفى ، حزِن .

Qaddèr : صَنَعَ القُدُور ، قدَر ، إعتبر ، إقتَرَض ، ثمَّن (وفي كلها معنى القطع . والسَواد والظُلمة من قذِر ، كما في السريانية) .

Qâdôr : فخّار .

Qedêrâ : قِدْر ، إناء ، جمجَمَة .

Qederût : سواد ، ظَلام ، انكِساف .

ث « قَدَسَ » (الحرف الزائد : السين)

العربية

قَدَسَ : طَهُر ، تبارك .

قدَّس : طهَّر نفسَه لله ، و — اللهُ فلاناً : طهَّره وبارك عليه ، و — فلانٌ اللهَ : نزّهه ووصفَه بكونه قُدُّوساً ، و — فلانٌ : اتى بيت المقدس .

القادِس : البيتُ الحرام ، و — السفينة ، و — الحَصاة توضع في المآء لريّ الإبل .

القادُوس : ما يُجعل من الحَبّ في الرَحى ليُطحَن ، و — وِعآء المآء .

القُداس او القَدَّاس : حصاةٌ توضع في المآء قدراً لريّ الإبل ؛ أو حصاةٌ يُقسم بها المآء في الفَلَوات ؛ او الحجر يُنصَب في وسَط الحوض ، اذا غمرَه المآء ، رُوِيت الإبل . والقُداس : الشرَف المَنيع .

القُدْس : موضع مرتفع يصلح للزراعة ، و — حجر يُرمى في البئر ، ليُعلم مقدارُ مائها . و — الطُهر والبركة .

القُدُس : قدَحٌ نحو الغُمر . وهو قدَح صغير .

القَدُوس : الشديد الإقدام .

المُقدِّس : الراهب ، و — الحبر .

السريانية

Qaddèš : قدَّس ، طهَّر ، برَّر ، سبَّح ، مجَّد ، قدَّم ذبيحة ، ضحّى ، اقام القُدَّاس ، استَقدَس ، قرَن ، زوَّج .

Qaddîśâ : مقدَّس ، طاهر ، قِدّيس ، قدُّوس ، بتول ، عفيف .

Qudśâ : قُدْس ، طُهْر ، شيء مُقدَّس ، ذبيحة ، قُربان ، هَيكل ، مكان مقدَّس .

Qdâśâ : قُداس ، قُرْط ، عِقْد .

العبرية

Qâdaś : طَهُر ، تقدَّس ، نَجِس .

Qaddèś : نظَّف ، طهَّر ، قدَّس ، خصَّص ، وضع ، أسَّس . هيَّأ ، دَلَّ ، علَّم ، بارك ، مجَّد ، زوَّج ، تزوَّج ، اعلن أول يوم من الشهر .

Hiqqâdèś : تنظَّف ، تطهَّر ، تقدَّس ، تمجَّد .

Qôdêś : قَداسة ، شيء او شَخص مقدَّس ، هيكل .

Miqdâś : محلّ مُقدَّس ، مَزار .

Qadâśîm : قرابين ، ذبائح ، أَوقاف .

Qâdêś : (جمعُه Qedêśîm) : شابٌّ متَخصِّص لخدمة هيكل الأوثان بالعَهارة .

Qedêśâh : (جمعُها : Qedêśôt) : حظيَّة ، بغِيّ من بغايا الهياكل الوثنيَّة .

الاكدية

Uqaddaś : طهَّر ، قدَّس ، بارك .

Uqtaddaś : تطهَّر ، تبارك .

Quddusu : نقيّ ، طاهر ، مقدَّس . بركة ، تقديس .

Qadiśtu : (جمعُها : Qaśdâti) خادمة هيكل الإلاهة عَشْتَرُوت و— بغِيٌّ من بغايا الهياكل الوثنيَّة .

الحبشية

Qaddasa : قدَّس ، بارك ، أَقام القداس .
Taqaddasa : تقدَّس ، تطهَّر .
Qeddûs : قدِّيس ، قُدُّوس ، مُقدَّس .
Qedsât : قَداسَة .
Meqdas : محلّ مُقدَّس ، مزار .

تعليل

ممّا لا ريب فيه ، في شأن هذا اللفظ ، ان المعاني لا تتناسق فيه ولا تتآلف ، طالما يبقى على حاله الثلاثي ؛ وبالعكس تنكشف معميَّاته ، حين ردِّنا اياه الى أصله الثُنائي : « قدْ » المراد به القطع ، والإفراز ، ومن ثمَّ التخصيص .

أمَّا مـا توصَّل الى تحقيقه « المعجميُّون الثلاثيُّون » ، من المستشرقين ومفسِّري الكتاب المقدس ، فلا يتعدَّى طورَ المواضيع الدينيَّة ، ممّا ليس هو بالحقيقة أوَّل المدلولات . بيدانّنا اذا شرعنا بتمحيص تلك الدلالات ، بدءًا من الثُنائيّ ، وجدناها في طورها الاول ، الوضعي ، المادّي ؛ وهو القطع ، والفصل ، والتقسيم . وفي هذه الحال – كما في كثير من الاحوال – يظهر ، باجلى بيان ، فضل العربيَّة على اخواتها الساميَّة ، لما قد حفظته من وفرة الألفاظ ، ومن ثمَّ من تعدُّد المغازي ؛ ولا سيّما المقاصد الأوَّليَّة المادِّيَّة ، التي كانت القبائل الساميَّة تستعملها عهدَ عيشتها الفِطريّة .

من جملة ذلك أنَّ العرب – عصر بداوتهم – كانوا غالباً ما ، أثناء سفرهم – يضطرون الى قطع مفاوز جَدبآء . وكثيراً ما كان يحدث ان ينقصهم المآء . فعندئذ كانوا يَعمَدون الى اقتسامه بطريقة بسيطة ، ينال بها كل واحد بقَدر الآخر . وذلك انهم كانوا يُلقون حَصاةً في إنآء ؛ ثُم يصبُّون فيه

من المآء ما يغمرها ؛ فيشرب الواحد . ثم يصبّون كذلك ، فيرتوي الآخر ، وهلّم جراً . ولذا دُعِيَت تلك الحصاة « حَصاةَ القَسْم » .

فعلى هذا النحو ، وردت في اللغة ألفاظ مشتقّة من فعل « قَدَسَ » دالة على مثل التقسيم المذكور . وما التقسيم سوى تقطيع الشيء قطعاً ، أو كميات ، وافرازها على حدة . وهذه الالفاظ هي الآتية .

القُداس أو القَدّاس : حَصاة توضَع في المآء قَدْراً لريّ الإبل ؛ أو حَصاة يُقتَسَم بها المآء في الفَلَوات؛ أو الحجَر ينصَب في وسط الحوض، إذا غمره المآء ، رُوِيَت الإبل

القُداس : الشَرَفُ المَنيع ، اي المنقطع النظير ، او العسر الوصول اليه لانقطاعه .

القادِس : السفينة العظيمة : سميت بذلك ، لانها تمخر مياه البحر ، اي تشقها ، او تقطعها .

القادُوس : ما يُجعل من الحبّ في الرَحى ليُطحَن ؛ اي ما يُفرَز ، او يُقطَع ، عن بقيَّة الحبّ ، لاجل هذه الغاية . و — وِعآء للمآء . وكلّ وعآءٍ مقطوع .

القَدُوس : الشديد الإقدام ، بسيفه القاطع .

اذن العربية تطلعنا على ان اللفظة « قَدَسَ » الثلاثية تدل على معنى « قدْ » الثُنائي . اي القطع ، والافراز . لكن كيف يا ترى من هذا المغزى أُستُخرِجَت الدلالات الدينية المراد بها القداسة والطهارة والبركة وغيرها ؟ لادراك ذلك ، ينبغي ان يَعلَم المطالع ان الجسر الذي عَبَّرَت عليه لفظة « قدس » من معنى القطع الى المعاني الدينيَّة هو دلالة « النظافة الماديّة » ، المعاكسة للوَسَخ او الدَرَن الماديّ . وما النظافة الّا الحالة التي يحصل عليها الشخص ، او الشيء ، او المكان ، بالغَسل . وما الغسل الّا قطع ، أو ازالة

الوسخ. وهذه النظافة ، او الطهارة المادّية ، كانت أول درجة في القداسة ، في أديان الأقدمين. ومن الطهارة المادّية انتقل اللفظ الى الدلالة على الطهارة الروحية ، وهي التنزه عن النجاسات الادبيَّة ، اعني بها الخطايا ، والمآثم ، والرذائل ، وبقية القبائح الروحيَّة. فمن ذلك جآءت نسبة القداسة ، قبل كل أحد ، الى الله تعالى ، وهو القُدُّوس ، لا بل القداسة بالجوهر ، اي المتنزَّه ، او المنقطع ، عن كل شائبة ، او نقص مهما كان. ثم أُطلِقَت القداسة على الاشخاص ذوي الفضائل الفريدة : وهم القِدّيسون. ثم خُصِّصَت بالاماكن : كالهياكل ، والمعابد ، والمزارات ؛ وبالاشيآء : كالصوَر ، والأواني ، والثِّياب ، وغير ذلك من الأَدَوات المُستخدمة في اعمال العبادة. ومن هذه النسبة الخاصَّة تولّدت النسبة العامّة ؛ فجاءت بمعاني إعلان القداسة : كالتسبيح ، والتمجيد. ويراد بها ايضاً التخصيص والوضع والتأسيس ، ثم الدلالة والعلم. واذ كان من نتائج القداسة حصول الخير في ظروف مختلفة ، وردت دالَّةً على البركة ، وبقيَّة الفوائد الروحية.

الا ان هناك مغازي ، مضادَّة لمعنى القداسة ، تطلق على هذه الكلمة عينها ؛ وهي معاني النجاسة ، وما يصدر عنها. فهذا لا نعجب منه ، اذا أنعمنا النظر في المدلول الاصلي الكامن في « قدْ ». فلقد عرفنا ان القداسة هي التنزه عن الدنس. ولهذا فحرام في الاديان مسُّ الاشيآء المادّية المقدسة ؛ لئلا تُنتَزَع قداستها ، فتتدنَّس. وكذا القول في خَرْق القُدسِيَّات ، في الاعمال الدينيَّة. فكما ان القداسة المكتسبة في الاشخاص ، او الاشيآء ، تتحقق وتثبت بازاله النجاسة ، فعلى هذه الطريقة تتولد النجاسة ، اي بانقطاع وزوال القداسة. وانت ترى ان الفكرة الاصليَّة المتَضَمِّنة في الثُنائيّ « قدْ » هي نفسها في المعنيَين المتَضادَّين ؛ لكنها تتحقَّق في الواحد منهما بعكس تحقّقها في الآخر.

ولذلك نجد ، دون استغراب ، في العبريّة والاكّديّة ، الالفاظ الآتية : Qâdêś وجمعُه Qedêśîm ؛ و Qedêśâh وجمعُها Qedêśôt ؛ ثم Qadiśtu وجمعُها Qaśdâti . فالمذكّر منها كان يُطلَق على العبيد ، والمؤنث على الإمآء ، او غيرهم ، ممّن كانوا يُفرَزون ، اي يُقطَعون ، من بقيّة الجمهور ، فيُخصَّصون — لا لخدمة الالـه الحق ، ومزاولة الفضيلة والقداسة — بل لما هو عكس ذلك ، اي لخدمة الاوثان في الهياكل ، باتيان أعمال النجاسَة ، اي الفسق والبَغي ؛ ممّا كان نازلاً في عيون الوثنيّين منزلة القداسة .

فبعد هذا التمحيص الدقيق ، ها نحن أولآء قد بلغنا الى نتيجة جليّة مَرضيّة ؛ وذلك بفضل « الثُنائيّة والألسُنِيّة الساميّة » .

ج « قَدَعَ » (الحرف الزائد : العين)

العربية

قَدَعَ : من الشَراب : شربَه قِطَعاً قِطَعاً . و— الذبـابَ عنه : ذبَّه عنه ، اي كفَّه وقطعه ، و— الفرسَ باللجام : كبحه ، اي ردَّه وقطعه ، و— الخمسين (من عمره) تجاوزها ، اي انقطع عنها ، او قطعها ، و— الأمرَ : أمضاه ، اي قطعه ، و— فلاناً عنه : كفّه ، اي قطعه ، و— السفينةَ في المآء : دفعها ، اي قطعها عن الجرف ، و— الفرسُ : عدا ، اي انقطع عن المكان الذي كان فيه ؛ وقُدِعت العينُ : ضعُفَت ، اي انقطع عنها النظر .

أَقدَع : كفَّ ، اي قطع .

قادَع : جاذب ، قاطع .
تقدَّع : تهيَّأ واستَعدَّ له ، اي انقطع عن غير شيء ، وأعدَّ ذاته له .
تقادع : تدافعوا وتكافوا ، اي تقاطعوا ، و— تطاعنوا ، اي تقاطعوا .
انقدع : انكفَّ ، انقطع ، و— استحيا ، انقطع عن الشيء .
القَدوع : الكافّ عن الصَوت ، المنقطع عنه .

وهذا الحرف لا وجود له « بالقاف » في العبريّة والسريانية . لكن فيهما مقابله ، بحرف الجيم ، او الكَيم ، اي Gda‘ و Gâda‘ ؛ ومعناهما : جدَع ، اي قطع .

ح « قَدَف » (الحرف الزائد : الفآء)

العربية

قَدَفَ : المآءَ : استقاه حتى ينفد ، اي ينقطع ، و— غرَف من الحوض ، اي قطع .
القَدْف : أَصلُ كَرَبِ النخل ، وهو الذي قطع منه الجريد ، وبقيت له اطراف طوال .
القُداف : جرَّة من فخَّار ، و— جفْنة . وفيهما معنى القطع .

السريانية

Qdaf : ضَجِر ، سئِم ، ملَّ . اي انقطع عن الشيء ، لكراهته .

خ «قَدَم» (الحرف الزائد: الميم)

العربية

قَدم : البَلَدَ: أتاه، و— الى أمر كذا: قصد له، و— فلان على العَيب: رضي به، و— على الأمر: شجُع.

قدُم : مضى على وجوده زمان طويل.

قدَم : القومَ: سبقهم، و— على فلان: اجترأ عليه.

قدَّم : سبق، و— يميناً: حلَف، و— الى الحائط: قرَّبه اليه.

القَدَم : التقدم، او السَبق، و— الرِجل، و— الشُجاع، و— في القياس: ما بين طرَف إبهام الرِجل وطرَف الكَعب.

السريانية

Qdam : قدِم، تقدَّم، سَبق، بادَر، استقبل، بكَّر.

Qaddèm : تقدَّم، سبَق، دنا، لاقى، هدى، فضَّل، بكَّر.

Etqaddam : تقدَّم، اقترب، نجح، اجترأ، فرَط.

Qadmâ : أوَّلٌ، قديمٌ، عتيق، مُقدَّم، رئيس.

Qûdâmâ : بُكرَة، غلَس، صباح.

Qdâmâ : قُدَّام.

العبرية

Qâdam : سبق، تقدَّم.

Qaddèm : أَسرَع في العمل، بكَّر، فاجأ، لاقى.

Qêdêm : قُدَّام، شَرْق، الزمن القديم، الأَبَدِيّة.

Qadîm : الريح الشرقيَّة.

Bnê Qêdêm : الشرقيّون.

Arêṣ Qêdêm : بلاد المشرق.

Qôdêm : قُدَّام، قَبلاً.

الحبشية

Qadama : سَبق، تقدَّم، كان المُقدَّم، سَبق في العمل.

Qadâmê : الأَوَّل، المُقدَّم.

Qadâmî : المَبدأ، القِدَم.

Qedemnâ : الزمان القديم، الأَبديَّة.

Meqdâm : الأَعلى، الاكمل.

كل هذه المعاني تتناسق، اذا رددنا الثلاثي الى الثنائي «قدْ»؛ وهو الدال على القطع. واول دلالة على القطع نجدها في كلمة «القَدَم» اي الرِجْل. لان الانسان حين يمشي، اعني حين يستعمل «قَدَمَه»، يقطع، بل يُقطِّع، او يُجزِّئ الارضَ التي يَطَؤها الى قِطَع، كل منها هي الفسحة الواقعة بين كل خطوة يخطوها وأختها. ولهذا أُطلِق اسم «القَدَم» على نوع من القياس؛ كما أُطلِقَ لهذا الغاية، الشِبْر، والذِراع، والإصبَع. ومن دلالة القَطع المُتأتي عن حركة القَدَم، نشأ معنى التقدُّم او الجري الى الامام؛ ومعنى السَبق، مادياً ومعنوياً، اي التفضّل والنجاح. ومن التقدّم جآءت مغازي الإسراع، والتبكير،

والإجترآء . وكذلك من هذا المعنى تولّدت فِكرَة الزَمان القديم والعتيق ، او الأَزليَّة ؛ لانها أزمنة متقدِّمة ، اي منقطة عناً .

أما كلمة Qêdêm العبريّة ومشتقاتها ، فهي آتية كذلك من القَدَم . اذ ان استعمال القدَم ، أو السير ، يتطلب اتجاه المرء الى ما قدّامه . والحال ان العبريين كانوا يُسَمُّون « الشَرْقَ ، Qêdêm » ، لانه قدَّام البلاد التي كانوا ساكنين فيها أيَّامَئذٍ ؛ والبلاد المقابلة لفلسطين ، من جهة الشرق ، هي بلاد مُؤاب ، أو عبر الاردن ، أو ما ندعوه اليوم « شرق الاردن ، أو الشرق العربي » .

فاتضح اذن الان ما أبديناه سابقاً ، وهو أن هذه الألفاظ ليست باصليَّة ، بل الأصل العام لها جميعاً هو الثُنائي « قدْ » ، الباقي معناه في سائرها . والذي أظهر لنا ذلك هو « الثُنائيَّة والألسُنِيَّة الساميَّة » .



الثنائيّة والألسنيّة من مبطِّلات الضِدّية

من غرائب — بل قل — من معايب المعجمية العربية ، انها لا تحوي الفاظاً متضاربة المعاني ، متنافرتها وحسب ؛ لكن — فضلاً عن ذلك — نجد فيها كلمات لكل منها مدلولان متضادّان. وقد دعاها ارباب اللغة « الاضداد » ؛ ويمكننا ان نطلق على خاصيّتها اسم « الضِدّيّة ».

وقد عني بعضهم بجمع هذه المفردات ؛ وبحثوا عنها في جملة مؤلّفات. وممّن قاموا بهذا العمل ، الاصمعي ، والسجستاني ، وابن السكّيت ، والصَغاني. الّا ان اشهرهم ابن الانباري. وهذا اللغوي قد بالغ في عدد الاضداد ، فاوصله الى ما فوق الاربعمائة. أما غيره فقد أنزله الى نحو المائة. على أن آخرين حاولوا ابطال حقيقة وجود الاضداد ، إما في جملتها ، وإما في طائفة منها. وعندنا انهم في رايهم مصيبون. واغلب ادلتهم ، في صدد هذا ، مقنعة [1]. الّا اننا نزيد على ذلك وسيلة لم يذكرها أحد منهم — لانهم لم يذهبوا مذهبها — ألا وهي وسيلة « نظريّة الثنائية ». « وطريقة الالسنيَة الساميَّة » وبالحق ، ان لم تكونا الذريعة الوحيدة ، فلا أقل من انهما حريّتان بان تنظما في سلك المسالك المتعدّدة لابطال « الضِدّيّة » في العربية.

وللبلوغ الى هذه الغاية المتوخاة ، ينبغي ان تُتَّخذ « الثنائية » بنوعها الخاص الذي اكتشفناه بالتقصي الشخصي ؛ الا وهو ان لا يرد الثلاثي الى

---

١ راجع : « مجلة مجمع اللغة العربيّة الملكي المصري » — المجلد الثاني ، ص ٢٢٨ — ٢٤٤ — تجد هناك مقالة من امتع المقالات في « الاضداد » ، دبّجتها براعة الاستاذ العلّامة الدكتور منصور فهمي ، كاتب سرّ المجمع المذكور.

ثنائي واحد، بل الى ثنائيين ، او اكثر ، عند اقتضآء الحاجة . وهذا ما يجب تطبيقه في مسألة ابطال « الضدّية »، اي ان يردّ الثلاثي أولاً الى ثنائي يطابق أحد المعنيين المتضادين ؛ ثم الى ثنائي آخر يناسب المعنى الثـاني . واذا كان اللفظ ، من الاصل، ثنائياً، يقارَن بما يقابله في اللغات السـاميّة . ودونك جملة من الامثلة .

١ ضد

من غرائب « المَعْنَويَّة » (او دراسة المعـاني) (Sémantique) في العربيَّة ان كلمة « ضِدّ » هي أول لفظ تُصادَف فيه « الضِدِّيَّة » . اذ بالواقـع تدل « ضِدّ » على النظير ، او المثيل ؛ وفي الوقت عينه ، يراد بها : المعاكس ، او المناقض . على ان هذه الغرابة — ان لم تزُل بتطبيق الثنائية ، لان الحرف عينه ثنائي — فهي تضمحل بقوة « الالسنيَّة » ، اي بدرسْ اللفظة على ضوء ما يقابلها في غير العربية من اللغات السامية .

معلوم ان « الضاد » من مميِّزات اللغة العربية . الّا انـ لها مقابلاً في اللغات الأُخر ، وهو « الصاد » — وفي العربية عينها تتعاور الضاد والصاد — ففي العبرية نجد كلمة « Ṣad » الدالة على « الذراع والجـانب » ؛ وفي ذات العربية جآء « الصَدّ » بمعنى « الجانب » . والحال انـ الذراع والجانب من اسمآء الاعضآء التي لها ، من باب الطبيعة ، مقابل ، اي مماثل . فمن هذه الحالة الطبيعيَّة ، نشأ في كلمـة « صَدّ ، او ضِدّ » معنى النظير ، او المشابه . هذا من جهة حالة وتركيب الذراع والجانب . أما من حيث وضعها ، فان حالتها في البدن ، حالة تقابل ، او تآزٍ . ومن التقـابل يصدر صدوراً طبيعياً فكـرة التعاكس ؛ ومن ثم التضادّ ، والتنـافر . فمن ذلك جآء « صَدّ ، او ضِدّ » بمعنى المعاكس او الخصم . وهكذا يمكن ابطال فكرة « الضِدّية » في عين الاسم المطلق عليها .

ب ضعف

لهذا اللفظ معنيان متضادّان . اوّلهما : تكرّر ، زاد ، كثُر ؛ ثانيهما : نقص ، هزل . فحسب المعنى الأول يصدر هذا الثلاثي من الثنائي : « ضَفْ » الدال على الزيادة والكثرة . لانه يقال : ضَفَّ الشيءَ : زاد عليه . ويقال كذلك : ضَفَّ وتضافَّ القومُ على المآء . اجتمعوا وازدحموا . وطبقاً للمعنى الثاني ، يأتي من الثنائي : « ضَعْ » وهو اسم صوت يزجر به الجمل آن ترويضه وتدليله ، اي تضعيفه . ومن اسم الصوت « ضع » هناك فعل « ضعَّ » النــاقةَ والجملَ : راضهما ، اي ضعَّفهما . ومن « ضعْ » الثنائي المفرد أشتق الثنائي المثنّى وهو : « ضَعْضَعَ » اي قوّض وهدم حتى الارض . ومن « ضعْضَعَ » صيغ مطـاوعه « تَضَعْضَعَ » . وهذه معانيه بحروفها كما هي في المعاجم : تَضَعْضَعَ : خضع وذَل ، و— ضعُف ؛ و— جفّ جسمه ، من مرض ، أو حُزن . ومنه : الضَعضاع : الضعيف من كل شيء .

فمن الثنائي « ضَفْ » جآء الثلاثي « ضَعُف » باقحام العين . ومن الثنائي « ضَعْ » صدر « ضعُف » ، اي هذا الثلاثي عينه ، بزيادة الفآء . وهكذا زالت « الضدِّيّة » ؛ اذ لم تكن الّا ظاهريّة .

ت طلع

يدل هذا الفعل على معنى : « ظهَرَ » وعلى ضدّه : « غابَ » . فمن حيث مدلول الظهور ، اصله من الثنائي « طَلْ » : شَرِف ، بزيادة العين في آخره . ومن حيث فحوى الغياب ، يأتي من « طَعْ » باقحام اللام ، ويراد به : اطمأنّ ، نزل . وما الغياب سوى نوع من النزول .

ث عفا

أول معنى لهذا الفعل: دَرَسَ، خفي، ذهب أثرُه. ثم ما يضادّه: ظهر، نما، كثر — فاذا اعتبرت دلالته الاولى، كان مصدره الثنائيّ «عَفْ»؛ ويتجلى معناه في af' السرياني الدال على معنى اللف والغطآء والستر؛ ومن ثمّ على الكف، والطمر، ومحو الأثر. واذا لوحظ مدلوله الثاني، كان اشتقاقه كذلك من «عف» الدال على الجمع؛ ومن af' السرياني المراد به اللّيّ، والطيّ، واللفّ. فان ما يُطوى ويلفّ، يجمع جمعاً مضاعفاً؛ وما يضاعف ينمو؛ وما ينمو يصبح ظاهراً.

ج لقم

دلالته الاولى: «كَتَبَ»؛ وضدّها: «محا». فبمعنى كَتَبَ، يصدر عن «لَقْ» الظاهر معناه في الاجوف: «لاقَ»: لصَقَ، بزيادة الميم في آخره. والكتابة — سوآء كانت بالحبر على الورق، أم بالنقش على الحجر — تفرض اللَصق. وبمعنى «محا»، قد خرج من الثنائي «قَمْ»: كَنَسَ، رفع، استأصل. ومتوجّه اللام. ومدلول استأصل نوع من المحو.

ح صرى

يأتي هذا الفعل بالمعاني التالية، الظاهرة التضاد، وهي: «جمع وقطع؛ تقدّم وتأخّر؛ علا وسَفَل». فهذا الناقص «صرى» صادر عن الثنائي «صَرْ» الدال على الشدّ والقطع، كما رأينا آنفاً في مقالة «صورت وسورة». ويقابله في السريانية اولاً: Ṣôr: صرّ، طبقَ، جمعَ. ثم Ṣrâ: قطع. وفي العبرية: Ṣar و Ṣârar و Ṣârâh؛ وكلها تدل اولاً على الشدّ، ثم على القطع؛ ومن باب المجاز، على الضيق، والحزن، والبغضة، والعداوة.

وعليه يمكن تنسيق المعاني العربية الواردة متضادة . ففكرة القطع متضمِّنة في الجمع كما في الفصل لان جمْعَ الشيء يحصل بقطعه عن اشيآء ، وضمّه الى اشيآء أخر . والتقدّم يفترض الانقطاع عن المتأخرين ؛ والتأخر ، الانقطاع عن المتقدمين . ثم كذا القول في علا وسفل ، فان العلو يراد به الانقطاع عن الارض ، والسُفْل فيه معنى الانقطاع عن الاعالي .

خ قسط

معاني « قَسَطَ » : عدَلَ ، جارَ ، يبُسَ . فالمدلولان الاوّلان صادران من الثنائي « قطْ » ، باقحام السين بين حرفيه . والقطّ داخل في العَدل ؛ لان به يُفصَل اي يُقطَع الباطل عن الحق . وكذلك ترى القطع في جارَ ؛ لان الجَور هو الحيْد عن جادة الحق ، اي الانقطاع عنها . أما « قسَط » بمعنى يبسَ ، فآتٍ من الثنائي : « قَسْ » بزيادة الطآء في آخره . ويدل على اليبوسة والجفآء . ويظهر معناه بجلآء في الناقص : قسا . ويقابله في السريانية Qaś : قسا ، تصلَّب . و Qśi : قسا ، صلُب ، اشتد .

د قرض

في هذا الفعل معنى المدح والذمّ . وفي كلا الحالين يصدر عن الثنائي « قَضْ » المقحم بين حرفيه رآء ، والدال على القطع . لان المادح يقطع الممدوح ويفرزه عن سائر الناس ؛ والقادح ، بذمّه غيره ، يقطع ناسومه ويثلمه . ومثلهُ : قرَّظ .

ذ الحزور

القويّ والضعيف — وفي كلا المدلولين يأتي من الثنائي « حَزْ » ، الزائد فيه الرآء . فحزَّ يدل على القوة ؛ لان الحزّاز ، اي القاطع ، هو القويّ القادر

على القطع . وفي الوقت عينه يدل « حز » على الضعف ؛ لان به يُحَزّ الصدر او القلب ، اي يضعف .

ر عسعس

يدل هذا الفعل على اقبال الليل وادباره . وفي كلا الأمرين ، هو صادر عن الثنائي « عَسْ » : طاف بالليل ، فيمكن ان يطلق الحرف على اقبال الليل ، وعلى ذهابه وادباره ؛ لان في كلّ منهما معنى الحركة ، حركة للاقبال ، وحركة للادبار .

ز شعب

معنياه المتضادان هما : فرَّق ، وجمَع — فبالمعنى الاوّل يصدر عن الثنائي : « شَعْ » المراد به الانتشار والتفرق . والحرف الزائد فيه هو البآء . وبالمدلول الثاني يخرج من الثنـائي « عَبْ » الدال على الجمع والتكثير . والحرف المتوّج له هو الشين .

س ضرا

أحد مدلوليه المتضادَّين هو : جرى الدم دون انقطاع ، ومن ذلك : برز وظهر ؛ والآخر : استخفى . واصل كليهما الثنائي « ضَرْ » ومعاقبه « صَرْ » . وأول مدلولات « صَرْ » هو الشدّ ، واللفّ ، والضغط ، ثم القطع . ويقابله في السريانية Ṣâr : صَرَّ ، لفَّ ، شدَّ . وفي العبريّة Ṣôr : شدّ ، عقد . وعن القطع ينجم التفجّر ؛ ومنه السيّلان ؛ ومنه جري الدم بلا انقطـاع ؛ ومن ذلك البروز والظهور . أما المعنى الثاني المعاكس ، اي استخفى ، فهو صادر عن « صَرْ » ايضاً ؛ لان الشدّ والصَرّ واللفّ مما يستلزم الاخفآء . ومن ذلك جآء لفظ « الصُرَّة » . وهي الكيس المشدود ، او المصرور ، الذي فيه تخفى الدراهم .

ش سجر

سَجَرَ، معنـاه: ملأ؛ وضده: افرغ. وكلاهما من الثنائي «سَجْ» المذيّل بالرآء، والدالّ على الانزال. والمَلْ نوع من الانزال، اي القآء السائل في الوعآء؛ او نقل المآء من حوض الى حوض، او من بحر الى بحر. وكل إفعام يفترض الافراغ من باب السلبية. لان شحن الوعآء الواحد مآءً يتطلب اخلآء الانآء الآخر منه. ولهذا دلّ «سَجَرَ» على المَلْ والافراغ في وقت معاً.

ص الجلل

العظيم والهين. والاثنان من الثنائي «جَلْ»، بمضاعفة اللام. فالحرف «جَلْ» يدل على الارتفاع؛ والمرتفع عظيم. الا ان لمعنى الارتفاع سبباً، وهو حالة الخِفَّة. اذ لا يرتفع الشيء الا اذا كان خفيفاً. على ان الخِفَّة تدل، من باب آخر، على القلة والصِغر؛ ومن ذلك، على المهانة والذلّ.

وهذا المعنى الاصلي للثنائي «جل» يظهر في السرياني Gal. ومعناه: دقَّ، صغُرَ، خفَّ. ومجـازاً، جآء بمعنى ذلّ وحقر. والدقيق الخفيف، من شانه الارتفاع. ومن بـاب المجاز دل على العظمة، والخطورة. لكن الخفيف من طبعه السرعة؛ ومن السرعة، ينجم الدوران والاستدارة. وهذا المعنى الثالث وارد في اغلب مجردات ومزيدات هذا الاصل في اللغات السامية.

ض أقوى

معناه: فرغ من المال والطعام؛ ثم عكسه: كثر ماله؛ ثم: قَوِي. فاصله الثنائي هو اللفظ العبري Qav؛ ويقابله في الاكدية Qû. ومعنى الاثنين: الحَبْل. وتنظر اليها الكلمة العربية «قوَّة»: الطـاقة من طاقات الحَبْل.

فيقال : حَبْلٌ قَوٍ ، اي مختلف القوى ، او الطاقات . وفي السريانية يظهر المعنى في Qawyâ : خيوط رفيعة ، قوّة ؛ وفي Qwâyâ : قوّة ، طاقة ، كبّة من خيوط النسيج . وفي العبرية صِيغ من Qav فعل Qâvâh : فَتَلَ ، ضَفَر . ممّا يفترض القوّة . ومن ذلك جآء معنى التجلّد ، والتصلّب ، والانتظار ، والاقامة . واذ كان الفَتْل او الضَفْر يتولد من ضمّ الخيوط ، او الشعر بعضه الى بعض ، بقوة وشدّة ، نجم عن ذلك مدلول الجمع والكثرة ؛ ثم قُيِّد بجمع المال وكثرته .

أما المعنى المعاكس ، وهو الفراغ ، فيأتي من « قَوْ » ، من باب السلبيَّة . لان عمل التفريغ يفترض اجهاد القوى . فجآء من ذلك ، في العربية ، قَوِيَتْ الدار : خَلَت ؛ وقوي المطر : احتبس ؛ وقوي فلان : جاع شديداً ، اي تقوّى وتجلّد على ابقآء بطنه فارغاً من الأكل . فهذا من القوة ، على عكس الترتيب . وأقوى : افتقر ، اي كان فارغاً من المال . والقَوَى : قَفْر الارض ، اي الخالية . ومن ذلك جآء : قآءَ ما اكله : القاه ، اي افرغ منه معدته .

ط غفر

هذا الحرف ذو معانٍ مختلفة ؛ من جملتها مدلولان متضادّان ، اولها : برأ من علته ؛ ثانيها : نُكِس ، اي عاد الى مرضه .

الغين لا وجود لها في غير العربية ، فقد توحدت مع العين . وهذه مدلولات الكلمة في اللغات السامية .

السريانية

‘far : عَفَر ، أزَّر ، مرَّغ بالعَفْر .

‘affar : عفَّر ، ترَّب .

Etʻaffar : تعفَّر ، تترَّب ، اتَّشح ، تأزَّر ، تعمَّم .
ʻafrâ : عَفر ، تراب ، غبار .
Maʻefrâ : مَعْفَر ، خِمار ، عمامة ، منديل الراس ، غفَّارة ، عباءَة ، جبَّة .

العبرية

ʻâpar : (لا وجود له) .
ʻâpôr : غبار ، تراب .
ʻappèr : عَفْر .

الاكدية

Epru : (الاصل عَپرُ) : غبار .

العربية

عَفَرَ : مرَّغه بالتراب ودلكه ، و— ضرب به الارض .
عَفَّر : النخلَ : فرغ من تلقيحه ، و— خلط سُود غنمه بعُفرٍ ، اي ببيض ، و— بيَّض الشيء .
العَفر : وجه الارض ، او ما يغطيها ، و— التراب .

غَفَرَ : الشيءَ : ستره . و— اللهُ ذنوبَه : غطَّى عليه وعفى عنه و— المتاعَ : ادخله في الوعاء وستره ، و— الأمرَ بغفرته : اصلحه بما ينبغي ان يصلح به ، و— الجرحُ : انتقض ، و— المريضُ : نُكِس ، و— الشيبَ بالخضاب : غطاه ، و— الجَلبُ السوقَ : أرخصها .
غَفِر . الثوبُ : ثار زئبره .
الغَفْر : البَطن ، لانه يبطن اي يغطِّي ، و— شعر كالزغب يغطِّي الوجه ، و— زئبر الثوب .

الغَفْرة : ما به يغطَّى الشيء .
الغَفَّار : الساتر الذنوب ، من الأسمآء الحسنى .
الغفَّارة : ردآء يلبسه الاحبار في البيعة ، اي غطاء .

تنسيق وتعليل

لتنسيق هذه المعاني المتباعدة ، لا بل المتضادة ، لنردّ هذه الثلاثيات الى الثنائي ، الذي منه يظهر المعنى الاساسي لكلها . وهذا الثنائي هو حرف 'af السرياني ، وفحواه : ثنى ، طوى ، كرّر ، ضاعف ، زاد ، كثَّر . والناقص منه 'fâ يأتي بمعنى اللازم: زاد ، كثُر ، تضاعف ، أزهر ، أخصب . و 'affi : لفّ ، كفَّن ، طَمَر ، دفن . ومثل هذه المعـاني تظهر في الثنائي العربي « عَفّ » : امتنع ، اجتمع . ولا سيّما في الناقص « عفا » : عن ذنبه : تجاوز عنه ، اي غطاه وستره ، و— الله عنه : محـا ذنوبه ، و— عن الشيء : أمسك عنه ، و— خفِي ، و— الشيء : كثُر ، و— الشيءَ : كثَّره ، و— الارضُ : تغطَّت بالنبات : و— أثرُ فلانٍ : هلك .

أعفى : اللحيةَ : وفّرها ، و— الرجلُ : انفق العَفْوَ ، اي الفضلة من ماله ، و— الرجلُ : كثُر ماله فاستغنى .
العافي : الرائد ، و— الوارد ، و— الضيف ، و— كل طالب فضل أو رزق ، و— الطويل الشعر .
العَفآء : التراب ، الغبار ، العَفر .
العِفآء : ما كثر من ريش النعام ، و— الشعر الطويل الوافي ، و— وَبَر البعير .

١ ان اول المدلولات في هـذا اللفظ هو مدلول : الثَّني ، أو الطيّ ،

او اللي ، المحتوي في الثنائي « af‘ » او « عَفْ » . وما الطيّ الا تكرار الشيء المطويّ .

ب ومن هذا يصدر معانٍ أخر ، منها دلالة الستر والتغطية . لاننا اذا طوينا الشيء ، فقد سترنا قسماً منه بقسمه الثاني .

ت اذا تكرّر الثني ، فقد ضاعفنا الشيء وكثرناه . وعن الكثرة ينجم النمو والخصب .

ث عمل الثني او الطيّ عمل مكرّر ، اي فيه عود أو اعادة .

ج مما يصدر عن فعل الطيّ ان القسم الساتر القسم الآخر يضحي وجهاً له .

بناء على هذا التنسيق ، يسهل ادراك كل المعاني الواردة آنفاً ، في فعلي « عَفَرَ وغَفَرَ » وما يقابلها في اللغات الأخر ، مما يغنينا عن الافاضة .

ح وباحد هذه المدلولات — مدلول التكرار الناشىء عنه العود او الرجوع — ، يمكننا ان نوفّق بين معنيي « غَفَرَ » المتضادّين . فغَفَر ، بدلالته على البرء من المرض ، او العودة الى الصحة ، آتٍ من الثنائي « عَفْ » الظاهر أحد معانيه — وهو التكرار او الرجوع — في السرياني « af‘ ». وهذا الثنائي عينه يخلق ان يكون ايضاً أصلاً للمعنى المعاكس ، وهو « الانتكاس » ؛ اذ فيه فكرة الرجوع ، لكن باعتبار مناقض ، وهو معاودةُ العلةِ المريضَ بعد النقه .

نجتزىء بهذه الامثلة ، وفي امكاننا سرد كثير منها . وهي كافية للدلالة على ان « الثنائية والالسنية » هما — كما ابدينا من الرأي — من جملة الوسائل لابطال « الضدّية » . وهذا — والحق يقال — فضل كبير يضاف الى الافضال الجمة ، افضال هذه النظريّة وهذه الطريقة على معجمية لغتنا العزيزة . وهو ما توخينا تبيانه في كل محتويات مصنّفنا هذا ، الذي كان القصد المحض من وضعه اداء الخدمة للعلم واللغة وهواتها .

مقابلة الابجدية العربية
بالابجدية اللاتينيّة[1]

ا			ض	ḍ	Ḍ
ب	b	B	ط	ṭ	Ṭ
ت	t	T	ظ	ḏ̣	Ḏ̣
ث	ṯ	Ṯ	ع	ʿ	
ج	ǵ	Ǵ	غ	ṛ	Ṛ
ح	ḥ	Ḥ	ف	f	F
خ	ḫ	Ḫ	ق	q	Q
د	d	D	ك	k	K
ذ	ḏ	Ḏ	ل	l	L
ر	r	R	م	m	M
ز	z	Z	ن	n	N
س	s	S	ه	h	H
ش	ś	Ś	و	w	W
ص	ṣ	Ṣ	ي	y	Y

١ لا نرى من حاجة الى سرد ابجديات اللغات السامية الاخر ، لان اغلبية حروفها متضمنة في الابجدية العربية ؛ فهذه حريّة ، من هذا القبيل ، بأن تعتبر سامية ، من باب الاطلاق . وأما الابجدية اللاتينية ، فلا تحوي كل ما يقابل الحروف السامية ؛ ولذا فقد وضع المستشرقون حروفًا خاصة لهذه الغاية ، وكانوا أول مستعمليها ؛ فلاق بان تدعى ، والحالة هذه ، الابجدية الاستشراقية . فعلى مطالع هذا الكتاب الرجوع الى هذا الجدول لمعرفة الحروف المبتكرة .

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٣	يبجَّل	يبجِّل
٦	٣	مصنَّفيها	مصنِّفيها
٦	٩	عِثابة	بِثابة
٦	١٠	تقصَّياتنا	تقصِّياتنا
٧	٥	نضمَّها	نضمُّها
١٠	٨	نمهَّد	نمهِّد
١٢	٧	تنصَّر	تنصُر
١٧	١٣	لسيَّدي	لسيِّدي
١٨	١٧	الشُمَرَّيين	الشُمَرِّيين
١٩	١٢	اليآء	البآء
٢٣	١٥	المفسَّرون	المفسِّرون
٢٣	١٦	بنصَّه	بنصِّه
٢٤	١٤	الهيَّنة	الهيِّنة
٢٦	٤	السلَّيحين	السلِّيحين
٣٩	١٨	المبكي	المبكى
٣٩	٢٠	كنًّي	كُنِّي
٤١	١٣	تضجَّر	تضجُّر
٤٩	١٠	الحجً	الحجِّ
٥٠	.٣	فتكيَّفه	فتُكيِّفه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥١	٧	تطلِق	تطلَق
٥٢	٧	يصلَّون	يصلُّون
٥٢	١٦	مظانً	مظانّ
٥٢	٢١	محلًّا	محِلّها
٥٣	٨	هيكليِّين	هيكليّين
٥٤	٢	الهيكلين	الهيكليّين
٥٤	٦	Précheurs	Prêcheurs
٨٦	٢	تثَبّت	تثُبِت
٩١	٢١	cnglish	english
٩٢	٧	الغَفور	الغُفور
٩٦	١٤	تقصًّيات	تقصِّيات
٩٦	١٤	المتخصًّصين	للتخصِّصين
٩٦	١٧	الأكَّديَون	الأكَّديُّون
٩٩	١٥	للبر ء	للبرء
٩٩	١٩	Lâḥam	Lâḫam
١٠٥	١	يهمَّنا	يهمُّنا
١٠٨	٨	هَيئته	هِيئته
١٥٩	١٠	الحقً	الحقُّ
١٦٢	٢٢	الحَمَل	الحَمْل
١٧٧	٥	من	عن

فهرس الكتاب



bilittéralisme, elle donne des résultats de beaucoup plus satisfaisants, puisque cette même théorie est applicable, avec efficacité, au plus grand nombre des racines trilittères. Pour le reste, si elle ne réussit pas, c'est faute de témoins bilittères.

Ce petit volume fournit des exemples de cette étude de **la lexicographie arabe à la lumière du bilittéralisme et de la philologie sémitique.** *L'auteur n'ignore pas que le bilittéralisme, pris comme point de départ du développement sémantique, soit en arabe, soit dans les autres langues sémitiques, n'a pas encore enlevé les suffrages de l'école des savants — sémites ou sémitisants — conservateurs à outrance. Aussi livre-t-il ces notes à la critique des spécialistes et sera-t-il heureux de recueillir les opinions pour et contre, afin d'en profiter dans les recherches qu'il poursuit.*

Ces études sont publiées en arabe pour deux raisons: la première est le légitime plaisir qu'éprouve un auteur à écrire dans sa langue maternelle; la seconde, le désir d'intéresser les intellectuels de langue arabe à ces sortes de recherches qui ne leur sont pas familières. Toutefois il reconnaît qu'elles auraient dû être rédigées aussi en français, pour être à la portée, non seulement des arabisants, mais des biblistes et de ceux des sémitisants qui ne connaissent pas l'arabe comme langue de spécialité. Cela vaudrait la peine d'être réalisé, à une autre occasion, dans la composition d'un ouvrage similaire d'une plus ample envergure. Inś-âllah!

I

UN MOT DE L'AUTEUR

Arabisants ou sémitisants, arabophones ou arabes même sont souvent obligés de reconnaître que les anciens dictionnaires arabes, encore en usage et en honneur aujourd'hui, sont de véritables fouillis.

Cette défectuosité consiste dans l'absence de tout ordre, le vague ou l'inexactitude d'innombrables définitions, le manque d'harmonie dans de multiples dérivations, l'étrange diversité de sens dans beaucoup de racines, la superfluité des synonymes qui se comptent par dizaines et par centaines même, enfin la présence de mots dont chacun a deux significations diamètralement opposées.

Des lexicographes modernes, soit dans le monde de langue arabe, soit dans les milieux orientalistes, ont essayé, avec plus ou moins de succès, d'apporter quelques améliorations dans la composition des dictionnaires; mais les défauts lexicographiques n'ont pas disparu.

La philologie comparée des langues sémitiques a rendu, à ce point de vue, de réels services à la lexicographie hébraïque. L'auteur de cet ouvrage pense qu'appliquée à l'arabe, cette science ne lui est pas d'une moindre utilité. L'expérience lui a prouvé, de plus, qu'ayant pour base la théorie du

A. — S. MARMARDJI O. P.

Professeur à l'Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

LA LEXICOGRAPHIE ARABE

A LA LUMIÈRE

DU BILITTÉRALISME ET DE LA PHILOLOGIE SÉMITIQUE



IMPRIMERIE DES PP. FRANCISCAINS
JÉRUSALEM
1937

Prix : 250 mils

